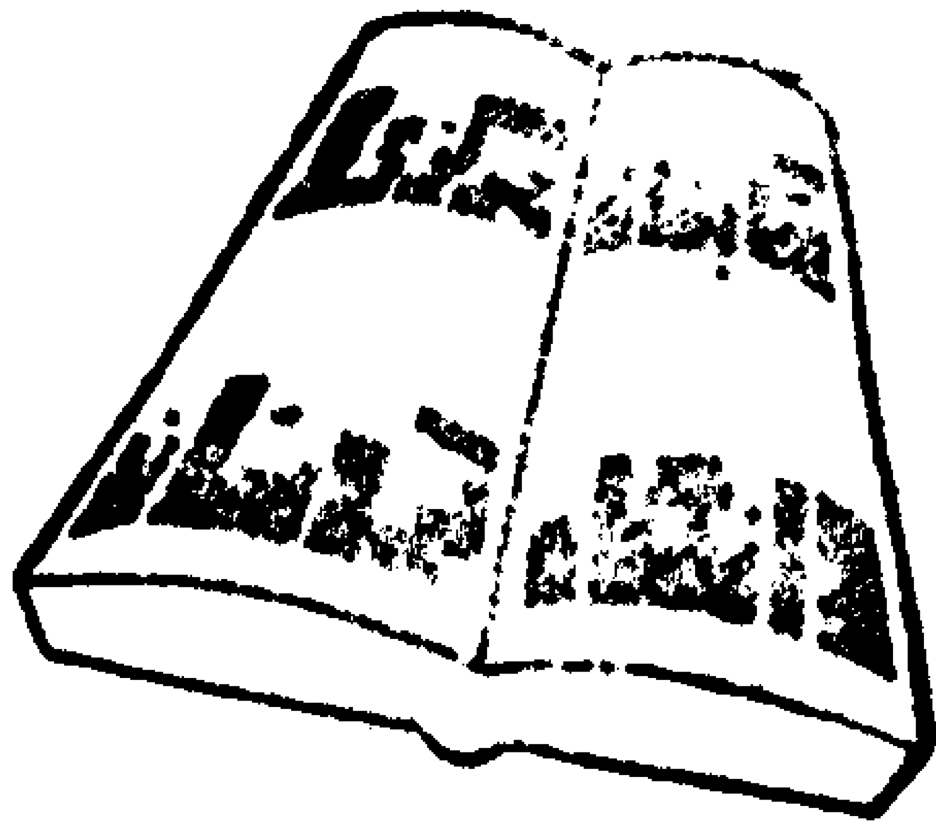
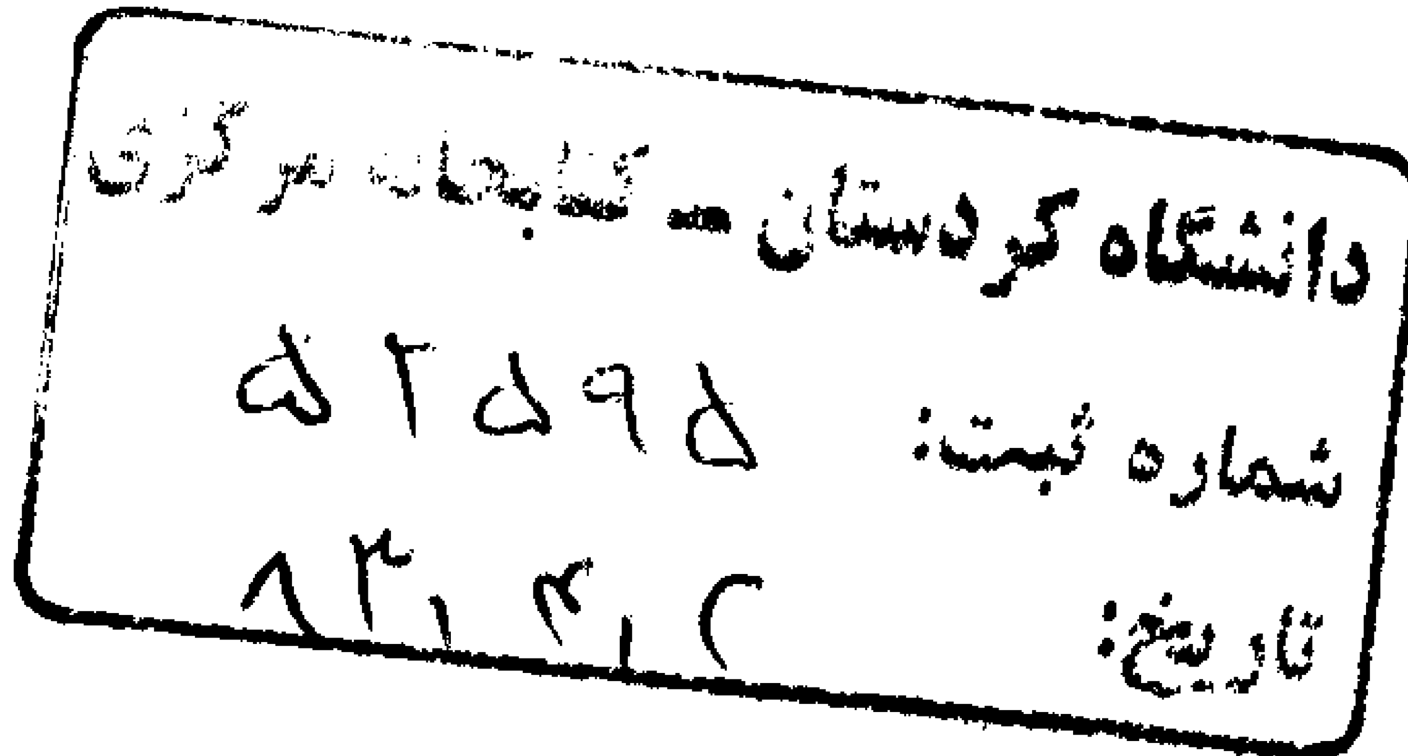
الأسلوبية في النقد العربي الحديث
دراسة في تحليل الخطاب

فرحان بدري الحربي





الأسلوبية في النقد العربي الحديث

دراسة في تحليل الخطاب

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1424 هـ ــ 2003 م

مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت ــ الحمرا ــ شارع اميل اده ــ بناية سلام ــ ص.ب. 113/6311
تلفون 791123 (01) ــ تلفاكس 791124 (01) بيروت ــ لبنان
بريد الكتروني majdpub@terra.net.lb

ISBN 9953-427-59-3

الإهـــداء

إليك والدي الحبيـــب

واليـــكِ أمـــــي

إذ علمتماني أن الحبّ زيادةٌ في العطـــــاء

وإليك وطـني

ثمرة السنوات الطـــوال

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا شكر نعمائه وهدانا سبل الرشاد في طلب رضاه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد المصطفى وعلى آله وصحبه.

أما بعد..

فهذه دراسة في بعض موضوعات النقد الأدبي الحديث ارمي من خلالها إلى تقديم معرفة متخصصة فيه لتيسير بعض دقائقه وضبط قواعده، وقد حاولتُ إقامتها على أسس موضوعية عن طريق دراسة النصوص النقدية في ذاتها، وقيض لي فيها أن احدد منهجاً من مناهج النقد الحديث ليكون ميداناً لها بوصفه مثالاً تطبيقياً في تحليل الخطاب النقدي فكانت الأسلوبية هي الأقرب في الاختيار بدافع التعمق فيما فقهناه من مشروعها في دراستنا المتخصصة السابقة. وكان لما رأيته من سعة في الجهد الأسلوبي المنتج (تنظيراً وتطبيقاً) أهمية في التفكير بدراسته واقامة الحوار النقدي حوله ومعه في الوقت ذاته، وذلك كان من الدوافع المهمة للبحث، فكلما كثر النتاج الفكري ازدادت الحاجة إلى مراجعته وفتح نوافذ الحوار معه ليتخذ القارئ موقفاً منه في القبول والتقويم.

ولا ريب في ان الهدف الرئيس من اقامة هذا البحث هو التوصل الى معرفة المرتكزات التي بنت الأسلوبية عليها خطابها، فضلاً عن الرغبة في الاستزادة من المعرفة التخصصية في مجالها فهي المقصد الذي أحاول تحقيقه في خطابي النقدي هذا. ولابد لي بموجب ذلك كله من التشخيص المحكم لاطار البحث ومنهجه على قدر المستطاع فأنه ييسر للباحث محاولة الارتقاء الى مستوى الرؤية الموضوعية ليأمن التكلف في تأمله الشامل في ابعاد الموضوع مما يهيئ له صفة علمية يؤطر بها صورة الإشكالية التي يعرضها في البحث في اثناء اقامة حواره النقدي مع المؤلفات

(الكتب) التي يشملها في دراسته ويتوجه بخطابها الى القارئ المهتم ليكون طرفاً ذا أهمية في الجانب المقابل، ولقد رسمنا منهج البحث في خطوات مترابطة تؤدي جميعها إلى خدمة البحث العلمي في النقد العربي الحديث على وفق الآتي:

الفصل الأول:

(في الأسلوبية وتحليل الخطاب "مدخل تنظيري") ويمثل هذا الفصل خطوة مهمة في طريق البحث لاستقراء المعالم النظرية وفي تحديد المصطلح وكشف أداة الانتهاء إلى المعرفة الدقيقة فيما يخص خطاب الاسلوبية، ونعرض فيه لأربعة موضوعات رئيسة تمثل مباحثه الأربعة على الوجه الآتي:

أولها: (الأسلوبية المصطلح والأداة) يعالج علاقة الأسلوبية بالنص الأدبي ومفهوم الأسلوبية وتحديد مصطلحها وبيان محتواها الفكري.

وثانيها: (الأسلوبية وتحليل الخطاب) يتناول بالعرض والمعالجة مسألة تحليل الخطاب على وفق مقولات المناهج التخصصية ليبين من خلال ذلك موقع الاسلوبية ضمن خريطة توزيعها المعرفي.

وثالثها: (النص والخطاب) يعرض لمسألة تحديد الهوية فيما يخص الخطاب النقدي، وبيان مفهوم (الخطاب) في مقابل مفهوم (النص).

ورابعها: (تحليل الخطاب) يبحث في اصول دراسة الخطاب وتحليله في النقد الادبي والدراسات المجاورة.

الفصل الثاني:

(وصف المقدمات التنظيرية في الجهود الاسلوبية العربية "القواعد والمنطلقات") ويقع في مبحثين:

الأول: التنظير الافتتاحي في الدراسات التنظيرية.

والآخر: التنظير الافتتاحي في الدراسات التطبيقية.

تقوم الدراسة فيه مقام الكشف الوصفي لتحديد الرؤية المنهجية في المؤلفات التي اقوم بدراستها، وأتخذ فيه منهجاً أحاول رسم مفرداته على وفق معطيات

النتاج النقدي (الاسلوبي) ميدان الدرس وموضوعه، عاداً كل عمل منها مما يدخل في إطاره، بنية قائمة بذاتها، تمكنني من رصد المنطلقات الفكرية التي يحملها المؤلفون ويسعون إلى تحقيقها بآليات (فكر لغوية) أحاول تحديد اشكالها مقتصرا على دراسة المقدمات فيها. وذلك له ما يسوغه من الأهمية إذ انها تكون بعيدة عما يقتبسه هؤلاء المؤلفون من الترجمات القريبة من مادتهم وما يتأثرون به من الأفكار في أثناء معالجاتهم الموضوعية في بحوثهم في إطار التأليف، فضلاً عن أنها تمثل خلاصة أفكارهم الخاصة في هذا الشأن. وهو ما يعيننا على معرفة البنية الفكرية، التي يُقام بموجبها الخطاب الاسلوبي بوصفه بنية تتكون باستمرار مع تنامي البحوث والدراسات المشاركة في إقامته.

الفصل الثالث:

(المعرفة الأسلوبية بين التأسيس والممارسة) ويقع في مبحثين رئيسين:

الأول: بنية المعرفة الأسلوبية في الخطاب النقدي العربي.

والآخر: الأسلوبية ودراسة الأدب، فضلاً عن مقدمةٍ في المعرفة الأسلوبية.

وهو محاولةٌ لاستقراء آراء الباحثين العرب المتخصصين في الأسلوبية، وأعالج فيه أموراً لا يمكن إغفال أهميتها لانها تؤلف جزءاً من كيان النظرية الأسلوبية وتتخذ موقعها من الأهمية في عملية التطبيق الاجرائي على النصوص الإبداعية (الأدبية) مما يدفعنا الى رصد مؤشرات العلاقة بين النظرية في مرحلة التأسيس والممارسة التحليلية في التطبيق ضمن بنية البحث الأسلوبي فنتوجه الى وصف بنية المعرفة الأسلوبية العربية متناولين بالتحليل تلك المؤلفات (الكتب) موضوع الدرس كاشفين عن توجهات أصحابها. وأعرض فيه أيضاً أهمية الأسلوبية في دراسة الأدب موضحاً علاقة الاسلوبية بنظرية الادب والنقد الادبي، محاولاً بيان المنطلقات الفكرية في خطاب الاسلوبية في النقد العربي الحديث وبيان حداثة خطابها ضمن خطاب الثقافة النقدية المعاصرة – فضلاً عن التوجه إلى معالجة مسألة (الموضوعية)، و (الشكل والبنية) بشيء من الدقة والتفصيل متخذاً منهما أمثلة للضبط المعرفي في الأسلوبية.

ونظراً لسعة ميدان الدراسة فأنني حددتُ المتن النقدي الذي تشمله الدراسة، لأخلص إلى نتائج بعيدة عن التعميم المطلق، وقد امتد ذلك المتن في البعد الزمني منذ السبعينيات من القرن العشرين حتى نهاية القرن المذكور، بيد ان الضرورة قد ألجأتني إلى وضع كتاب الأستاذ احمد الشايب (الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) في إطارها لما حمله من صراحة في العنوان وما آثاره من نزعة بلاغية في دراسة الأسلوب مثلت جيله وأثرت فيمن تبعه.

ولقد سعيت فيه الى استيعاب ما نشر من الجهد الأسلوبي في هيأة كتب، مما يمثل بحوثاً مستقلة عن سواها مما نشر في الدوريات والنشرات الخاصة إذ أغفلتها بهدف تحديد إطار البحث بحسبما أشرت. وحاولت الحصول على ما يمكنني من تلك المؤلفات في ظروف البحث ولن اقصد إغفال مؤلفٍ منها لسببٍ ما غير أني لم أستطع الوصول إليه بعد الجهد والعناء.

وحسبي اني اجتهدت في عملي هذا وسعيت إلى ان يكون موضوعياً وجاداً، وللمجتهد كما قال الرسول العربي الكريم (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، أجران إن أصاب، واجر إن اخطأ، والله هو الهادي إلى الصواب.

(وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)

الفصل الأول

في الأسلوبية وتحليل الخطاب

(مدخل تنظيري)

[illegible] Campartine

المبحث الأول

الأسلوبية (المصطلح والأداة)

1- الأسلوبية والنص الأدبي: (في المناهج الحديثة للنقد الغربي)

يمثل النص (الأدبي) مصدراً خصباً للحوار النقدي الحديث فهو تحدّ دائم واشكالية ترجو البيان في جدلية العلاقة بين مقولات المناهج النقدية الحديثة [1]، على ان اللحظة المنهجية النقدية الجديدة في العالم، التي نشطت في الستينات من القرن العشرين قد حققت تحولاً باتجاه الحداثة إذ اصبح النقد يعنى بدراسة الماهية والتشكيل النصين، وهو ما تمثل في المنهج البنيوي على وجه التحديد اذ يعد الخطوة الأكبر أثراً في تأسيس فاعلية هذا التحول[2].

فقد قامت البنيوية وما جاورها من منهجيات، ولا سيما تلك المتخذة من منهج اللسانيات نقطة انطلاق لها، ونبعت من فكرها، على دراسة النص في ذاته إذ كثفت جهدها في تفحص ادواته وتشكيلاته الفنية، وبحث المفاهيم والافكار الداخلة في تكوينه بوساطة النسيج اللغوي الذي تتمثله، هذه المفاهيم والافكار، ويشغل التحليل الاسلوبي بالذات، موقعاً ذا أهمية في جملة هذا الاستقصاء، فمنذ السبعينيات من القرن العشرين اصبح البحث الاسلوبي ينظر الى (النص) نظرة نقدية شاملة[3] فقد اتسع مصطلح (الاسلوب) الذي يمثل نقطة انطلاق الباحث في سعيه لتأسيس علم الأساليب، ليشمل البناء العام للنص: مكوناته واجزاؤه[4].

فالاسلوبية[5] تؤكد دراسة "خصائص الأسلوب والصور الشعرية والنعوت والمجازات والايقاع وما فيه من جناس واصوات، وعلى النظام ولغة الشعر وعلى الغموض وتوظيف الاساطير والحكم والامثال وغير ذلك مما يستوعب من مباحث البلاغة القديمة ويتجاوزها الى مكتشفات الالسنية"[6].

فهي اذن منهج في دراسة الادب ونقده متأثر في ظهوره واحتوائه للرؤية العلمية بحركة التطور في الفكر الإنساني الساعي نحو الضبط المعرفي. فقد "استقل النقد الادبي بذاته علماً له مبادؤه التي لا تطابق بالضرورة مبادئ غيره من العلوم

الإنسانية، وله مناهجه التي وإن استلهم بعضها من المعارف المحايثة(*) فانها تظل معه موسومة بالخصوصيات التي هي الصق به وله ادواته التي بفضل تواالجـــــها(**) مـــع أدوات المعرفة، اللغوية الحديثة صارت آليات تتبوأ الصدارة في كل علم يعكف على النص ويتخذ الخطاب مرمى من مراميه"[7]. بمعنى أن النقد الادبي قد حظي بقـــانون اساسي جديد ضمن شبكة العلوم الانسانية وقد تعاقبت المراحل في مسيرته طـــوراً بعد آخر وتعددت مشارب المناهج فيه إثر ذلك. وكان "كل طور يؤذن بمنعـــــرج فكري حيال الظاهرة الإبداعية أولاً وحيال الظاهرة اللغوية التي يصاغ بهـــا الادب ثانياً، ثم حيال الظاهرة التواصلية من حيث إن النقد في ابعد اغواره ليس الا رصـــداً للعلاقة بالقوة او بالفعل، بين منتج الادب ومتعاطيه"[8].

وقد ظهرت اولى محاولات النقد الساعية الى التأطير المنهجي العلمي متـــأثرة بالفلسفة الوضعية في اوربا واهم مفاهيمها في تلك المرحلة مـــــا يتعلـــق بنظريـــة الانعكاس[9].

positive positivist

على انها سعت الى وضع حد للاحكام الاعتباطية والارتســـامية(***) الـــتي تدخل في اطار النقد، لكنها صبت اهتمامها على ما قبل النص من غير ما ســـواه، وهو ما ادركته حركة تجديد المنهج التي ظهرت اثر ابتداع (فرديناند دي سوســـير) لمنهجية الدراسة اللسانية وما تبعه من عمل (ياكبسون). إذ غدا النقد علماً يستعمل لغة واصفة، ويمتلك عمليات اجرائية محكمة في الاحصـــاء او البيـــان، وتتـــابعت الخطوات في هذا المجال بعد ذلك.

وقد جاءت البادرة الأولى في التنفيذ مع الشكلانيين الروس منذ العشـــرينيات من القرن المنصرم[10] ثم كان المنهج الانشائي في اعمال (تـــودوروف) ثم ظـــهور المنهج البنيوي (النصي) في اعمال (رولان بارت). إذ دُرست العناصر المكونة للنص والعلاقة الرابطة بينها ثم تجاوز بعض الباحثين العلاقات بين اجزاء النص الى علاقتـــه بنصوص اخرى من جنسه سابقة او معاصرة فكانت نظرية التناص التي بلورها كـــل من (جيرارجينيت) و (جولياكريستيفا) وما لحقها من تطور إثر ظـــــهور افكـــار (باختين) حول تعدد الاصوات في الرواية وأن أعمال هؤلاء النقاد قـــد تركـــزت حول ايلاء أهمية مميزة للنص فجعلت له السلطة العليا في عملية الاتصال، بيـــد ان الاغراق في نفي حضور الكاتب وانكار العوامل المولدة للنص قد نتج عنه رد فعـــل

معاكس، لا يحن الى المنهج الوضعي التقليدي بل يقترح مقاربات اخرى، تربط النص بظواهره الخارجية التي لا تنفصل عنه، فظهر منهج جديد في نقد النص الادبي أفاد من مكتشفات التحليل النفسي ضمن مدرسة (فرويد) في دراسة الادب، فكانت تلك المكتشفات الناتجة عن التحليل الادبي المتخصص خطوة اولى سابقة له في مجال دراسة النص وقد افترض منهج التحليل النفسي[11]، هذا : "أن جانباً مهماً من العلاقة بين الفنان المنتج والفن يمثل العلاقة بين المريض والحلم"[12].

فالناقد "يصبح محللاً ويتناول الفن كمرض يستطيع بتفسيره كشف مكبوتات الاديب اللاواعية ودوافعه وقد تؤدي هذه الاكتشافات بدورها الى فهم العمل الفني نفسه بل وحتى تفسيره"[13].

وكان بعد ذلك ظهور التشكيك بصحة فرضية (البنية) ودخول (التفكيك) في ساحة النقد. وبعدها عادت الصحوة البنيوية الجديدة ممثلة بـ(المقاربات)[14] المتأثرة بالماركسية، تلك التي تقر وجود علاقة جدلية ثابتة بين النص والمجتمع بيد ان هذه العلاقة (الجدلية) لا تقوم بالضرورة على نظرية الانعكاس في الادب، بل تتبنى العوامل المؤثرة في انتاجه وتكشف موقفه تجاه اختلاف الرؤى في المجتمع[15].

وأصحابها يرون أن "الدراسة الوصفية البحتة لا يمكن ان تصل الى المعنى الحقيقي التأريخي، للظواهر التي تتناولها إذ انها تغفل وضع ابنيتها في نظام مقارن يكشف بطبيعته عن المؤثرات الدلالية الاساسية"[16] وظهر بعد ذلك اتجاه يتجاوز في اهتمامه (النص) الى ما بعده وتوجهت بحوث المهتمين في هذا المنهج الى ما يسمى بـ(جمالية التقبل) إذ علقوا اهمية كبرى على متلقي النص، وقبله (القارئ الضمني) الذي يفكر فيه الكاتب ويساير عملية الانتاج.

وإن امكانية تقويم هذه الاتجاهات تتوافر لنا بعد تصنيفها الى ثلاثة اصناف:

الاول: ويضم مناهج تهتم بعمليات ما قبل النص، **الثاني**: يشتمل على المناهج التي تهتم بالنص، **والثالث**: يضم المناهج التي تهتم بما بعد النص[17] وتوضيح ذلك يكون بالاستناد الى مخطط (ياكبسون) على عملية الاتصال والوظائف المناطة بكل جزء من اجزائها الستة.

واخيراً نشير الى ان الاسلوبية المتأثرة بالدرس (الالسني) الحديث[18] تقع ضمن المناهج المهتمة بالنص في ذاته، بيد أنها تتجاوز المقولات البنيوية بعدم

خضوعها لسلطة النص المطلقة فهي لا تلتزم البنية بوصفها حتمية، او مقيدة، ولا تتحدد بحدودها[19] إذ انها وجدت اساساً بسبب التلاقح بين مختلف النظريات والمناهج[20]، لذلك فهي تتخذ لها منهجاً في التحليل والاستقراء النظري بحسب الجهة التي تتبناها.

2 – علم الأسلوب (مفهوماته ومناهجه)

2–1 مفهوم الاسلوبية واتجاهات البحث الاسلوبي:

يمكن في البدء التوجه الى ما قاله (ريفاتير) للتعرف الى الاسلوبية على الرغم من كونه متأخراً عمن سواه في ارساء مفهومها، وليس ذلك بدافع التوجه البنيوي للبحث، وانما لاكتمال فكرة التأليف التنظيري عنده، بحسب ما نرى في هذا الموضوع.

وقد حدد مفهوم الاسلوبية بانها: "علم يعنى بدراسة الاثار الادبية دراسة موضوعية، وهي لذلك تعنى بالبحث عن الاسس القارة في ارساء علم الاسلوب، وهي تنطلق من اعتبار(*) الاثر الأدبي بنية السنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصاً"[21]. بمعنى انها تقوم على دراسة النص في ذاته اذ تقوم بتفحص ادواته وانواع تشكيلاته الفنية وهي تتميز من بقية المناهج النصية بتناولها النص الادبي بوصفه رسالة لغوية قبل كل شيء فتحاول تفحص نسيجه (اللغوي) وترمي بحسب رأيه، الى "تمكين القارئ من ادراك انتظام خصائص الاسلوب الفني ادراكا نقدياً مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية"[22] ومادامت الأسلوبية، بحسب ما أشرنا تأخذ مفهومها من الجهة التي تبنتها، فإن مفهومها يتعدد بتعدد تلك الجهات ويكون محدداً بحسب هذه الجهة او تلك.

كما ان طبيعة النظر الى (الاسلوب) بمعنى محاولة تخصيص هويته في الانتماء الى النظام اللغوي، او الجمالي، تحدد هي ايضا وجهة النظر في الاسلوبية، انطلاقاً من وصف الاخيرة بانها مجموعة من الاجراءات الاداتية التي يدرس النص بواسطتها. فالنقد الحديث، كما يقول (بيير جيرو)، يركز "على البنية الداخلية للنص المعتبر لنفسه، خارج أي اصل، او وظيفة او منهاج"[23].

وهكذا يكون الانطلاق من مصدر النص (اللغوي)، فهو في الاساس مقولة لغوية اسقطت في اطار نظام الاتصال اللفظي البشري كما يشخصه (ياكبسون)[24] على ان معناه يتمثل في تركيبه الداخلي[25].

وبذلك تكون الاسلوبية وسيلة في دراسة الادب في النقد الحديث بيد أنها قبل ذلك لم تكن مقتصرة على دراسة الادب، فهي تدخل في مجال الدرس اللساني عامة.

وهكذا نستطيع اجمال القول فيها من خلال التعريف الآتي: الأسلوبية او علم الاسلوب علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي، او الأدبي خصائصه التعبيرية، والشعرية، فتميزه من غيره وتتعدى مهمة تحديد الظاهرة إلى دراستها بمنهجية علمية لغوية وتعدّ الأسلوب ظاهرة لغوية، في الاساس، تدرسها ضمن نصوصها[26].

بيد ان المفهوم الذي قدمناه بحسب تعريف (ريفاتير) للاسلوبية يمثل احد مرتكزاها المهمة، اذ ينبثق من مقولة النقد المعاصرة حيث العناية ببنية النص الادبي، وقد سمّي هذا الاتجاه فيها بـ(الاسلوبية البنيوية) وفيها يقام البحث في بنية النص الادبي: جهازه اللغوي، ونمطيته، ومفرداته، وتراكيبه، ودلالته. وسمي ايضاً بـ(الاسلوبية الوظيفية).

على اننا قبل ذلك نستطيع ان نحدد فيها اتجاهين كبيرين اخرين، انطلاقاً، بحسب ما يقول (كراهام هاف) من تصنيف الدوافع الفعالة لدراسة الاسلوب الحديثة، فعلى الرغم من تعدد هذه الدوافع يمكن حصرها في انموذجين ينحدر احدهما من الالسنية التاريخية والاخر من النقد الادبي، وهذا الاخير يتأتى بصورة عامة من الدراسات (الانكلو- امريكية)، اما الدافع الالسني فهو امر اوربي نشأ من فقه اللغة الرومانسي[27]، وبسبب ذلك قد تشكلت مدرستان كبيرتان في دراسة الاسلوب:

- الأسلوبية التعبيرية وهي أسلوبية اللغة.
- الأسلوبية الفردية وهي أسلوبية أدبية.

تقوم الأولى على دراسة علاقات الشكل مع التفكير (عموم التفكير) وبذلك تتناسب مع تعبير القدماء، على انها لا تخرج عن اطار اللغة، او الحدث اللساني

المعبّر في نفسه او المقدّر في ذاته، وتنظر الى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، فهي وصفية ينصب اهتمامها على الاثر، وتتعلق بعلم الدلالة او بدراسة المعاني.

اما الاخرى (الاسلوبية الفردية) فهي في الواقع نقد للاسلوب وتقوم على دراسة علاقات التعبير مع الفرد او المجتمع الذي انشأها واستعملها، فهي اذن دراسة تكوينية تتناول الحدث اللساني (التعبير) ازاء المتكلمين، وتحدد الاسباب. وبذلك تنسب الى النقد الادبي، وتبتعد عن المعيارية او التقريرية[28].

2-2 الظاهرة الاسلوبية: طرق تحديدها، ومناهج دراستها:

إن تنوع الاتجاهات الاسلوبية وما تبعه من تنوع في مناهجها بين: التوجه الى كشف اجتماعية اللغة او تعبيريتها، ودراسة التكوين الاسلوبي وظروف تجربته، ومحاولة دراسة بنية النص كما يقدمها المؤلف، كان نتيجة لاختلاف وجهة نظر الاسلوبيين في الانطلاق من زوايا مختلفة في النظر الى تحديد الظاهرة الاسلوبية التي تقوم عليها تحليلاتهم وكانت نقطة الاشتراك في اعمالهم جميعاً هي انطلاقهم من النموذج التواصلي في التحليل. ويمكن ان تصنف جهودهم الى اتجاهين رئيسيين:

2-2-1 يضم مناهج تنطلق من عملية التواصل في التحليل لكنها تقتصر على جانب واحد بموجب مفردات هذه العملية.

وضمن هذا يمكن تصنيف مختلف المفاهيم المقترحة للتعريف بـ(الاسلوب)، بهذه الصورة إلى اربع مجموعات:

2-2-1-1 الاسلوب بوصفه تعبيراً عن شخصية الكاتب، المرسل، وعقليته وتوجهه الفكري: وهو مفهوم تعبيري تكويني للاسلوب[29]، يشمل الفرد (المنشئ) ويمتد إلى اسلوب الجنس الادبي والثقافات والعصور. وقد تبنته توجهات فقه اللغات الحديث (الرومانسية) ذات التروع المثالي، وهي اقرب الدراسات إلى منهج (جارلز بالي)[30].

والاسلوب هنا يكون اختياراً من ضمن الامكانات اللغوية[31]. ويتحدد بانه: كيفية الكتابة المتميزة لمؤلف معين. ويتكئ هذا التعريف على مقولة نظرية تفيد ان النصوص (اللغوية) ليست سوى صور للعمليات العقلية التي تنتج منها. فهي اذن

انعكاس للواقع النفسي والاقتصادي والاجتماعي للفرد المنتج، في مرحلة كتابة النص. وقد ركزت المدرسة الانجليزية، النقدية، على الجانب الفردي لمفهوم الاسلوب واشهر ممثليها في هذا الخصوص (موري) وحصرها النقاد الالمان في المستوى الشعري، أي الوجهة الادبية في التأليف[32].

2-2-1-2 الاسلوب بوصفه أثرا في القارئ، المتلقي، وينتج عن الخصائص الداخلية للنص: وهو مفهوم تأثيري عاطفي (للاسلوب) يقترب من التصور السلفي البلاغي إذ ربطت مقولات الاسلوب بالاثار الاقناعية الثلاثة: التعليم، الامتاع، والتهييج.

ويؤكد الباحث الاسلوبي اهتمامه، هنا، بالوسائل اللفظية التي تؤثر في المتلقي[33].

ويعود اصل هذا المفهوم الى (جارلز بالي) اذ يتمثل (مفهوم الاسلوب) عنده في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا في المستمع، أو القارئ، فأصل الاسلوب هو (اضافة) ملمح تأثيري الى التعبير يحمل (أي الملمح) محتوى عاطفيا[34]. وقد حاول (ريفاتير) تحديد دور المتلقي في الاسلوبية وكانت محاولته قائمة على مفهوم القارئ الجامع، او المتوسط[35]، والاسلوب في كلا المفهومين: التأثيري والتعبيري، هو كيان علائقي[36].

2-2-1-3 الاسلوب بوصفه تقليدا لواقع ما في النص: هو مفهوم محاكاتي وانعكاسي للاسلوب، يدور البحث فيه حول العلاقة بين الاسلوب والموضوع الممثل به. كأن يمثل الاسلوب (المادي) أي الموجه نحو المادة في العصور الوسطى اذ يمثل الاسلوب الرفيع الطبقات الاجتماعية العليا والاسلوب المتوسط الطبقة الوسطى كالفلاحين.

وفي القرن العشرين تكون الاسلوبية الوظيفية القائمة على التداولية، اقرب من غيرها الى التصور المحاكاتي للاسلوب[37]. ويكون مفهوم الاسلوب عندها قائما على التضمن (Connotation). إذ ينظر بحسب هذا التصور الى القيمة الاسلوبية التي تتضمنها السمة اللغوية، استنادا الى البيئة والموقف الذي أنشئ فيه النص، والمحلل الاسلوبي يتناول الوحدات اللغوية كلها بوصفها متضمنة سمات اسلوبية،

فيدرس علاقات هذه الوحدات ببيئتها وسياقها[38]. وأبرز البحوث التي أجريت في هذا المجال اهتمت بتحديد اسلوب الفترة او العصر فضلا عن محاولات توصيف الادب القومي[39].

2-2-1-4 الأسلوب بوصفه تأليفا خاصا باللغة: ويمثل المفهوم التأليفي المتعلق بالنص ذاته، إذ يكون توجه الباحث فيه موضوعيا في دراسة الاسلوب، ويقوم على عزل طرفي الاتصال، المنشئ، والمتلقي، ويهتم بالنص ذاته.

ويعالج الاسلوب في هذا النمط التحليلي بوصفه اختيارا وتنظيما دالا للعناصر اللسانية. وكان هذا التصور للاسلوب نواة أسست عليها مناهج أسلوبية متعددة. وذلك بسبب اختلاف الباحثين في تحديد زاوية الانطلاق الى وصف النص ومن اهمها:

2-2-1-4-1 اسلوبية الانزياح: وهي تقوم اساسا على فرض تقابل بين لغة الادب (الرفيعة) ولغة المعيار النحوي، المستعمل في العرف (أي اللغة الاصطلاحية) مما يؤلف نحوا ثانويا مكونا من صور الانزياح أو الانحراف. ويعني ذلك خرقا للمعيار كالرخص الشعرية أو التمثيل الدلالي في الاستعارة؛ او مكونا من تقييد إضافي للمعيار كاستخدام التوازي او التقابل وغيرها[40].

وينضوي تحت هذا المجال المنهج الذي يعد الاسلوب اضافة اختيارية الى التعبير المحايد.

2-2-1-4-2 الاسلوبية الاحصائية: وتحاول الوصول الى تحديد الملمح الاسلوبي للنص عن طريق الكم وهي تقوم على إبعاد الحدس لصالح القيم العددية، فقوام عملها يكون باحصاء العناصر اللغوية في النص، وكذلك مقارنة علاقات الكلمات وانواعها في النص ثم مقارنة هذه العلاقات (الكمية) مع مثيلاتها في نصوص أخرى. ومن أهم مزاياها انها توكل امر تحديد الظاهرة الى منهج موجه[41] محاولة بذلك التحلي بالموضوعية قدر الامكان والابتعاد عن الذاتية الانطباعية[42]. على انه لابد للممارسة الاحصائية في التحليل الاسلوبي من أن تؤدي الى اجراء توظيفي يساعد في تفحص النص واستكناه حقيقته الادبية لتخدم عملية النقد، وذلك بتجاوز عقم الجداول الرقمية، فلا تكون هذه الجداول مقصودة لذاتها.

والمنهج الاحصائي يدخل في علاقات جدلية مع بقية المناهج الاسلوبية، فالاسلوب، كما ينقل (جان كوهين) عن (بييرجيرو): هو انزياح يعرف كميا بالقياس الى معيار[43].

والاسلوبية، كما يراها (جيرو): ميدان انتقائي للتحليل الاسلوبي، وذلك لان اللغة هوية احصائية او مجموعة من البصمات، والاستعمال هو تعميم لفئة معينة منها وان أي تغيير في تواتر الاستعمال يؤدي الى تغيير في القيم الاسلوبية فالاسلوب انزياح بالنسبة الى القواعد كما يقول (فاليري)، ويشير إليه كذلك (بالي) انطلاقا من التمييز الكلاسيكي بين اللغة والكلام فالاحصاء: "هو العلم الذي يدرس الانزياحات، وهو المنهج الذي يسمح بملاحظتها وقياسها و (تأويلها) فهو اداة فعالة في الدرس الاسلوبي"[44].

2-2-1-4-3 الأسلوبية السياقية: وتقوم على المفارقة المتولدة عن الانزياح ايضا، لكن قاعدة المقارنة في الانزياح، هذه المرة، تكون داخل النص وليس خارجه، فهي ناتجة عن ادراك عنصر نصي متوقع متبوعا بعنصر غير متوقع[45].

وأبرز ممثلي هذا المنهج هو (ريفاتير)، والأسلوب هنا يعني وجود خصائص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع السياق والبيئة[46]. وهو يشمل (أي الأسلوب) السياق والمفارقة وهذهِ الأصناف الأربعة من البحث الأسلوبي يكون التركيز فيها على عنصر واحد من عناصر الأنموذج التواصلي الذي اقترحه (ياكبسون)، مما يسمها جميعا بطابع الجزئية والتجريد فكل واحدة منها تمثل زاوية نظر معيّنة للموضوع[47]. ويمكن أن نضع معظم الجهد النقدي للأسلوبية البنيوية في هذا الحقل ونستطيع ان نميز من بين مجموع التصورات البنيوية للاسلوب اتجاهات ثلاثة رئيسة هي:

- اتجاه الناقد البنيوي (رولان بارت) فالاسلوب في تصوره لغة تتميز بالاكتفاء الذاتي وتغرس جذورها في اسطورية المؤلف الذاتية، في حالة شبه مادية للكلمة اذ يتشكل اول زوج من المفردات والاشياء يحاول المؤلف ايصال محتواها الى ذهن القارئ.

- اتجاه الناقد الاسلوبي (ريفاتير) ويعني بالاسلوب الادبي كل شكل (ثابت) فردي ذي مقصدية فردية، فهو يخصصه بمؤلف معين او عمل ادبي محدد يمكن ان نطلق عليه شعرا أو نصا[48].

- اما الاتجاه الثالث فهو ما تمثله النحو التوليدي ويتحدد الاسلوب فيه انطلاقا من وصفه اختيارا يقوم به المؤلف لبعث امكانات الصياغة اللغوية، وهو اختيار للتحولات الممكنة[49].

وقد طور (تشومسكي) عام 1965 هذا المنهج اذ وضع ثنائية جديدة على اعقاب ثنائية: اللغة/ الكلام التي قال بها (سوسير) وهي ثنائية: البنية السطحية/ والبنية العميقة لاجزاء النص (الجمل)، والاختيار يقع في البنية السطحية دون المساس بالدلالة الثابتة للنص مما يعني ان الاسلوب هو اختيار في التحولات النحوية السطحية فتكون التحولات الاختيارية قائمة بوصفها تنوعات اسلوبية، والاختيار هنا يكون انتخابا واعيا في اطار محدد مصطلح على صحته[50].

وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد فأصبح التغير في النموذج النحوي يؤدي في نظر الاسلوبيين الى تغير في الدلالة الاسلوبية للنص.

2-2-2 يضم مناهج تقوم على دراسة بنية النص ضمن عملية التواصل:

2-2-2-1 اسلوبية السجلات: وهي من النظريات التي تستوعب عوامل تواصلية متعددة، في الوقت نفسه، اذ تسهم هذه العوامل جميعها في اظهار الاسلوب في اطار هذه النظرية. "والسجل يعني: تنوع الكلام بحسب الاستعمال"[51]. وهو يفيد ان هذه النظرية تأخذ بمقولة (المقام) في رؤيتها عند معالجتها للخطاب، سواء على مستواه الداخلي أم مستواه الخارجي، إذ تهتم بالعلاقة بين النص والموضوع من خلال تحديد حقل الخطاب، وكذلك العلاقة بين اللغة المنطوقة والمكتوبة، ثم العلاقة بين المرسل والمتلقي في بعض مقامات التفاعل الاجتماعي[52].

2-2-2-2 الاسلوبية السيميائية: وهي انموذج اقترحه (هنرش بليث) يقوم هذا الانموذج التحليلي للاسلوب، في الاساس، على اسلوبية الانزياح لكنه يعمل في الوقت نفسه على المستوى التداولي للخطاب فهو يعيد تشغيل نسق الصور البلاغية

القديمة الذي يستند الى مبدأ الانزياح والاثر الانفعالي، وهو تطوير لجهود مجموعة من المنظرين منهم (تودوروف) ومجموعة (ليسنج)[53].

وينطلق من الصورة البلاغية بوصفها الوحدة اللغوية التي يتشكل او يتكون فيها الانزياح فيكون فن العبارة نسقا من الانزياحات اللغوية.

ويمكننا ان نميز ثلاثة انواع من الانزياحات: انزياح في التركيب، (ويعني بالعلاقة بين الدلائل) انزياح في التداول (بين المرسل والمتلقي)، وآخر في الدلالة (بين الدليل والواقع) يرتبط بكل منها صنف من الصور البلاغية[54].

المبحث الثاني
الأسلوبية وتحليل الخطاب

مدخل إلى تحليل الخطاب

يتغير ترتيب المنظومة الهرمية للانواع المعرفية على وفق ترتيب أنماط الحيـــاة الاجتماعية من عصر الى آخر، اذ يخترق النوع او الأنـــواع المســيطرة، الانـــواع الأخرى جميعا ويخضعها لرؤيته وتوجيهه. فالمعرفة الفلسفية، والادراكيـــة للعـــالم الخارجي كانت تحتل المرتبة الاولى في اليونان القديمة وتخترق الانواع المعرفية التابعة لها من منطق وغيره في حين نجد المعرفة الطبيعية تـــأخذ المقـــام الأول في العصـــر الحديث إذ أصبحت الاولوية للعلوم الطبيعية الدقيقة وما يترتب عليها من تقنيـــات متفوقة، ثم أصبحت المعرفة التقنية ابرز مظاهر التوظيف الاجتماعي لتلك المعرفـــة وهكذا ندرك مدى التحول في الفكر عن النظرة الفلسفية التي قـــامت بموجبـــها البلاغة سابقا وما ترتب على ذلك من تحول في معالجة الخطاب الأدبي في العصـــر الحديث[55]، فمجموعة الخصائص التي تنتظم الخطاب الادبي لم تعد اليوم تنتمـــي كلها الى مجال اللغة "فالقواعد العرفيـــة وشـــروط تـــأويل الدلالـــة والاشـــارة السيميولوجية، والمفاهيم التي تستخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفعية قد اندمجت كلها بسلاسة في مهمة تحليل الخطاب الادبي"[56].

وفي اطار المعرفة الجديدة تأتي علوم البلاغة والأسلوب والشعرية، فضلا عـــن الألسنية، لتقوم بمهمة دراسة خواص الخطاب الفنية والنوعية. وتضع الجدلية المعرفية لهذه العلوم الجديدة، القائمة على كشف هوية الأبنية المحددة، (الابنيـــة الدلاليـــة السطحية) في مقابل "(الابنية الأسلوبية) المخزونة في الذاكرة والمؤثرة في المعرفـــة والمعتقدات"[57] ، تضع ماهية هذه الأبنية ومدى أهميتها في تأسيس أنواع الخطـــاب وتأثيرها في عمليات الاتصال معرفيا او وجدانيا موضع النقاش فهي إما ان تكـــون (أبنية إضافية) على البنية اللغوية الاساسية للخطاب او لا تكون كذلك وهكـــذا تقوم نظرية الخطاب (اللغوية) بوظيفتها كأساس ملائم لدراسة الوظائف والأبنيـــة

المحددة بمعنى انها لا ترمي إلى البحث اللغوي في الخطاب فحسب وانما "تقوم بوضع الأسس لدراسته من منظور خاص يجعل من الممكن ادراج البحــــوث التحليليــة التجريبية للخطاب (النص) في البحث العام للغة وعلوم الاتصال. كما يقول (فــان ديك)"[58].

وبذلك يتبين لنا انحسار اثر البلاغة بوصفها العلم الأثير في تحليل الخطاب عبر العصور وامتداداتها غير الراتبة فيها منذ ارسطو فالمعرفة المعاصرة اصبحت في حاجة لعلم عام جديد للخطاب يأخذ على عاتقه مهمة تحليل الخطابات ويفسر الملفوظات حين يدرسها على وفق معطيات الخطاب وحدها، اذ ان كل ملفوظ يحتو ي على عدد من العلاقات والقوانين التي لا يمكن تفسيرها بامكانيات علم اللغة وحدها.

وهذا العلم (تحليل الخطاب) الذي من شأنه ان يعوض البلاغة القديمــة لــه فروع: (عمودية) كالشعرية التي تهتم بصنف خطابي واحد هو الأدب، وفـــروع (أفقية) مثل الاسلوبية التي يتألف موضوعها من كل القضايا المتعلقة بالخطابـات[59] كافة.

ونحاول إجمال القول فيما يخص العلاقة بين أجزاء هذه الدائرة بتتبع مبســط لمدركاتها الفكرية من خلال دراسة تطورها بالشكل الآتي:

1- البلاغة:

هيمنت البلاغة على التفكير الشعري والمنطقي عبر العصور منذ (ارســطو) والنظريات الشعرية (الجديدة) في القــرون الوســطى، وصــولا إلى النظريــات الكلاسيكية في بداية القرن الثامن عشر[60].

وقد بدأت البلاغة (متوجهة إلى دراسة الأنماط الخطابية بأنواعها[61] مهتمــة اكثر بوسائط إقناع المخاطب بصحة قضية ما، فهي بمثابة فن القــول (Rhetoric)، ثم تحولت الى دراسة الخطاب الأدبي واتخذت الشعر موضوعا لها فأصبحت تمثل فن الشعر (Poetic) وقد اقتفى الأدب توجيهاتها.

تقلص اهتمام البلاغة، بعد ذلك، أي في العصر الروماني، فاقتصرت علــى العناصر الثلاثة الأولى من عناصر الخطابة فاهتمت بابتكار الحجج والموضوعــات ثم تنسيق الكلام وأسلوبه، ثم توجهت إلى الاهتمام بمســألة الأســلوب (Elocutio)

وكيفية رصف الكلمات في الجملة وفقاً لطريقة النظم الاكثر صلاحاً للتعبير عن الفكر أكثر من غيرها[62]. وهو ما سيكون اساساً في الدراسات الأسلوبية المعاصرة بعد اختفاء البلاغة إذ انحسرت في محاولات إحصاء الصور الزخرفية في الكلام ووضع القواعد التي تقاس ملكة النجاح وليس الابداع عند الكاتب بموجبها فاصبحت تعليمية في غايتها معيارية في هيئتها[63].

وفن الشعر في الثقافة اليونانية الارسطية يعني القواعد التي تتبع من اجل وضع القصيدة ويتعهدها الشاعر (المؤلف) ويتميز فن الشعر عن فن القول باختلاف الوظائف فضلاً عن اختلاف الهدف المرجو من تنفيذ الاجراء المعرفي لكليهما، فعمل الخطيب ينصب على التأثير في الجمهور في حين يتركز عمل الشاعر في المحاكات المكثفة للواقع الإنساني والطبيعي[64].

فالبلاغة فن وهذا يعني الصنعة فهي "منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام"[65]، وهذا يؤدي الى تميزها بمجموعة من القواعد المنسقة على أساس منطقي وظيفتها انتاج النصوص بحسب قواعد الفن المعني. يمثل الأسلوب بوصفه طريقة في الكتابة جزءاً مهماً ضمن مجال عملها، فهي فن للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت ذاته فضلاً عن كونها اداة نقدية تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي كما تستخدم في تقويم فن كبار الكتاب[66].

وكان اهتمامها مقيداً بتثمين الأفكار والحجج واستثمارها في صور بيانية وتنويعات أسلوبية دقيقة المآخذ في تحديدها وتصنيفها وتقعيدها[67].

2- البلاغة والأسلوبية:

تجددت البلاغة منذ بداية القرن التاسع عشر فكانت عاملاً في وجود الأسلوبية (علم الأسلوب) وهي علم للتعبير وعلم للأدب في آن واحد، وهناك من عدها (أي الأسلوبية) بلاغة حديثة، اذ البلاغة في خطوطها العريضة تكون فنا للكتابة. وفنا للتأليف (فن لغوي، وفن ادبي) وهما سمتان قائمتان في (الأسلوبية) ومن هنا كانت المقولة المعروفة: البلاغة هي أسلوبية القدماء، وهي علم الأسلوب آنذاك، كما كان للعلم ان يدرك وقتها ويتناسب التحليل المضموني للتعبير الذي تركته لنا مع الرسم البياني للدراسات المعاصرة: للغة، والتفكير، والمتكلم،

والمخاطب، فهي تتناول الشكل اللساني بأوجهه الثلاثة: الاجناس، المقام، مقاصد المتكلم[68].

تغير الموقف بعد الرومانتيكية ففي بداية القرن العشرين ظهرت الأسلوبية اثر نوع من القطيعة السجالية مع البلاغة، هذه المرة، بعد ان قطعت البلاغة شوطاً آخر خلال مسيرتها التطويرية[69].

اختصت الاسلوبية بدراسة ملامح الموهبة والتفرد والإبداع في الخطاب الأدبي أي دراسة فن التعبير عن حساسية الأديب باللغة في جانب من جوانبها وهو الاهتمام بالإمكانيات الاسلوبية للغة (الوظيفة الانفعالية)[70].

ونلاحظ حضور البلاغة في منهجيات الدراسة الأسلوبية في صيغة جديدة، بفعل تأثير اللسانيات والسيميوطيقا الى جانب الشعرية، بوصفها مبحثاً مؤهلاً لمعالجة انماط التعبير والتواصل المختلفة. وقد طورت الأسلوبية التحليل الداخلي والتزامني وعززت البحث المختص بجماليات الكتابة. فضلاً عن دراسة الترابط بين الشكل والمضمون ودخلت كذلك في فكرة البنية[71]، فالاسلوبية "تغطي اليوم مجموعة من الطرق المتميزة التي لا ترى الأسلوب إلا من خلال مظاهر خاصة"[72]، ويكون مفهوم الأسلوب بموجبها متنوعاً على وفق ارتباطه بتطوره التاريخي.

فاللغة لم تعد اليوم انعكاساً في الذاكرة الإنسانية لشكلٍ خارجي بل صارت أداة للتعبير عن تجربة حسية للإنسان يعيشها بنفسه، بمعنى انها تعبير مباشر عن موقف عملي تجاه افكار المتكلمين ومشاعرهم ومن خلالهم عن المشاعر الاجتماعية.

ويهتم الدارسون بالكلام ايضاً، بوصفه نتاجاً فردياً عملت محاكاة الأمة له على تعميمه وتبنيه فهو يخضع بالنتيجة الى قوانين نفسية واجتماعية، فهو في جوهره واقعة أسلوبية ولابد من رؤيته وفقاً لكونه ملمحاً أسلوبياً لانه فردي منتج في ظروف معينة. و لم يعد فناً للكتابة فحسب بل اصبح كل العنصر الخلاق الذي يُعدّ خاصية من خواص الفرد[73].

وهكذا انتهت مرحلة تبادل التأثير بين البلاغة (فن القول) والشعرية (فن الشعر) مع ظهور الرومانسية وجماليتها القائمة على (العبقرية) وقد رفضت فكرة الأثر التي اهتمت بها بلاغة الانفعال وكذلك فكرة الصنعة في مجال الأسلوب[74].

وأصبحت الأسلوبية تمثل تعريفاً مضاعفاً للبلاغة اذ تتوجه إلى دراسة الصورة وادوات التعبير وتأخذ في بعدها النظري حقيقة الأساليب والأجناس وأثرها في أنتاج النص. وأصبحت في بداية القرن التاسع عشر تهتم بعلاقة اللغة مع التفكير من جهة وعلاقة الفرد مع الامة من جهة أخرى، فكان التمييز بين مفهومين للأسلوب: الأول يعني طريقة التعبير عن الفكر والثاني يعني الطريقة الخاصة بكاتب معين وجنس وعصر معينين.

وما يميز الأسلوبية هو اتخاذها المكان المناسب ضمن مجال علم اللغة ثم جعلها موضوع دراسة نظامية وعقلانية[75]. فضلاً عن إفادتها من منجزات مناهج تحليل الخطاب، ولسانيات النص، فهي تقترب من دراسة التلفظ التي تصف الانتاج اللغوي بأنه نوع من السلوك الرمزي وليس معطىً مغلقاً ومنجزاً مقيداً[76]، بل تعده بمثابة سلوك رمزي.

فالأسلوبية بهذا المعنى تكون فرعاً جديداً ضمن شجرة علوم اللسان إذ شملها التيار العلمي في المعرفة فضلاً عن اختلاطها بالأنموذج البنيوي الهيكلي في البحث والدراسة وانسحب ذلك على ميدان الدراسات الأدبية فاخذ بتقييم الأثر الفني تقييماً موضوعياً ساعياً الى ايجاد علم الأدب[77].

فهي أذن علم السني يعنى بدراسة مجال التصرف، في حدود القواعد البنيوية لإنتظام جهاز اللغة[78].

ويتكون البحث الأسلوبي من أجزاء ثلاثة رئيسة: جزء لغوي يتعامل مع التعبيرات المنتظمة لغوياً وجزء عملي يشمل تناول اجزاء الخطاب والعوامل الداخلة فيه: المؤلف، والقارئ والسياق التاريخي (موضوع الدرس) وجزء جمالي أدبي يرتبط بالتأثير في القارئ والشرح الأدبي[79]. فالنص الأدبي اصبح مجالاً، او منطقة مشتركة بين علم اللغة والأسلوبية والنقد الأدبي.

وعلى الرغم من محاولة الأسلوبية السعي وراء الموضوعية واتخاذ نظام عقلي معين نجد البحث الاسلوبي قد تفرق في عمله عموماً بين وجهات مختلفة، فمشكلة الاسلوبية تكمن في هذا التداخل مع اللسانيات والنقد إذ انها تتابع الأسلوب، فهو موضوعها الرئيس، وتصوغ نظريتها وفقاً لمفهومه، ونظراً لتنوع هذا المفهوم فقد تشتت الجهد الاسلوبي، اذ كان على الأسلوبية بسبب مواجهتها لاشكالية الأسلوب، اما ان تتجاوز ميدانها الاصلي فتتحول الى مبحث ادبي واما ان تذوب في مباحث لسانية اخرى، اذ تعتمد اساساً، المنهج اللساني في تقنياتها الإجرائية بحسب ما يقول (تودوروف)[80].

ويبدو لنا تاريخ الأسلوبية في هيئة حلقة مستديرة فبعد ان تم تصورها بوصفها مادة لسانية نزعت تدريجيا الى اتخاذ الأدب موضوعا لها مستعيرة عند الاقتضاء بعض الخصائص التقليدية للخطاب المنتج على هذا الأدب (أي النقد) لتفضي إلى (شعرية) حريصة على ان تكون علما لغويا قائما بذاته[81].

3- الأسلوبية والشعرية:

بعد إعادة توزيع موضوعات البحث الاسلوبي على الفروع العلمية المجاورة كاللسانيات والشعرية والنقد في مجالاته المعروفة، الانطباعي، والنفسي وغيرها يكون الايذان بمعرفة نهاية الاسلوبية، اذ ان حدودها الخاصة ووجودها أساسا كان نقطة نزاع بين مؤيديها ومن خالفهم في اثبات هويتها وقد ساعد ظهور الشعرية أخيرا وتخلقها بخطابها النظري ومقتضياتها المنهجية، ايضا في انهاء المد النظري والتطبيقي للاسلوبية.

والشعرية هي ذلك العلم الذي اخذ على عاتقه صراحة دراسة ما يبني الادب في خصوصيته[82]. ولا تنفصل عن الاسلوبية في مشاركتها التقدير نفسه وهو ان الأدب موضوع لغوي بالأساس لذا تتعين دراسته انطلاقا من هذا المفهوم. لكن الاسلوبية تكون اوثق صلة بالنقد في معناه المتداول من الشعرية، ويتمثل كل منهما خطابا منتجا على الخطاب الأدبي.

بيد ان التحول الذي تمثله الشعرية في حقل الدراسات الادبية هو انها اتخذت موضوعها من داخل بنية الادب نفسه فليس موضوعها العمل الادبي ولا الأدب

بصفته مجموعة اعمال، وانما هو (ادبية) الادب أي الخاصية المجردة التي تجعل من عمل ما عملا أدبيا.

وهكذا تأخذ على عاتقها تحقيق الهدف الذي اخطأته الاسلوبية بمناسبة تحولها من دراسة اللغة الى دراسة الادب إذ اصبح العمل الادبي موضوعا خاصا بها[83]. فعملها يقوم على الإجابة عن سؤال هو: ما الذي يجعل من الاتصال اللغوي الذي يحتويه النص عملا فنيا؟[84].

وهذا يشمل الأسلوبية بوجه من الوجوه وهو العنصر النوعي نفسه في البلاغة.

4- الاشتراك بين العلوم الثلاثة المتجاورة:

إذا كانت الأسلوبية ذات علاقة وطيدة بالبلاغة الى حد انها قد تتقلص في مباحثها احيانا حتى لا تعدو ان تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي وتنفصل احيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى تكاد تمثل البلاغة كلها (كما اسلفنا) بوصفها بلاغة مختزلة، فان الشعرية يكون حالها غير بعيد عن ذلك إذ إن هناك شعرية بلاغية (وقد شاعت في عصر النهضة) تركز على اثر المقومات البلاغية وعلى استعمالها فضلا عن وجود شعرية اسلوبية مثل شعرية (ليوسبتزر) في القرن العشرين وهي تعالج أدبية النص بوصفها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية[85].

وان المنطلق البلاغي القائم على مفهوم الانحراف في لغة الشعر وهو ما اقامت الاسلوبية منطلقها النظري عليه، في دراسة الادب كان هو ذاته الاطار الموضوعي فيما انتج بخصوص اللغة الشعرية، في (حلقة براغ) خاصة، التي قامت على دراسة الادب في ذاته بعد جهود الشكلانيين الروس.

فالسمة الرئيسة التي تميز اللغة الشعرية من اللغة المعيارية كما يرى (يان موكاروفسكي) هي سمتها التحريفية، أي خرقها لمعيار اللغة المعهود او قانونها الملزم، المكون من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية، بقصد التأثير بعد الإيصال[86]. وان خصوصية اللغة الشعرية بحسب لسانيي حلقة براغ، وخلافا للشكلانيين الروس، هو تأكيدها مبدأ تعدد الوظيفة فيها، وقبل ذلك اكدت تعدد الوظيفة في النشاط الانساني عموما وان سادت وظيفة بعينها واصبحت مهيمنة،

فالوظيفة الجمالية هي السمة الخاصة التي تميز الشعر من غيره من انواع الكلام، على ان هذه الوظائف تتعايش في العمل الادبي. ولابد ان ندرك ان اللغة الشعرية ليست زخرفية بالضرورة وليس الجمال شرطها الثابت ولا تتطابق مع اللغة المؤثرة في كل الاحوال، بمعنى انها قد تكون وصفيه او تعبيرية، كما ان التصوير ليس شرطا ضروريا فيها فهناك شعر يخلو من المجاز (مثلا) لكنه يبقى شعرا.

والعمل الفني في منظور شعرية (براغ) نوع خاص من البنية وهو نسق من العلامات يقوم على الوحدة الداخلية للكل من خلال العلاقات المتبادلة بين اجزائه. لذا فالادب والفن عموما اصبحا فرعين من السيموطيقا[87].

وهكذا نلاحظ ان مباحث الأسلوبية والبلاغة والشعرية تكون من التداخل بحيث يصعب تحديد مفهوماتها الى حد الفصل المجرد فمن الصعب تحديد مفهوم قار للشعرية ذلك انها ليست في احد معانيها، إلا بلاغة جديدة كما يقول (جيرار جينيت)[88].

ومن خلال علاقة دراسات الشعرية بالسيميولوجيا والرمزية وتوجه الباحثين في مجال الدلالة في اطار الشعرية، الى الدراسات التزامنية لجميع العلاقات السببية للدوال بغرض الكشف عن الخواص الشعرية، يمكننا ان نبين وجه العلاقة بينها وبين البلاغة فالاستعارة والكناية مثلا، تتحددان بالعلاقة المتخالفة والسببية بين معنيين بكلمة واحدة، لكن كل صورة فنية تفترض علاقة سببية بين نفسها وما تماثله، بحسب ما يرى (ياكبسون)[89].

وفي ضوء معطيات هذا الواقع يمكننا ان نرى البلاغة في بعدها الأسلوبي المباشر، متمثلة في محاولة معرفة الإجراءات اللغوية المميزة للادب وتحديدها، اما الشعرية فهي المعرفة المستقصية للمبادئ العامة للشعر بالمفهوم الواسع لهذه الكلمة وهو ما يجعلها مرادفة لكلمة ادب. فالبلاغة لا تزعم لنفسها حق استنفاد الجوانب المتصلة بالنص الادبي وانما تحاول تكوين معرفة موضوعية فيه، والدراسات الشعرية تتخذ الحديث عن طبيعة اللغة الادبية وخصائصها محورا لها[90].

5- البلاغة الجديدة:

منذ نهاية عقد الخمسينات في القرن العشرين شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحوة نوعية فكانت الدعوة لما سمي بالبلاغة الجديدة وهي محاولة لاقامة علم عام لدراسة الخطابات بانواعها على الرغم من ان هذه الانبعاثات كانت في اتجاهات مختلفة، وهي تتصف بالجزئية في الوقت ذاته. وكان من العوامل المؤثرة فيها الانموذج اللساني المسيطر على قمة الهرم المعرفي الجديد(91).

وما زال مصطلح (البلاغة الجديدة) يكثر تردده في الادبيات المعاصرة ويستخدم لوصف معان مختلفة مرتبطة بحقل البلاغة او لوصف حقول معرفية اخرى. كما هي الحال مع الاسلوبية(92) فهي فكرة حديثة عن البلاغة تقوم على تصنيف اولى لحقولها (كالاستعارة) فهذا المصطلح يتكلم بلغة العصر(93).

على ان هناك من يرفض استخدام هذا المصطلح، فبحسب رأي (رولان بارت)(94): انها لم توجد بعد، وهو ما مثله التيار ما بعد البنيوي (التفكيكي) على وجه الخصوص ايضا، اذ يدعو الى أن لا تقتصر البلاغة الجديدة على الصور البلاغية بل ينبغي ان تكون فلسفة للعصر انطلاقا من توسيع الدراسات التاريخية للبلاغة بإضافة طرق للتفكير حديثة في ما يخص اللسانيات والسيمياء وغيرهما من علوم العصر(95).

وثمة انبعاث آخر لها في مجال الدراسات التداولية (أو التواصلية) في الولايات المتحدة كما جاء في بحوث: (كارل هوفلاند) وجماعة (ييل) ممن اخذوا بمقولات علم النفس التجريبي ودعوا الى ما سمي بـ"البلاغة العلمية الجديدة"(96).

فالقرن العشرون، إذن، قد شهد انبعاثا بلاغيا واضحا و لم تعد البلاغة فيه مجرد بحث في عملية الاقناع أو محاولة لتحليل الخصائص الجمالية للاسلوب إذ انها تجاوزت البعد الجمالي الذي انحصرت فيه بشكل صارم، من قبل ذلك، واخذت طابع العلم أو ان بحوثها نزعت إلى ان تصبح علما مقاما على وفق نظرية متخصصة وحاول الباحثون تطويرها وجعلها مبحثا علميا عصريا فقد دخلت حقول معرفية اخرى كالنقد الادبي والانتروبولوجيا (علم الاجناس) والسيمياء واللسانيات والتحليل النفسي وما تطور عن الفلسفة، في مجال عملها. فاصبحت تسعى لان

تكون علما واسعا ليشمل حياة الانسان كلها في المجتمع، فهي محاولـــة لوصـــف الخصائص الاقناعية للنصوص عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل علـى انضاجها[97] فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة الجديدة "تنظر الى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في اطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها"[98].

وهذا يعني منطلقا جديدا للبلاغة ومفهوما مضافا لهـــا بوصفــها نظريــة للخطاب تسعى الى الكشف عن بنية المعاني التي يتألف منها الخطاب[99].

إن نمو بحوث البلاغة الجديدة منذ بداية عقد الستينيات (ونهاية الخمسينيات) قد وجد عبر افاق ثلاثة متجاورة ومتتالية وان كانت متباينة في اهدافها وبرامجـــها، فهي تسعى جميعا لايجاد طرق جديدة في دراسة البلاغة، انطلاقا من داخل البلاغــة نفسها، فضلا عن سعيها جميعا لتمثيل طرائق مختلفة في منظور التجديـــد وادواتـــه المنهجية.

وهي كما يأتي:

5-1 البلاغة البرهانية الجديدة:

وهذا المنطلق في الدراسة قد بدأ على يـــد (بيرلمـــان)، ثم تبنتـــه مدرســـة (بروكسل) فأول وجود لهذا المصطلح كان في عنوان احد مؤلفات الكاتب والمفكر (بيرلمان) وهو (مقال في البرهان. البلاغة الجديدة) وقد اعتمد محاولة لاعادة تأسيس البرهان او المحاجة الاستدلالية، بوصفه تحديدا منطقيا بالمفهوم الارسطي وقد ركـــز جهده في العمل على دراسة المنطق القضائي والتشريعي ثم يشمل بعد ذلك الفلسفة او الايدولوجيا بصفة عامة[100].

واهم مبادئ البلاغة هنا "انها تدور حول وظيفة التواصلية للغة وانها ليســـت منبتة الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية"[101].

فهدفها هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثـــارة تـــأييد الاشـــخاص للفروض التي تقدم لهم او تعزز هذا التأييد، على تنوع كثافته، اذ لابد من تجنـــب الخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة وبين ما يشير الى هذا التأييد.

ثم توجه (بيرلمان) الى دراسة الرأي الجدلي الفكري، معنيا بالنصوص المكتوبة المنشورة، اخذا بالنظر توجه الخطاب الى القارئ في النص المكتوب، والتحليل هنـــا

يتناول الحجج البرهانية فلسفيا، وهي ذات طابع عقلي، اذ لا يخضع القراء لايحاءات وضغوط او مصالح واهواء كما يخضع مستمعوا الخطابة فالتقنية البرهانية تشمل مستويات النص كلها.

واهم خصائص البلاغة الجديدة الأساسية في نظره الها منطقية وليست تجريبية ومن اهم مبادئها هو رفض الفصل بين الشكل والمضمون والدعوة الى ترك محاولة دراسة الابنية والاشكال الاسلوبية، بمعزل عن الهدف الذي ينبغي ان تؤديه في عمليات البرهان[102].

5-2 البلاغة البنيوية العامة:

لقد انطلقت البلاغة البنيوية العامة من البنيوية النقدية ذات (النزوع الشكلاني) وتقف مباحثها في مقابل التقاليد المدرسية للبلاغة، ويمثلها من عرفوا بالبلاغيين الجدد في فرنسا والمانيا، وقد تبنت هذه الفكرة جماعة (أوم) وتتميز بسمات منها: القطيعة مع التقاليد البلاغية القديمة وغلبة الطابع غير التاريخي عليها، فهي ترتبط بالتجربة الشكلية، فضلا عن ان من مبادئها اختفاء الطابع العلمي لفكرتما في البحث اثر انتصار البنيوية وما بعدها خصوصا بعد قيام علم اللغة بدور الريادة، وتزعم الثقافة. إذ برز علم العلامة او علم الإشارات أيضا، وهي قد خففت من اهمية العبارة في مقابل الاهتمام بالموضوعات والتراكيب، على العكس من البلاغة القديمة الكلاسيكية، واهتم انصارها بتحليل علاقات الاجزاء الخمسة المعروفة في البلاغة، الاغراض والترتيب والعبارة والذاكرة والفعل بنظائرها في النظام اللغوي الحديث عن طريق التمييز بين عمليات التلفظ والياته واللفظ في ذاته وعملت على وصف العمليات البلاغية في جملتها على وفق اسس جديدة وهي تنظر اليها على الها انحرافات او تحولات تتضمن تصورات متعددة فهناك عمليات جوهرية تشمل الحذف والاضافة، وعمليات علائقية تنحصر في تغيير النظام السياقي لسلسلة الكلام المنطوق او المكتوب[103].

5-3 التحليل التداولي للخطاب:

وهذا الاتجاه يتجاوز البنيوية ويعتمد معطيات السميولوجيا أساسا له من ناحية والتداولية والاتصال من ناحية اخرى حتى اصبح بالامكان فهم السيميولوجيا

بوصفها بلاغة معاصرة، بحسب ما يقول (رولان بارت)، او يمكن ان تكون منهجا جديدا في تحليل الخطاب فهي اذن بلاغة للخطاب[104].

وإن مفهوم بلاغة الخطاب هذا مرهون بالاعتداد بها كعلم لكـــل انـــواع الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي، مما يعني، الاقتراب من الخطـــاب ذاتـــه بوصفه موضوعا خارجيا بافتراض وجود فاعل منتج تكون له علاقة حوارية مـــع مخاطب او مرسل اليه واصحاب هذا المذهب يرون ان الخطاب ينقسم الى نوعـــين كبيرين:

الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر بحسب حضور القائل في نظامه وعود الضمير على المتكلم او الغائب فيه. ثم ما لبث هذان الاتجاهان حتى اســـفرا عـــن منظومة متسقة من الاجراءات التي تفيد من المنظور التداولي في اللغة بقـــدر مـــا تستثمر امكانيات التحليل السيميولوجي للوحدات الوظيفية في النصـــوص تحـــت عنوان شامل هو تحليل الخطاب[105].

المبحث الثالث

النص (Text) والخطاب (Discourse)

مدخل: مفهوم النص والتحول الى الخطاب

إن تحديد تعريف جامع لـ(النص) عملية ليست سهلة إذا لم تكن مستحيلة إلى حد ما، ولكن يمكننا الوقوف على مفهوم لهذا المصطلح إذا ما لجأنا إلى جهة معرفية تتبنى هذا المفهوم، ففي النقد الأدبي عموما يكون تعريفه فضفاضا إذ "لا يعني اكثر من انه، الكلمات الموجودة على الصفحة بعناصره السياقية والتاريخية التي يفترض أن تحيط به"[106] إذن فهو يمثل عملية اتصال في مظهره العام.

ومادمنا في مجال نقد الأدب نجد أن من الالزام أن نشير إلى ان الأدب في أي صنف من اصنافه، ومهما كان جنسه، هو نص في المقام الأول وان أحد الملامح الاساسية في تناول (النص) هو التأكيد على جذوره ودوره كما هو ماثل في خطاب المجتمع[107].

ولا نريد ان نجعل من عملنا هنا، مجالا لسرد المقولات في معنى النص وتعريفاته بيد اننا نشير الى بعض مفاهيمه التي تهمنا بوصفنا دارسي ادب. فالنص الذي نتحدث عنه، في النقد، هو نص ادبي ومادام الادب ابداعا قبل كل شيء فهو يبقى فوق ما يوضع له من تقنين في القاعدة النظرية او المعيار.

والنص الادبي في أحد تعريفاته: "بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية لان حدوثه نفسي لاشعوري، وليس حركة عقلانية"[108].

وهذا يعني في جزء منه، ضربا لمفهوم (البنية) والنظام الكامل، ومادام الامر كذلك فقد يجد القارئ مسوغا في عدم قبول القول بأنه "بنية شمولية لبنى داخلية"[109].

لكن هذا العائق يزول بفهمنا لمعنى شمولية البنية بوصفها انسجاما على وفق النظام الذي يعرف به (النص) اجتماعيا، بمعنى انه كيان متداخل المستويات،

يخاطب متلقياً (قارئاً)، وانه عملية انتاجية يعيد (القارئ) بها بناءه على وفق قواعد نظامه التي تشكل بها، ومن حيث كونه اداة للتواصل بين طرفين[110]، فهو نسيج لغوي وجهاز مفهومي[111].

وقد تحول الاهتمام، فيما يخص دراسة (النص) في الدرس النقدي الحديث (البنيوية وما بعدها، فضلاً عن المناهج المتأثرة بها في النشأة كالاسلوبية) عنه في السابق، فاذا كان فقه اللغة قديماً يهتم (بالنص) بحثاً عن الحقيقة فيه[112]، فأن اللسانيات تكون الأرضية الأولى التي يقوم عليها البحث النقدي الحديث، وهي مرجع القراءة الأساس، وإذا كانت اللسانيات قد اهتمت برصد الجملة (بما اشتملت عليه من أجزاء)[113] فإن الدراسة المتأثرة بالبنيوية سعت الى تطوير الادوات اللسانية منذ (دي سوسير) كما سعت الى البحث في علامية النص عامة[114]. فالنقد لا يعرض أسئلة كونية ولا يثير مسائل، ميتافيزيقية، وانما يدرس كيفية توجيه هذه الأسئلة وما يقدمه العمل الادبي من اجابة عنها[115].

وبذلك نكون على تصور يوازي التأكيد بأن النص يكون اقرب الى دائرة الدراسة النقدية والبلاغية منه الى فقه اللغة، وهو خاضع في كل احواله، لمبادئ العلم الوضعي[116] وسواء أكان هذا النص شفهياً أم مكتوباً، فانه يمثل حقيقة مباشرة للفكر والشعور.

وهو معطىً اولي لأنظمة متعددة منها: الألسنية او فقه اللغة والادب، ولكل الفكر الالسني بما يتضمنه من فكر ديني وفلسفي[117]، هذه الحقيقة (النص) تتمثل بالكلام، وهو ما ألجأ (رولان بارت) الى مقابلته بمصطلح الاثر الادبي، وكان الاثر مجال حديثه في قوله: "لا يجب ان نخلط بين النص والاثر الادبي، اثر ادبي: ذلك شيء مفروغ منه، نحتفظ به، ويستطيع ان يملأ فضاءً فيزيائياً أما النص فهو حقل منهجي، فإن الاثر الادبي يحمل باليد والنص يحمل بالكلام"[118].

وقبل أن يستوي البحث في النص علماً وتتكون (نظرية النص) كما اعلنها (رولان بارت) كان النص محط إهتمام الباحثين، فهناك من بحث مسألة الاتساق (الانسجام) في النص، وهي الكيفية التي يتماسك بها النص ليتميز عما ليس نصاً، ثم مسألة النصية والعلاقات التي تربط اجزاءه، إذ "تشكل كل متتالية من الجمل نصاً

شرط ان يكون بين هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر واخر وارد في جملة سابقة او جملة لاحقة، او بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"[119].

واصبح العمل فيما بعد البنيوية منصباً على محاولة الدخول في صراع الفصل بين جزئي الثنائية: نص Text/ عمل Work، فهما موضوع الدراسة الذي يكشف المحلل عن طابعه البنائي الدال.

بيد أن الانتقال من مفهوم (العمل) الى مفهوم (النص) يمثل الحلقة التي تحولت فيها اسهامات (البنيوية) الى ما بعدها. إذ تبلور نوع من التقابل بين (العمل) و (النص) وصار (العمل) هو (الموضوع) المنجز الذي يتكون من كتابة منغلقة على نفسها، على عكس (النص) الذي اصبح مجالاً منهجياً لا نعرفه الا في نشاط القراءة أو في نشاطنا في انتاجه، واصبح ذلك يمثل الفارق بين (الشيء والعملية) و (النتاج والإنتاج) و (الدال والمدلول).

وإذا كان العمل ينطوي على (الغائية)[120] في معناها اللاهوتي التي يشير فيها المصنوع الى صانعه الاول (المؤلف) فإن النص يغدو مجالاً من النشاط يستفز قارئه المنتج ويتخلق معه وبه[121].

وبحسب رأي (تودوروف) فإن النص الادبي يتحدد من خلال جوانب مركزية هي: الدلالة، التركيب، الفعل، وهي جوانب مدركة منذ القدم، إذ نجد البلاغة تقسم حقولها الى: فعلي (Eloctic) وتركيبي ودلالي، وبعد ذلك جاء عمل الشكلانيين الروس موزعاً في الادب على ثلاثة جوانب: اسلوبية وتركيبية وموضوعية (Thematic) والجانب اللفظي (الفعلي) بحسب (تودوروف): هو الجانب المركزي فيما يخص البويطيقا (بمعنى الشعرية) وقد حظي باهتمام العديد من التيارات النقدية الجديدة: الاسلوبية، ووجهات السرد والابحاث المورفولوجية الالمانية[122].

أما البنيوية التي انحصر ميدان عملها في النص ويمثلها (تودوروف وجينيت) في عملهما بما يخص البويطيقا (الشعرية) فقد انطلقت من المستوى اللفظي اساساً.

فمعنى النص يكون من خلال اللغة، ويتمثل في التركيب الداخلي له فهو رهن ذلك التركيب الذي يتضح فيه التعليق المتراتب للاجزاء على الكل. إذ أن النص: "مجموعة من العمليات السيمولوجية التي تأخذ اثناء جريانها في انتاج معناه"[123]. بحسب ما أوضحت اتجاهات تحليل الخطاب في تيارها التداولي الذي اخذ بمفهوم شمولية تحليل الخطاب[124]، فوصف التوظيف السيمولوجي (في النص) لا يتأتى عن طريق تحليل المكونات المعجمية والجملية فحسب وانما عن طريق البحث في الخطاب بأكمله[125].

وعموماً فإن المنظرين ينقسمون على ثلاثة أقسام في النظر إلى النص:

- يذهب جماعة منهم الى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته، يمثلهم (تودوروف) فالنص في رأيه نظام تضميني نستطيع التمييز بين مكوناته على ثلاثة اوجه: ملفوظي، ونحوي، ودلالي وهو يوازي النظام اللغوي ويتداخل معه.

- وقسم ثان يعرفه من خلال ارتباطه مع الانتاج الادبي، ويمثله (رولان بارت) الذي وجد عند (جوليا كرستيفا) تعريفاً جامعاً أو أصولياً، فالنص: "آلة نقل لساني وإنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي أي المعلومات المباشرة، في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة او متزامنة ومختلفة، فالنص بهذا المعنى فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ، وقبل ذلك قدم مفهوماً للنص وسمه بأنه تقليدي وشائع ومؤسسي، فهو نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بشكل ثابت، أهم مهماته انه يضمن بقاء الشيء المكتوب، وهو مرتبط تاريخياً بعالم بأكمله من النظم (القانون والدين والادب والعلم).

- وأخيراً يذهب قسم ثالث إلى ربطه بفعل الكتابة يمثله: (بول ريكور) وهو منظور إيصالي فالنص هو كل خطاب تثبته الكتابة، إذ هو أداء لساني وإنجاز لغوي يقوم به فرد معين[126].

1- علم النص ونظرية النص:

يفهم (علم النص) على أنه نظرية وتطبيق في مجال إعادة التكوين العلمي للنصوص[127].

وإن موضوع علم النص هو الدلالة الكلية للنص وهي تنجم عنه بوصفه بنية كبرى شاملة[128]، وبحسب رأي (رولان بارت) فإن نظرية النص هي أولاً نقد مباشر لأية لغة واصفة أي انها مراجعة لعملية الخطاب[129]، ويمكن وضع جملة العمل النقدي الموجه الى النص في تصورين كبيرين له: احدهما استاتيكي (ثابت) ففيه جمال حر، والآخر (ديناميكي) متحرك، وقد تبناه التفكيكيّون ويرتكز على مفهوم التناص[130].

فالأول يعنى بالنص بوصفه (بنية) وهو جملة من الأبنية المركبة ذات الامتدادات المتعددة، ويتناوله بوساطة التحليل اللغوي ويتمثل المنهج البنيوي في النقد الأسلوبي.

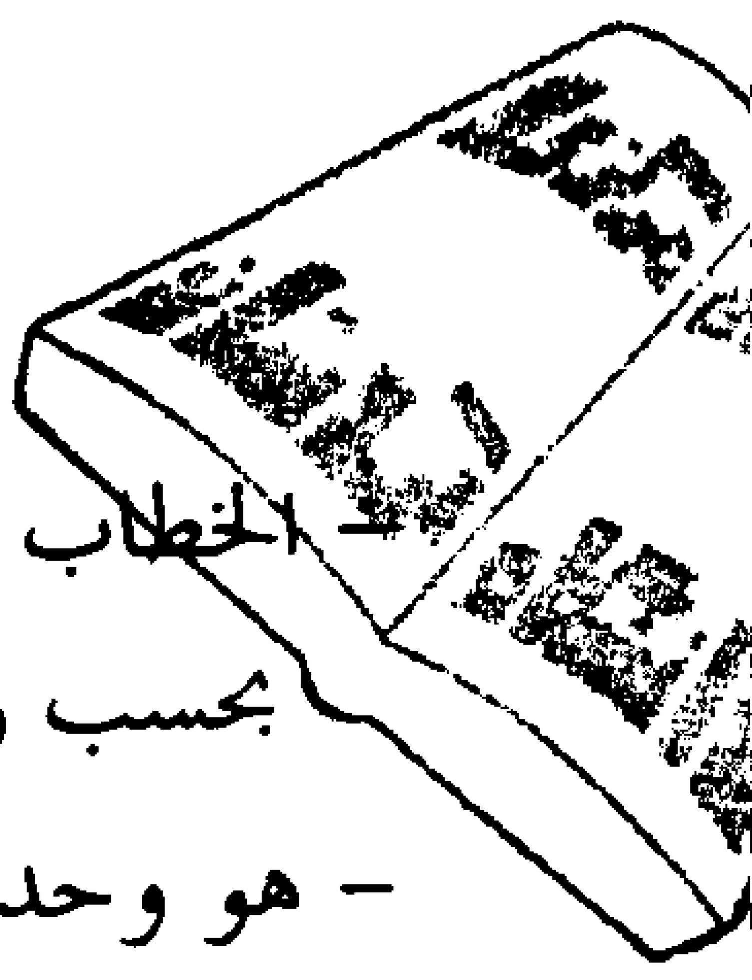
وأما الآخر فهو تطوير للتحليل السيميولوجي بحسب ما ورد عند (امبرتوايكو) إذ ادخل مفهومات الاتصالية على فهم النص وصار الاعتداد بكل ركائز النص، المادية والفسيولوجية والعناصر المتخالفة في محور الاختيار والعلاقات الاستبدالية القائمة على محور التركيب والدلالات الاشارية فضلاً عن الفضاء (الايديولوجي) ويأخذ بمفهوم السياق النصي Contexte ويعتمد منهجية التناص في التحليل[131].

2- مفهوم الخطاب (Discourse):

تعددت مفاهيم مصطلح (الخطاب) بتعدد تصورات المهتمين عنه، تلك التصورات المتمايزة من بعضها والمتكاملة في الوقت ذاته، اذ تنوعت المنطلقات نتيجة اختلاف فهم المهتمين على وفق التطور في ما أنتج في مجال نظريته، وذلك انطلاقاً من وصفهم له بأنه مجموعة من افعال الصياغة والجمل والقضايا.

فالخطاب مجموعة من العلامات توصف بانها عبارات (ملفوظة) يمكن تعيين انماط وجودها الخاصة، هذا من الناحية السيميائية، ولقد تعدى اللسانيون هذا المفهوم وتجاوز المناطقة واصحاب التحليل التواصلي ما قدمه سابقوهم بإعطائه تصوراً اكثر شمولاً في عملية الاتصال[132]. ويمكن تلخيص مفاهيمه بالآتي:

- الخطاب مصطلح مرادف لـ(الكلام) parole، بحسب رأي (سوسير) اللساني البنيوي[133]، وهناك خطاب ادبي بحسب رأي (موريس).



- الخطاب وحدة لغوية، ينتجها الباث (المتكلم)، تتجاوز ابعاد الجملة او الرسالة، بحسب رأي (هاريس)[134].
- هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية بحسب رأي (بنفنست).
- مفهوم الخطاب يقابل مفهوم الملفوظ، في المدرسة الفرنسية، إذ انهم يرون ان النظر الى النص بوصفه بناءً لغوياً يجعل منه ملفوظاً اما البحث في ظروف انتاجه وشروطه فانه يجعل منه خطاباً[135].
- وهو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة، في استعمال اللغة، بحسب رأي (تودوروف)[136].

فهو: أي منطوق او فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع وعند الأول فيه نيّة التأثير في الآخر بطريقة معينة كما يقول (بنفنست)[137].

إذا ما تجاوزنا المفهوم اللساني للخطاب فأن باستطاعتنا أن نجد له تعريفات اخرى فهو فضلاً عن كونه مجموع التعابير الخاصة التي تحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الايديولوجي[138]، أي مجموع النصوص والاقوال ذات النظام والتنظيم[139]، يعرف كذلك بأنه "الطريقة التي تشكل ها الجمل نظاما متتابعاً تسهم في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص، وعلى نحو يمكن معه ان تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكل نصاً مفرداً. وتتآلف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكل خطاباً أوسع ينطوي على اكثر من نص مفرد"[140].

كما يشير مصطلح الخطاب الى نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي بغية تملكه معرفياً، ومن ثم يفهم منطقه الداخلي، وذلك عن طريق عملية فكرية محددة تنتظم بناء المفاهيم والمقولات بشكل استدلالي بحكم الضرورة المنطقية التي تصاحب عملية انتاج المفاهيم[141].

وأخيرا يمكن تلخيص مفهوم الخطاب من خلال وضع الاصطلاح الاكثر عمومية له فهو "نظام تعبير متقن ومضبوط"[142].

وهذا النظام ليس في جوهره الا بناء فكريا يحمل وجهة نظر، وقد تمت صياغته في بناء استدلالي، أي بشكل مقدمات ونتائج[143] ويجري الخطاب بين

(مرسل) و (متلق للرسالة) ضمن عملية الاتصال، فهو إذن المعرفة المنظمة الخاصة بجانب محدد من الواقع او ظاهرة محددة، ومن ثم يمكن الحديث عن خطابات متعددة سياسي، وفلسفي، وادبي.

وهكذا فان مفهوم الخطاب يظهر بوضوح من خلال الفصل بين اللغة بوصفها مفهوما مجردا، وهي نظام متجانس في الوقت نفسه، وبين اللغة في حالة الاستخدام اذ تكون ممارسة اجتماعية وهي تكون عندئذ ظاهرة اجتماعية محكومة بجملة شروط وظروف تكون بها جزءا من سيرورة المجتمع، ومن هنا يمكن تمييز اشكال ثلاثة لمفهوم الخطاب، بين المدارس الفكرية والحقول المعرفية، والانطلاق منها في تحديد المصطلح (أي الخطاب Discourse)، وهذه الاشكال او المفاهيم الثلاثة تتداخل فيما بينها وتتكامل الى حد معين. فهناك منظور لساني للخطاب، يستخدم (الخطاب) في وجهات ثلاث فهو: الكلام وهو مرادف للملفوظ ثم هو اكبر من الملفوظ، وقد امتد ذلك المفهوم في داخل مناهج المشروع البنيوي، اذ بقي المفهوم اللساني مهيمنا.

ثم كان المفهوم السيميائي للخطاب (ما بعد البنيوية) وهو ماقام به (بول ريكور) وقبله (بنفنسيت).

ومن بعده نجد (فوكو) يخرج عن المنظور اللساني للخطاب اذ يتحدد الخطاب بصورة نهائية كمجموعة من العبارات التي تنسب الى نظام التكوين نفسه وعندها نستطيع الكلام عن خطاب اخباري أو خطاب اقتصادي او ثقافي او غيره وهذا هو المنظور التواصلي (الاجتماعي) للخطاب[144].

ونظرية الخطاب قامت أساسا على مبدأ يفيد أن العلاقة بين الخطاب والواقع الخارجي ليست علاقة تمثيل او انعكاس او تعبير فالخطاب نفسه هو حدث مادي وممارسة اجتماعية لها قوانينها واشتراطاتها التي ينبغي الكشف عنها[145].

3- الخطاب والنص (علاقة الاحتواء):

إن الخطاب هو "مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي انه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع اليه في وقت لاحق"[146].

فهو اذن يشمل النصوص و (الاقوال) ذات النظام البنائي والبنية المنطقية المنظمة على وفق قاعدة بيانية[147]. والخطاب بهذا المعنى يكون اوسع من النص في الاطار المفهومي وهو يشمل النص، إذ يرجع النص الى الخطاب، فهو (أي الخطاب): "مجموعة من المنتجات الفكرية التي يراد ايصالها الى متلق عبر نصوص مكتوبة او مسموعة، او مرئية، والتي تقدم موقفا شموليا او جزئيا من قضية او مشكلة قائمة او مفترضة، أي ما يقدم من الفكر وجهة نظر في موضوع ما"[148].

فهناك مؤشرات للعامل النفسي والوضع او الاطار الاجتماعي، وعلاقة المرسل (المتكلم) بالمتلقي من خلال النص الذي يتوسط عملية الاتصال، في داخل مفهوم الخطاب ذاته.

وهذا ينطبق على الخطاب النقدي في شموليته وتفصيلاته الدقيقة على اختلاف اشكاله المنهجية.

فالخطاب الذي هو مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد، يكون عالمه (فضاؤه) اوسع من عالم النص، فاذا كان عالم النص هو "الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة احداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية او مجتمع ما"[149] فضلا عن كونه جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في كلام المتكلم[150].

وبحسب ما يقول (فوكو) فان ما يسمى خطابا هو مجموع المنطوقات التي تعود الى الصياغة الخطابية نفسها مما يؤلف وحدة بلاغية او صورية يمكن رصد تكرار ظهروها عبر التاريخ ويكون للخطاب شكل واقعي وليس شكلا عقليا او فكريا محضا وله زمن معين فليس زمانه اضافيا و بحكم انتمائه الى حقل المنطوقات فانه يتصف بالتفرد والمغايرة[151]. وبذلك يمكن بحسب رأيه تحديد الخطاب عبر تحديد انواع المنطوقات التي حدثت بالفعل[152] أي اننا نتبع منهجا تحليليا دقيقا في هذه الحالة يجعلنا قادرين على فهم وتتبع نمط الخطاب من خلال تجميع المنطوقات التي تتعلق بموضوع معين[153].

تبقى مشكلة (البنية) في تحديد المفهوم (فالخطاب) على الرغم من كونه مصطلحا لسانيا، فهو يشمل كل انتاج ذهني، وهو يقوم على منطق داخلي وله ارتباطات مؤسسية[154]، ومن ذلك نستنتج انه شيء فوق البنية النصية (المحددة لسانيا) إذ هو بنية فكرية تنبعث في نص ينتمي الى سياق خطابي معين.

وإذا كان الخطاب يستند اساسا الى (اللوغوس)، أي العقل او الفكر المعرفي، فهو هنا ليس مجرد فكرة او مخطط بل هو نظام في الاشياء او الحوار[155].

وهذا يفيد أن "ادبية الخطاب الفني ليست ملكا عينيا لمفاصل فيه دون اخرى وانما هي ملك مشاع بين جميع اجزائه لانها وليدة التركيبة الكلية لجهازه انطلاقا من الروابط القائمة فيه والضابطة لخصائصه البنيوية"[165].

ويصبح النص جزءا من الخطاب اذ هو أداة من ادوات التخاطب أي انه مقولة لغوية اسقطت في اطار نظام الاتصال اللفظي البشري كما يشخصه (ياكبسون)[157].

ومن اهم مميزات الخطاب بوصفه نظاما: الترتيب (التسلسل) في الافكار والملفوظات، وخضوعه لقواعد الاجناس الادبية، وهي قواعد انواع محددة من التشفير، وتميزه باسلوبه الخاص، إذ هو عمل فني فرديته هي المميزة لماهيته[158].

والجنس الادبي الذي يفرض على الخطاب مفهوما لا شخصيا لنظام الاستعمال ويقيد فرديته لابد ان يفهم بطريقة اخرى اذ هو: "صيرورة توليدية ينتهي في اداء الخطاب المفرد، ونحدد من هذا المنطلق، مهمة (الاسلوبية) بوصفها نظرية مخلصة للشروط العامة التي تحكم ادخال البنية في التطبيق العملي الفردي"[159]، وهكذا يزول التعارض بين مفهوم الاسلوب ومفهوم العمل الادبي الذي ينتمي الى الجنس في اطار الخطاب.

إن الخطاب يبنى على موضوع، وهذا الموضوع لابد ان يكون مفهوما وإلا بطل ان يكون خطابا، اذن فهناك بنية متعالقة تشمل الخطاب القائم على الموضوع هذه البنية تؤدي الى الفهم وهو ما يؤلف حوارا [160].

والحوارية في مفهومها الضيق، احد اشكال تكوين الخطاب[161] وهي تمثل حياة النصوص وعلاقاتها في داخل الخطاب، وهي تختلف عن العلاقات الالسنية التي توجد بين العناصر داخل نظام اللغة او في الكلام المنطوق معزولا.

فعلاقات المعنى، داخل النص الموصوف، الذي من المحتمل ان يكون كلاما غير محدد بشكل من الاشكال، كما هي الحال في نظام العلم مثلا، هي علاقات ذات طبيعة عملية منطقية، في حين ان علاقات المعنى بين نصوص عديدة تكون ذات طبيعة حوارية[162].

وهكذا يمكن ان نحدد اهم علامات النص النقدي، فهو ينتمي الى جنس الدراسة العلمية، إذ ان "خطابا من دون مواضيع مبنيا فقط على المعنى أو الوظيفة يبقى حوارا غير مكتمل"[163] أي (دراسة علمية).

والنص بوصفه تمثيلا لانعكاس اولي للعالم على الذات المبدعة، أي تعبير ذاتي عن عالم موضوعي، يعني انه تعبير عن وعي المبدع بالشيء المعبر عنه، وهذا النص هو المعطي الاولي (أو الحقيقة) ونقطة الانطلاق لكل الأنظمة في العلوم الإنسانية[164].

4- النص النقدي والخطاب النقدي:

إذا كان النص الأدبي يمثل انعكاسا لعالم موضوعي وهذا يعني (الوعي) فهو موضوع معرفة اخرى، ذلك ما يتعلق بالنص النقدي باشكاله، اذ هو انعكاس لانعكاس، وهو يعني (الفهم) ويؤدي الى الموضوع المنعكس[165].

والنص النقدي في ذاته يكون موضوعا للنقد الموجه اليه في عملية الحوار النقدي (نقد النقد).

وهكذا يمكن تحديد نوع الخطاب، فهناك نوعان من الخطاب الأول ايصالي، والاخر ابداعي، مدار الدرس في الاول يقوم حول سؤالين، ماذا يقول الخطاب من ذا الذي يقول؟، اما الاخر فإن الدرس يدور فيه حول سؤال واحد هو كيف يقول الخطاب ما يقول؟[166].

وهذا الأخير يقع في صلب عمل الناقد إذ ان مهمته الرئيسة هي دراسة الخطاب الابداعي ليكون له خطابا جديدا يمكن ان يقع في حقل دراسة جديدة هي نقد النقد الذي نسعى إلى خوض غماره، وتكون محاولتنا فيه على خط وسط بين الخطابين آنفي الذكر.

فالخطاب النقدي هو خطاب ايصالي وابداعي في الوقت ذاته، وعملنا فيه يتلخص بتوجيه (خطاب نقدي) للنقد، وهو اقرب الى الجانب الاول من المعادلة على الرغم من عدم إغفاله الجانب الاخر. فنحن اذن إزاء خطاب علمي يستقي مادته من الواقع الفني، ويهيمن فيه (الجانب المعرفي) على (الجانب الايديولوجي)[167].

وأن أهم ما في عملنا هو كشف واقع القول النقدي أي ما يشتمل عليه من عناصر الخطاب، والسلطة الموجهة لهذا الخطاب ثم بعد ذلك تكون مهمة الكشف عن آلياته وكذلك منطلقاته الفكرية فضلا عن وصفنا لطريقة القول في آليات الكلام، فوق اللغوية، مما يدخل في البعد السيمولوجي للنصوص.

وقبل ذلك تلزمنا الإشارة الى ضرورة استنتاج مفهوم الخطاب النقدي وعلاقته بالنص النقدي وقد بينا قبل ذلك مفهوم النص والخطاب عموما ويمكن القول أن النص النقدي: هو ذلك النص الذي يبثه الناقد بقصد الاتصال بالقارئ محملا اياه نشاطه الفكري والثقافي مما يتصل بعالم الابداع الادبي ويتعلق بادبية الادب عاملا على إثارة افكار القارئ التي تتعلق بالموضوع الادبي المتفق عليه ومنشطا فكره من خلال تناسب تلك الافكار.

اما الخطاب النقدي فهو جملة النصوص المتعلقة بموضوع ادبية الادب التي يحاول المتكلم مطابقتها في عالمه الفكري والحضاري اذ تتوجه في سياق معرفي واحد هو شمولية الثقافة الادبية باعثا جملة الاحداث "التي تؤلف موضوع النصوص المشترك بينها في اذهان الجماعة الثقافية التي يتصدى الناقد لمحاورها"[168].

و "بحسب نوع الخطاب الذي سنسقط عليه عنصر العمل سنجد انفسنا إما ازاء نقد سيمولوجي او تحليل نفسي او فلسفي ولكن سيكون الامر دوما (تأويلا

او قراءة) للأدب في نوع آخر من الخطاب في حين ان البحث عن المعنى لا يقودنا خارج الخطاب الادبي نفسه. وهنا ربما ينبغي وضع الحدود بين نشاطين ذوي قرابة، ولكن يظلان مع ذلك متمايزين ونعني هما الشعرية Le poétique والنقد Le critique"[169].

وهكذا نتوصل الى القول إن الخطاب النقدي هو بمثابة قراءة تأويليه للعمل الإبداعي وليست سعيا وراء ادراك المعنى المحدد فيه، وان معنى أي وصف او حوار في العمل انما يدرك ويتحقق منه بعلاقاته مع العناصر الاخرى للعمل[170].

وإن قراءة الناقد، هذه لا تخرج عن نطاق الخطاب الذي يحتويه[171].

أما عن خطاب الأسلوبية في النقد فهو يقوم، بحسب ما نرى، على دراسة النص الادبي دراسة وصفية وتصنيفية ولا يختلف عن النقد البنيوي في اتخاذ المفاهيم الالسنية إذ يعد الادب نتاجا لغويا بالدرجة الأساس، وهو خطاب نقدي، في اطاره العام اذ هو خطاب حول خطاب، او قول واصف يعتمد في مرتكزاته الرئيسة تفكيك (بمعنى تشريح) بنية النص. ويختلف في مسعاه بين مناهجه المتعددة فهناك من يسعى الى اعادة صياغة النص من خلاله، وفقا لفكرة الاكتمال في محاولة لإعادة هيكلة بنيته في حين يكون الجانب الاكبر من النتاج النقدي الاسلوبي معتمدا فكرة التشريح لغرض الوصف موزعا ممتلكات النص وإرثه على مستويات التحليل اللغوي دون ان يجعل همه في اعادة تكوينه بنيويا، واكثر من ذلك نجد الاهتمام يكون بشكل كبير بالبحث عن البنيات الاسلوبية من خلال النسيج اللغوي وهنا يكون التوجه الى كشف خاصية البناء الادبي في هذه البنية وهي مهمة الناقد الأسلوبي الحقيقية المجسدة في خطابه.

المبحث الرابع

تحليل الخطاب

1 – المصطلح والمفهوم (الاطار التنظيري في النقد الأدبي والدراسات المجاورة):

إن الاهتمام بدراسة الخطاب، بوصفه كلا موحدا، يعود في مرحلته الزمنية إلى ظهور مدرسة باريس السيميائية[172] التي تجاوزت المنهج اللساني فتعدت حدود الجملة، إلى ما هو أوسع منها، وان تطبيق منهج السيمياء او (السميوتيك) يعني دراسة نظام محدد من أنظمة التوصيل بوساطة علاماته واشاراته الخارجية التي تميزه من غيره، فضلا عن دراسة الدلالات والمعاني أينما وجدت وخصوصا في النظام اللغوي.

وتعود الجذور الاولى لهذه المدرسة إلى علم السيميولوجيا، او علم العلامات بكل أنواعها، الذي يهتم بالتواصل والتوصيل[173].

بيد ان المشكل الأكثر أهمية في عملية التواصل هذه هو اللغة.

وتبدأ الجهود الاولى في دراسة الخطاب مع (غريماس) منذ الستينات من القرن العشرين اذ كان الجهد مركزا على دراسة المعنى والدلالة و لم يكن الوصول الى معنى محدد للنص هدفا اساسا، فالامر الاكثر اهمية هو التوجه لتقييد الدراسة بالنص فقط، كل النص، ولا شيء خارجه بحسب (غريماس) وهو موقف بنيوي متأثر بعمل (دي سوسير) اللغوي[174].

وقد وضع تحليل الخطاب، فيما سبق ذلك، أي قبل ظهور السيميولوجيا ضمن تصنيفات علم البلاغة، فهو الحقل المعرفي الذي اشتمل على الاهتمام بصناعة النص وانتاجه فضلا عن دراسته وتحليله وعقب ذلك كان ظهور علم الأسلوب، بوصفه علما يهتم بتحليل الخطاب، ثم اصبح الجهد النقدي في دراسة الادب كله، وما رافقه من دراسات بنيوية لفن القص والسرد وكذلك الشعر. اصبح يحدد هدفه بدراسة الخصائص البنيوية والشكلانية التي تميز الخطاب الادبي من غيره[175].

وبذلك نفهم مصطلح تحليل الخطاب بوصفه عنواناً شاملاً، فهو منظومة متسقة من الاجراءات المنهجية. يمكن ارجاع جذوره الى ازدهار اتجاهين كبيرين هما الاتجاه اللغوي في تحليل النصوص اذ بدأ الاهتمام ببحث علاقات النص على مستوى داخلي يتجاوز الجملة الواحدة، وقد مارسه النقاد اللغويون الامريكيون في الدرجة الاولى، والاتجاه البنيوي الذي تمثل في تحليلات المدرسة الفولوكلورية الروسية بعد (بروب) وهو ما يشير الى الجذر البنيوي في منهج تحليل الخطاب اذ يجمع كلا الاتجاهين معاً: البحث عن البنية الكلية الكامنة في النص ومظاهرها الخارجية[176].

ذلك فضلاً عن استثماره امكانيات التحليل السيميولوجي التي أشرنا إليها إذ توجه الى الوحدات الوظيفية في النصوص كما أن بحوث علم النص قد أسهمت في هذا الامر وخصوصاً ما تمثل منها في البحث عن معنى النص الذي يتمثل في التركيب الداخلي فيه، بما فيه من اعتداد بالمظهر الاجرائي العملي له وهو ما يعني تجاوز البحث عن الدلالة في الوحدات الثابتة، الجزئية، كالكلمة والجملة[177].

ومن هنا نخلص الى تحديد المشكلة الرئيسة التي لازمت تحليل الخطاب وهو تحديد موضوعه، ذلك الذي يتردد حول مفهوم (الخطاب) نفسه، وقد اشرنا الى اختلافه عن مفهوم النص من خلال بيان التعريف الوافي لهما.

لكن يبقى التداخل المفهومي والاصطلاحي بين (النص) و (الخطاب) يدور في اشكالية الاختراق الدلالي بينهما تبعاً لتداخل الاتجاهات اللسانية والسيمولوجية التي نشأ هذان المصطلحان في محيطهما، فالنص بحسب ما اشرنا، معطى اولي لكل انظمة الفكر الانسانية وبشكل خاص في مجالات الالسنية وفقه اللغة والادب[178]، والصفة المميزة له هي الوقوع في دائرة الاتصال[179]، فان لسانيات النص قد وجدت بوصفها حقلاً معرفياً لتكون مجالاً لفظياً من مجالات السيميولوجيا يتناول النصوص في دراسته بكل احجامها واشكالها[180].

إن هذا التداخل (المشار إليه) بين مفهوم الخطاب ومفهوم النص وكذلك الاصطلاح على تحديدهما، كان سبباً في تداخل اخر نتج عنه اختلاف في تحديد التسمية للعلم الذي يقع تحته درس (النص) و (الخطاب) وقد عزاه احد الباحثين الى

اختلاف او تداخل الترجمة الى العربية عن اللغات الاخرى، وهو ما لا نوافقه، اذ يقول "وقد استقر هذا المفهوم الحديث لعلم النص في عقد السبعينيات من هذا القرن (يعني القرن العشرين) وهو يسمى بالفرنسية Science dutexte ويطلق عليه بالانجليزية discourse analysis ولا يخرج الامر عن هذين الحدين مما يجعل ترجمة علم النص في العربية امراً مقبولاً"[181].

وهذا لا يعني نفينا لآراء هذا الباحث، في هذا المجال، كلها فإن له جهداً كبيراً في بيان المنهج وتفصيل القول في مدركاته بمعنى أن كلامنا يخص هذه الفقرة دون سواها. و لم يكن وحده ممن قال بوحدة هذين المصطلحين فما هو الا مثال فقط.

فعلم النص نفسه هو علم الخطاب أو تحليل الخطاب في رأيهم. وقد ربط ذلك الباحث، المشار إليه سابقا، بين انتشار علم النص وذيوع التحليلات النصية في مختلف العلوم الانسانية، منها التحليل المضموني الذي نمته علوم الاتصال ويستهدف وصف النصوص ايضاً بطريقة عبر تخصصية، وكذلك تحليل المحادثات والحوارات في علمي النفس والاجتماع[182].

ونشير فقط الى ما قاله (باختين) في هذا الخصوص من أن علم النص يفهم على أنه نظرية وتطبيق في مجال اعادة التكوين العلمي للنصوص الادبية[183].

وإن الاستراتيجية الاساسية لنظرية النص المعاصرة هي رسم حدود النص الادبي ليعيش في داخلها مستقلاً منقطعاً عن اصوله الضاربة في التاريخ وفي حياة الكاتب الفرد، وليس له من غاية نفعية او عملية[184].

وفي المقابل نشير الى تعزيف (فوكو) للخطاب لنتبنى الوجه الامثل للمقارنة، اذ يعد الخطاب منطوقات ذات استراتيجيات وقواعد تمثل الممارسات وتؤلف بانتظام موضوعات نتحدث عنها[185].

ونخلص بعد ذلك الى القول ان مصطلح (تحليل الخطاب) يمكن اطلاقه على (المقاربات النقدية) التي تتخذ لها موضوعاً للوصف وحدة لغوية اكبر من الجملة، بصفة عامة، فتصنيف (المقاربة) ضمن هذا المجال يبنى تأسيساً على وجود الوحدة اللغوية المحللة وحجمها، ثم ان هذا التصنيف يقوم على موضوع (المقاربة) أيضاً

فالتحليل يمكن ان يكون نفسيا او بلاغيا او غير ذلك. وإن هناك مرتكزات تمكننا من وضع المحاولة النقدية ضمن حقلها المعرفي المخصص كأن تكون تحليلا نفسيا او تحليلا ادبيا[186]، وإن اكثر مناهج تحليل الخطاب شيوعا هو المنهج اللساني، ومهمته البرهنة على وحدة الخطاب بوصفه كلا موحدا عبر رصد ادواته واشاراته المحيلة مهتما بوسائل الربط بين اجزائه، ومتابعة أشكال الإبداع فيه، فيكون البحث موجها في الاتساق بعد الانسجام[187].

وهذا منهج يكون في لسانيات النص اكثر واول من عمل على تطبيقه هما (هاليداي، ورقية حسن) ثم تبعهما (فان دايك) في كتابة (النص السياق) إذ سعى من خلال منظور اللسانيات الى وضع نظرية تستطيع تفسير وتحليل كثير من المظاهر الخطابية التي تقف لسانيات الجملة عاجزة امامها ومنها: موضوع الخطاب، والانسجام، والبنية الكلية، أي الاهتمام بهذه المظاهر في مستويي الدلالة والتداول[188].

وقد تطور هذا المنهج بعد أن قام علماء اللغة بوضع الفروق بين الخطاب (Discourse) وبين الحديث (Enonco) إذ يصفون الحديث بانه ما يمكن جمعه في عينة لغوية واحدة، ويحلل إلى عناصر صغرى بدءا بالصوت (المونيم) وهو اصغر وحدة فيه في حين يكون تحليل الخطاب في اتجاه اخر إذ تصبح الجملة هي الوحدة الصغرى التي يحلل اليها (الخطاب) ثم أن تحليله يتطلب دراسة الوضع النفسي للمخاطب (الباث) في التحليل، او كما يسموها (سيكولوجيا الباث)[189].

وبهذا يمكن تسمية المناهج اللسانية الأولى، المعتمدة في التحليل بـ(لسلنيات الجملة)، اما اللسانيات الحديثة فهي لسانيات النص الذي هو في ذاته خطاب، في وجه من الوجوه، وهو لا يوجد الا عبر خطاب على اية حال، ولسانيات الجملة هي محور البحث في البلاغة المعيارية او الاسلوبية الممتدة الى تحليل الحديث عند بعض اللغويين[190].

الا ان اللسانيين بجميع احوالهم قد أنحصر بحثهم في دلالة الخطاب النحوية والبلاغية وميزوا بين انواع الخطاب (اعلامية، سياسية، ادبية). ليبحثوا ما تحتويه من معطيات لسانية من خلال تحديد انماطها وصياغاتها واغراضها في نطاق التواصل

والايصال[191]. في يحين أن الخطاب يحتوي على بنيات لا يمكن للنحو (اللساني) أن يفسرها وهي بنيات تحدد نوع الخطاب او صنفه منها: البنيات السردية، والبنيات البلاغية التي من امثلتها مظهر التوازي في البنية التركيبة لعدد من الجمل وهو ما ليس له اية وظيفة نحوية في حين قد تكون له وظيفة بلاغية مرتبطة بأثر القول في القارئ وهذه البنيات متعلقة باستعمالات اسلوبية معنية وإن مهمة دراستها تقع على نظريات الخطاب البلاغي والسردي في ضوء رأي (فان ديك)[192] وأن مثل هذه البنيات وغيرها تحدد نوع الخطاب او صنفه وهكذا كانت نظرية (السرد) مبحثا جديدا في تحليل الخطاب وإن الاهتمام بالسرد هو احد مميزات المنهج البنيوي الاساسية وهي الرافد الثاني لنظرية تحليل الخطاب بعد نظرية السيمياء التي طورها (رولان بارت)[193].

ومستوى الخطاب فيها (أي نظرية السرد) ينبع من كون العمل السردي هو كلام واقعي موجه من طرف سارد إلى قارئ، وعلى هذا المستوى ليست الاحداث التي يتم نقلها هي التي تهم الناقد وانما الكيفية التي بها اطلعنا السارد على تلك الاحداث[194].

وهكذا ظهرت مصطلحات تحمل مفاهيم تنظيرية طبقت في مجال تحليل الخطاب وفرق من خلالها بين الاسلوب المباشر للسرد وغير المباشر والمحكي وطريقة الحكي[195].

2- أمثلة تطبيقية في تحليل الخطاب:

إن المنهج السيميائي هو الاكثر اهمية في تحليل الخطاب، فضلا عن شيوعه الواسع، وهو ينطلق في عمله من النموذج اللساني إذ يتخذ الخطاب موضوعا له بوصفه معطى لغويا وذلك يشترط تفريغ (الخطابات)، موضوع الدرس، من مضامينها ولو للحظة ليتمكن من دراستها، ويهدف من وراء البحث في الصفات السيميائية الخاصة بكل نوع منها الى التمييز بينها كأن يسعى الى معرفة سمات الخطاب السياسي، مثلا، ليميزه من الخطاب الادبي او الديني، من حيث تركيبة الجملة او استخدامها العلامات والتشديد على بعض الكلمات والصياغات على وجه الخصوص وكذلك طريقة ابتداء الخطاب وانهائه وهو ما قد يفيد التقريب، او

ايجاد صلات التقارب بين انواع الخطابات فضلا عن محاولة التمييز بينها او التفريق بحسب الحاجة الى ذلك او بحسب حالتها في مجال الاتصال[196].

وأن من بين الدراسات المهمة التي انتجت ضمن هذا المنهج ما قدمه (محمد خطابي) في كتابه (**لسانيات النص**) وهو مشروع ذو اهمية في بحث مسألة (اتسلق النص وانسجامه) أي دراسة موضوع التماسك بين الاجزاء المشكلة له، واكثر اهتمامه كان موجها الى الوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من (خطاب برمته) و لم يفرق بين مصطلحي (الخطاب) و(النص) فالاخير، بحسب رأيه، خطاب قائم بذاته[197].

إن هذا القول وإن كان صحيحا في حال التعميم الا انه يتغافل حقيقة أن الخطاب قد يشمل اكثر من نص فيكون الأخير جزءا من الخطاب.

وقد سلك (محمد خطابي) في وصف اتساق الخطاب (أو النص) طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، سواء كانت احالة قبلية ام بعدية، مهتما كذلك بوسائل الربط المتنوعة ليبرهن على ان النص او الخطاب هو في أساسه (معطى لغويا)، بصفة عامة، يشكل كلا متكاملا.

وكذلك عالج مسألة انسجام النص بوصفه اعم من الاتساق. وإن العمل في بحث مسألة (الانسجام) يكون اكثر عمقا من سابقه (أي ما يخص الاتساق) فهو يتطلب من الباحث صرف الاهتمام نحو العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده .بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا إلى غير المتحقق (أي تجاوز الاتساق) الى الكامن (الذي يعني الانسجام).

وقد تتّبع (محمد الخطابي) الجهود العربية مركزا همه في لسانيات النص، فضلا عما قام به من تأصيل في الدراسات العربية التراثية وشمل كذلك تطبيقا على نصوص عربية معاصرة حاول اجراء التحليل فيها[198].

وفي مجال النقد والخطاب الادبي نشير الى كتاب "**الخطاب النقدي عند طه حسين**"[199] وهو محاولة لتجذير الفكر النقدي عند الدكتور طه حسين، وقد وصفه مؤلفه بانه محاولة في معالجة اشكالية النهضة العربية وخطابها في الحقل الثقافي والادبي خاصة. وهو قراءة كلية مركبة لكتابات الدكتور (طه حسين)[200].

وقد وظف فيه منهجا بنيويا تكوينيا (اجتماعيا) يحتكم الى ثقافة الجماعة الانسانية في فهم الخطاب الذي أنتجه الدكتور (طه حسين) بما اكتسبه عن مجتمعه (المصري) يوم ذاك من معارف وعادات وممارسات[201]، إذ يقول: "سنحاول في هذا الفصل أن نضع المشروع الثقافي لـ(طه حسين) ضمن مشروع النهضة المصرية منذ أواخر القرن التاسع عشر، ونتتبع بالخصوص كتاباته النقدية ضمن الصراعات السياسية والايديولوجية التي واكبها منذ كتاباته الاولى"[202]. ومثال ذلك ما عالجه من تأثره بالخطاب الليبرالي والديموقراطي الذي أذاعه احمد لطفي السيد[203]، ومحاولته تحليل مصادر الكتابة النقدية التأسيسية عند طه حسين، وعناصرها مثل قراءته للفكر اليوناني والروماني بعد هضمه للموروث العربي الاسلامي، وما سلهم منها في تشكيل ابعاد نموذج الدكتور طه حسين النقدي[204].

وكذلك نشير في مجال نقد الادب الى الدراسة التي قدمها (محمد سويرتي) في كتابه (**النقد البنيوي والنص الروائي**) الذي تناول، فيه جملة من الكتب المهمة في مجال النقد البنيوي، مقيما معها حوارا تحليليا محاولا كشف المناهج الموظفة فيها مناقشا المفاهيم المستعملة داخلها والمصطلحات وكيفية استخدامها.

كما حاول ابراز قيمتها التداولية مشيرا الى اصولها الغربية. وقد طبق، الى حد معين، المنهج البنيوي موظفا كل عمل من الاعمال التي درسها لخدمة بحثه في كشف بنية الخطاب النقدي الروائي عادا كلا منها، على حدة، بنية تمكنه من رصد مجموع علائقه النظرية والمنهجية[205].

وفي غير مجال نقد الادب نجد قسما من الباحثين قد توجه الى الخطاب الديني في الدراسة والتحليل إذ استهدوا في دراسته بيان السمات الالسنية الاساسية له بوصفه معطى لغويا ابلاغيا بمعنى انهم اهتموا بلغته فهي تمثل، بحسب رأيهم، لحظته الاولى عند التحليل، وقد تجاوزوا المعايير الأولية في دراسته، كالمنهجية التاريخية والوصفية والفيلولوجية. وحاولوا إثبات فعالية التحليل السيميائي في دراسة نصوص الخطاب الديني (تزامنيا) وعدوها نظاما محكما في المعنى أو الدلالة، وتناولوها بوصفها بنية او نظاما دالا مشكلا من اللغة وفن السرد والمجاز. وإن لهذا النظام خصوصية، بحسب رأيهم، واستقلالا ذاتيا في حال تجريده عن ارتباطه (المباشر) او الفوري بظروفه المحيطة في مقابل ارتباطه بزمن قراءته في المجتمع[206].

هوامش الفصل الأول

(1) اشكالية المنهج في النقد العربي، د. محمود طرشونة، مجلة الاقلام، ع4 سنة 34، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999/6. ويفيد أن (إشكالية) تعني مجموع القضايا التي يثيرها الموضوع ومحاولة استشراف الحلول لها.

(2) نظرية التلقي اصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1999/12. على اننا لا نغفل ما انتج في اطار ما سمي بالنقد الجديد في انكلترا وامريكا حيث تميزت جهود النقاد امثال (كوليدروج) و (ت. س. اليوت)، بتطوير النقد الشكلي واكدوا ضرورة دراسة النص دراسة متعمقة في ذاته بيد أن جهودهم تشتت في معالجة الوحدة الموضوعية، ودراسة اللفظ في الادب مقابلا للمعنى، ثم الرد على المناهج السابقة التي جعلت الادب تعبيرا عن افكار نفسية واجتماعية للمنتج (المؤلف). خمسة مداخل الى النقد الادبي (مقالات معاصرة في النقد)، تأليف: ولبرسكوت، ترجمة د. عناد غزوان، جعفر صادق الخليلي، دار الرشيد، بغداد، 1981.

(3) الاسلوب والاسلوبية والنص الحديث، د. محمد القضاة. (ضمن بحوث الحلقة الدراسية لمهرجان المربد الثالث عشر). دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999/25.

(4) الاسلوب والاسلوبية والنص الحديث، محمد القضاة/129.

(5) وهي على رأي احد المختصين: نظرية شمولية ذات منهج علمي في دراسة الاسلوب الادبي. الأسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1982/109.

(6) اشكالية المنهج في النقد العربي، محمد طرشونة/7.

(*) المعارف المحايثة. قد يعني بها العلوم المجاورة للنقد الادبي معتمدا كلمة (حيث) التي تفيد الظرفية، على انه يريد منها الاشتراك في حيثيات المعرفة، كما هو شائع في لغة العلوم الحديثة، أي الاشتراك في الجوهر. "المحايثة مصطلح يدل على الاهتمام بالشيء من حيث هو ذاته وفي ذاته فالنظرة المحايثة هي التي تفسر الاشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تنبع من داخلها وليس من الخارج". عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ايديث كريزويل، ترجمة جابر عصفور، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985/276.

(**) بفضل توالجها: يريد به ما قدمته بالاشتراك مع ادوات المعرفة اللغوية الحديثة وتداخلها معها.

(7) في آليات النقد الادبي. عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1994/9.

(8) المصدر السابق/10.

(9) وهي تبحث عن صورة الكاتب من خلال ادبه وصورة المجتمع في اثاره فاهتمت بما حول النص من حياة الكاتب واثار المجتمع. اشكالية المنهج في النقد العربي، محمود طرشونة/6. وتعد "الانعكاسية" احدى طروحات النقد الماركسي وقد تخلى عنها الكثير من المعاصرين، وابرز من حقق معناها هو (بليخانوف) فالادب عنده: مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة تقديم وترجمة د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1،1985/152.

(***) الارتسامية هي: النتف والانطباعات السريعة التي تتعلق بالحياة السايكولوجية للكاتب. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة. مجموعة كتاب، تقديم وترجمة سعيد علوش/99.

(10) وليس هناك متسع كبير لاعطاء فكرة تفصيلية عن عمل هذه الحركة المتأطرة بالعلم في دراسة الادب الا انه يمكن اختصار القول بأنها (تيار تنظيري ادبي ظهر ما بين عامي (1915- 1930) وكان من ابرز اعلامه (باختين) وقد وضعت مبدأ الالتصاق بالنص الادبي من منظور بنيوي يعالج الشكل كمجموعة وظائف، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة تقديم وترجمة سعيد علوش/129. والاصح ان يقول: بوصفه مجموعة وظائف.

(11) اشكالية المنهج في النقد العربي، محمود طرشونة/7.

(12) خمسة مداخل الى النقد الادبي، ويلبر سكوت، ترجمة عناد غزوان/78.

(13) المصدر السابق/78.

(14) إن مفهوم المنهج وتعريف مصطلحه قد اتسع ليتصل بحقول معرفية متنوعة وإن مصطلح المنهج (method) يعني الطريق او السبيل او التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد، او هو العملية الاجرائية المتبعة للحصول على شيء ما او معالجة موضوع ما. وقد ترجم بعض الباحثين مصطلح المقاربة او المقترب (approach) بـ(المنهج)، وهو مصطلح مجاور له في الدلالة، أو مقابل له ولا يحمل الدلالة العلمية ذاتها، وليس رديفا معنويا له. لكن هذا الاستخدام شائع عند اغلب النقاد والدارسين. اللغة الثانية، فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 218/1994، 221. واشار د. عبد السلام المسدي الى انها من المصطلحات الحديثة في النقد والتحليل "واستعمالها الاجنبي والعربي، دقيق جدا إذ تتضمن اعتماد منهج لا يشك في صلاحه في حد ذاته ولكن لا يجزم بخصب نتائجه سلفا عند تطبيقه في ذلك الظرف المعين" الاسلوبية والاسلوب، عبدالسلام المسدي/87.

(15) اشكالية المنهج في النقد العربي، محمود طرشونة/7-8. وكتاب: في اليات النقد الادبي، عبد السلام المسدي/31-46، وقد عالج فيه مسألة انتماء النص ضمن مقولات المناهج المختلفة.

(16) نظرية البنائية في النقد الادبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 340/1987.

(17) إشكالية المنهج في النقد العربي، محمد طرشونة/8

(18) محاولات في الاسلوبية الهيكلية، ريفاتير، ترجمة دولاس، تقديم عبد السلام المسدي حوليات الجامعة التونسية، ع 10، سنة 273/1993.

(19) في آليات النقد، عبد السلام المسدي/70-71.

نود الاشارة الى ان اثر النظرية البنيوية في النقد لا يمكن اغفاله في مجال الدراسة الاسلوبية وان البنيوية في اساسها مقولة لم تحدد على الرغم من فوات اثرها في زمن الفكر لكنها في الارجح نظرية في المعرفة، وهي في منزعها الغالب منهج، لذا فهي تمثل رؤية تقيديرية، بها تصبح حقيقة الظواهر مقيدة بطبيعة روابط الاجزاء المكونة لها اكثر مما هي لصيقة بماهية كل جزء او بجوهر الكل المتراصف عبر الاجزاء إذ ان ما هو منهج لا تستقيم قرينا لما هو علم، ولو كان العلم المقصود (مثل الاسلوبية) ذا صبغة تجريبية. في آليات النقد، عبد السلام لمسدي/ 70-71، اللغة الثانية، فاضل ثامر/236-238. أما بخصوص مصطلح النظرية فهو مصطلح حديث يقصد به جملة التصورات او المفاهيم المؤلفة تأليفا عقليا يهدف الى ربط النتائج بالمقدمات. نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الفت الروبي، دار التنوير، بيروت، ط1،1983. المقدمة.

(20) نود الايضاح بأن الاسلوبية التي جاءت في الاساس من تلاقح النقد بالدرس الالسني تمثل "حقل الاستثمار الذي يتناول فيه النص الادبي في ضوء ما تقرره اللسانيات من كشوف حول بنية الجهاز اللغوي عامة". في اليات النقد الادبي، عبد السلام المسدي/60.

(*) والافصح: تنطلق من عدها الاثر الادبي، او وصفها اياه.

(21) محاولات في الاسلوبية الهيكلية، ريفاتير، ترجمة دولاس/273. والاسس القارة يريد بها المنطلقات التي وصفها بالثبات، او المبادئ الثابتة.
(22) المصدر السابق/277.
(23) الاسلوب والاسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء القومي، بيروت، د. ت/31.
(24) الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية قراءة في نموذج انساني معاصر، د. عبد الله الغذامي، النادي الادبي الثقافي، السعودية، ط1، 1985/7.
(25) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ت/107.
(26) الاسلوبية. عدنان بن ذريل، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 25، سنة 1982/249.
(27) الاسلوب والاسلوبية. كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1985/26.
(28) الاسلوب والاسلوبية: بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي/28-29.
(29) الاسلوبية، عدنان بن ذريل/251، 253، 255.
(30) الاسلوب والاسلوبية، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين/45.
(31) الاسلوب دراسة لغوية احصائية. سعد مصلوح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1984/26، 29.
(32) علم الاسلوب مبادئه واجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1985/75.
(33) الاسلوب والاسلوبية. كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين/45.
(34) علم الاسلوب، صلاح فضل/75.
(35) معايير تحليل الاسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة حميد لحمداني، دراسات سال، دار النجاح الجديد، الدار البيضاء، 1993/20-21.
(36) البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمد العمري، دراسات سال، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، ط1، 1989/35.
(37) الاسلوبية، عدنان بن ذريل/249.
(38) الاسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح/29.
(39) الاسلوب والاسلوبية، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين/56-58.
(40) البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة، محمد العمري/36.
(41) المصدر السابق/37.
(42) بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال. المغرب، ط1، 1986/16-17.
(43) المصدر السابق/16.
(44) الاسلوب والاسلوبية، بيرجيرو، ترجمة منذر عياشي/86.
(45) البلاغية والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمود العمري/37.
(46) الاسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح/30
(47) البلاغة والاسلوبية هنرش بليث، ترجمة محمد العمري/38.
(48) علم الاسلوب، صلاح فضل/83- 84، وينظر: معايير تحليل الاسلوب، ريفاتير، ترجمة حميد لحمداني/19-20، مقدمة المترجم، حميد لحمداني/5.
(49) علم الاسلوب، صلاح فضل/88.
(50) المصدر السابق/88.
(51) البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمد العمري/39.

[52] المصدر السابق/39.
[53] المصدر السابق/39-40.
[54] المصدر السابق/41.
[55] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/13.
[56] المصدر السابق/14.
[57] المصدر السابق/16.
[58] المصدر السابق/16.
[59] من الاسلوبية الى الشعرية، جان ماري كلينكنبرغ، ترجمة فريدة الكتاني، مجلة نوافذ (علامات في النقد)، النادي الثقافي السعودية، ح33 م9، سنة 1999/25.
[60] البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمد العمري/15.
[61] نعني التداولي والقضائي والارشادي.
[62] معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، 1979/ مادة علوم البلاغة، ص144.
[63] من الاسلوبية الى الشعرية، كلينكينبرغ، مقدمة المترجمة فريدة الكتاني/9.
[64] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/53.
[65] البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمد العمري/16.
[66] الاسلوب والاسلوبية، بييرجيرو، ترجمة منذر عياشي/9.
[67] الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي للنص، محمد الماكري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991/33.
[68] الاسلوب والاسلوبية، بيرجيرو، ترجمة منذ عياشي/16-17.
[69] المصدر السابق/170.
[70] من الاسلوبية الى الشعرية، كلينكينبرغ، ترجمة فريدة الكتاني/9-10.
[71] مفهومات في بنية النص، مجموعة مقالات من كتاب مقدمة للدراسات الادبية. مجموعة كتاب، ترجمة، وائل بركات، دار معد، دمشق، ط1، 1996/66.
[72] المصدر السابق/67.
[73] الاسلوب والاسلوبية، جيرو، ترجمة منذر عياشي/23.
[74] البلاغة والاسلوبية، بليث، ترجمة محمد العمري/16.
[75] الاسلوب والاسلوبية، جيرو، ترجمة منذر عياشي/29.
[76] من الاسلوبية الى الشعرية، كلينكينبرغ، ترجمة فريدة الكتاني/25-26.
[77] محاولات في الاسلوبية الهيكلية، ريفاتير، ترجمة دولاس/273.
[78] الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/58.
[79] علم اللغة والدراسات الادبية، برند شبلنر، ترجمة محمد جاد الرب، الدار الفنية، الرياض، ط1، 1987/31.
[80] من الاسلوبية الى الشعرية، كلينكينبرغ، ترجمة فريدة الكتاني/26.
[81] المصدر السابق/26
[82] المصدر السابق/13.
[83] المصدر السابق/35.

[84] اللغة والخطاب الادبي (مقالات لغوية في الادب)، اختيار وترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 54/1993.

[85] البلاغة والاسلوبية، هنرش بليث، ترجمة محمد العمري/13.

[86] اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان ميكاروفسكي، ترجمة الفت الروبي، مجلة فصول، القاهرة، ع1 سنة 40/1984.

[87] المصدر السابق/38-39.

[88] شعرية تودوروف، عثماني الميلود، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط1، 16/1990.

[89] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/61-62.

[90] المصدر السابق/62.

[91] من الاسلوبية الى الشعرية، كلينكينبيرغ، ترجمة فريدة الكتاني/5. مقدمة المترجم.

[92] تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور جبارة، مخطوط، جامعة بغداد، الاداب، 18/1996.

[93] البلاغة المقيدة، جيرار جانيت، ترجمة الصديق ابو علام، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الانماء القومي بيروت، ع7، سنة 3/1989.

[94] Barthes, R. The Ogl Rhetoric an Aide- Memorie, in the Semiotic Challenge, Oxford: p.11..Baeilblackwell, 1988.

عن تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور/29.

[95] تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور/28-29-30.

[96] المصدر السابق/30.

[97] البلاغة والاسلوبية، بليث، ترجمة محمد العمري/15-16

[98] البلاغة بوصفها نظرية للخطاب، محمد بوعزة، مجلة راية مؤته، م3، ع1، سنة 16/1994 عن تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور/31.

[99] المصدر السابق/160.

[100] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/73.

[101] المصدر السابق/73.

[102] المصدر السابق/73.

[103] المصدر السابق/73، 83، 84.

[104] المصدر السابق/98.

[105] المصدر السابق/99، 100، 106.

[106] موسوعة الادب والنقد، ج1 الادب والنقد، مجموعة من الكتاب، ترجمة عبد الحميد شيحه، المجلس الاعلى للثقافة، الكويت/29.

[107] المصدر السابق/29.

[108] الخطيئة والتكفير، عبد الله الغزامي/90.

[109] المصدر السابق/90.

[110] المبدأ الحواري، تودوروف/30، عن: تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور/29.

[111] في الميتالغوي والنص والقراءة، مصطفى كيلاني، دار امية، تونس، 33/1994..

[112] الموسوعة العالمية. Encyclopaedia Universalis co rpus. 17.

وقد جاء معنى النص مقترناً بالكتابة في مقابلته بـــ(الكلام) الشفاهي اذ عبر عنه بأنه يظهر فجأة ويختفي. عـــن: في الميتالغوي، مصطفى كيلاني/33.

(113) وقد عدت اجزاء الجملة التي تشمل: الفونيم (هو العلامة الصوتية في جسد الكلمة) والمرفيم هو (اصغـــر وحدة الكلامية ذات معنى محدد)، والتركيب هو (الكلام بمستوى الجملة واوسع). ينظر: مناهج البحث في علم اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، 139/1979. وعُرِّبت هذه المصطلحات عند بعـــض النقـــاد المغاربة الى: الصوتيم، اللفظم، والتركيب.

(114) في الميتالغوي والنص والقراءة، مصطفى كيلاني/33. ويعني بـــ(علامية النص) دراسة العلامات في النص.

(115) نظرية البنائية في النقد الادبي، صلاح فضل/33. وينظر مصدره:

-Barthes Roland, "Essdiscrityues " Paris.1964. Trad Bercelona, 307.

(116) نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع3، سنة 9/1988.

(117) مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع33، ك 40/1984.

(118) نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي/79.

(119) لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركـــز الثقـــافي العـــربي، بـــيروت، ط1، 13/1991 وفيه نقل المؤلف اراء هاليداي ورقية حسن في كتابهما الاتساق في اللغة الانجليزية، اذ سمّيا تعليـق عنصر بما يسبقه علاقة قبلية، وتعليقه بما يلحقه علاقة بعدية.

(120) الغائية: هي طبيعة الانسان او الأشياء في صيرورته او صيرورتها نحو غاية محددة، وهناك غائية خارجيـــة، تتعلق بموجود غير الكائن الذي ارتسمها وغائية داخلية يرتسمها الكيان نفسه، الاسلوبية والاسلوب، عبـــد السلام المسدي/184.

(121) عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو، اديث كرزويل، ترجمة د. جابر عصفور/291.

(122) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 35/1989.

(123) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/107.

(124) المصدر السابق/105– 106.

(125) المصدر السابق/107.

(126) مقالات في الاسلوبية، منذر عياشي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 127/1990– 133.

(127) مسألة النص، باختين، ترجمة محمد علي مقلد/41.

(128) بلاغه الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/107.

(129) المصدر السابق/230.

(130) المصدر السابق/238– 239.

(131) المصدر السابق/239، 240–244.

(132) حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة، سالم يفوت، الدار البيضاء، ط2، 31/1987.

(133) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين/21.

(134) المصدر السابق/17.

(135) المصدر السابق/22.

(136) مفهـــوم الادب ، تزفيطان تودوروف ، ترجمة منـــذر عياشي ، مجلـــة العرب والفكر العـــالمي ، ع 3 ، عام 10/1988

(137) في اصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مقالات، ترجمة احمد المديني، دار الشؤون الثقافيـــة العامـــة، بغداد، 39/1999.

(138) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، تقديم وترجمة سعيد علوش/83.

(139) مدخل في مفهوم الخطاب الدعائي، د. حميدة سميسم، مجلة افاق عربية، ع5، سنة 19، لعام 1994/17.

(140) عصر البنيوية، اديث كريزويل، ترجمة جابر عصفور/269.

(141) ملاحظات نقدية حول دراسة الخطاب السياسي، عبد العليم محمد، مجلة المنار، باريس، ع7، 1985/18.
عن: مدخل في مفهوم الخطاب الدعائي، حميدة سميسم/17.

(142) حفريات المعرفة، فوكو، ترجمة سالم يفوت/34.

(143) الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، ط128/2.

(144) تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور/12.

(145) المصدر السابق/15.

(146) النص والخطاب والاجراء، بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998/6، (مقدمة المترجم).

(147) حفريات المعرفة، فوكو، ترجمة، سالم يفوت/34.

(148) الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخيته وبنيته الموضوعية، عبد الامير كاظم. بحث في المؤتمر الثالث لجامعة فيلادليفيا، عن: سيمياء الخطاب الدعائي، رجاء احمد آل بهيش، بحث مخطوط، جامعة بغداد، الآداب، 1997/209.

(149) النص والخطاب والاجراء، بوجرند، ترجمة تمام حسان/6. (مقدمة المترجم).

(150) المصدر السابق/6.

(151) ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة تكنلوجيا السيطرة على الجسد، محمد علي الكبسي، دار سرايس للنشر، تونس، 1993/18.

(152) المصدر السابق/20.

(153) المصدر السابق/21.

(154) نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، د.ت/9. (هامش المترجم).

(155) ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب، محمد علي الكبسي/7.

(156) النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983/38.

(157) الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي/7.

(158) الوظيفة الهرمينوطيقية للابتعاد، بول ريكور، ترجمة فاطمة الذهبي، مجلة الموقف الثقافي، ع22، سنة رابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999/95-96.

(159) المصدر السابق/96.

(160) مسألة النص، باختين، ترجمة محمد علي مقلد/45.

(161) المصدر السابق/48.

(162) المصدر السابق/46.

(163) المصدر السابق/45 ومعنى الموضوع في هذه الفقرة ينحصر في التعبير.

(164) مسألة النص، باختين، ترجمة محمد علي مقلد/45.

(165) المصدر السابق/45. ولا نريد بـ(الانعكاس) المفهوم الذي طرحته الماركسية التقليدية التي تصف الادب بانه مرآة الحياة، بل نعني ان النص النقدي هو عرض لـ(الفهم) الوعي، أي الفهم المؤدي الى الموضوع الذي عبر عنه وعي المبدع في النص.

(166) مقالات في الاسلوبية، عياشي/111.

(167) النص السلطة الحقيقة، نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995/98-99. وهو يبين معنى (المعرفي) بأنه ما يمس الاتفاق العام في ثقافة المجتمع أي مستوى الحقائق اليقينية اما الايديولوجي فهو ما يتعلق بمصالح الناس من الوعي الجماعي لهم.

(168) استنتجنا هذين المفهومين من خلال فهمنا لما قدمنا من مفهومي النص والخطاب فيما سبق.

(169) في اصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة كتاب، ترجمة احمد المديني/38.

(170) المصدر السابق/38.

(171) النظرية الادبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996/114.

(172) طيبولوجيا الخطابات البشرية، هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع44، سنة 1987/54.

(173) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش/123.

(174) طيبولوجيا الخطابات البشرية، هاشم صالح/55، 56.

(175) المصدر السابق/59.

(176) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/106، 107.

(177) المصدر السابق/107.

(178) مسألة النص، باختين، ترجمة محمد علي مقلد/40.

(179) النص والخطاب والاجراء، بوجراند، ترجمة تمام حسان/72.

(180) المصدر السابق/71.

(181) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/248.

(182) المصدر السابق/248.

(183) مسألة النص، باختين، ترجمة محمد علي مقلد/41.

(184) موسوعة الادب والنقد، مجموعة كتاب، ترجمة عبد الحميد شيحه، ج1/55.

(185) ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة، محمد الكبسي/10.

(186) لسانيات النص، محمد خطابي/47.

(187) المصدر السابق/6.

(188) المصدر السابق/27.

(189) مدخل في مفهوم الخطاب الدعائي، حميدة سميسم/17.

(190) نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي/97.

(191) ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب، الكبسي/10.

(192) لسانيات النص، محمد خطابي/30.

(193) مقولات السرد الادبي، تودوروف ترجمة الحسين سحبان، مجلة افاق المغربية، الدار البيضاء، ع8-9، سنة 1988/30، 42.

(194) الاسلوب السردي ونحو الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر، آن بانفيلد، ترجمة بشير القمري، مجلة افاق، الدار البيضاء، ع8، سنة 1988/94.

(195) المصدر السابق/94.

(196) طيبولوجيا الخطابات البشرية، هاشم صالح/60.

(197) لسانيات النص، محمد خطابي/4، 5.

(198) المصدر السابق/5، 7. وما بعدها.

(199) الخطاب النقدي عند طه حسين، أحمد بو حسن، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.

(200) المصدر السابق/5، 7.

(201) قد يسمى ذلك بـ(السوسيو ثقافية). ينظر معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، تقديم وترجمة سعيد علوش/58.

(202) الخطاب النقدي عند طه حسين، أحمد بو حسن/14.

(203) المصدر السابق/27.

(204) المصدر السابق/78، 81.

(205) النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، محمد سويرتي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء ط1، 1994. ج1ج2.

(206) طيبولوجيا الخطابات البشرية، هاشم صالح/57- 61. الخطاب الديني رؤية نقدية، نصر حامد ابو زيد، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1992.

الفصل الثاني

وصف المقدمات التنظيرية في الجهود الأسلوبية العربية

(القواعد والمنطلقات)

مقدمة في وصف الافتتاحيات التنظيرية

نقدم في مباحث من هذا الفصل استقراءً للمقدمات التي وضعـــها النقـــاد الأسلوبيون العرب ونحاول من خلالها ان نهتدي الى معرفـــة مناهجـــهم المعلنـــة ومنطلقاتهم التي حكّموها في كتبهم المنشورة مما وقع في إطار دراستنا، متوخـــين الإحاطة والدقة في إيراد المعلومات، وقد كانت الكتب التي تحمل عنوانات صريحـة في الأسلوبية هي المعول عليها في الاهتمام بوصفها متخصصة بممارســة البحـث الاسلوبي، من خلال إعلانها عن نفسها، فضلاً عن فاعليتها في تكوين منطلقـــات النظرية الاسلوبية، فكان الاختيار قد وقع على الأعمال النقديـــة الأســـلوبية الآتي ذكرها لتكون الركيزة المنتقاة لإقامة البحث.

وقد آثرنا البدء بمساءلة الافتتاحيات التنظيرية لهذه الاعمال النقدية الاسلوبية كخطوة أولى لمتابعة سعيها في الممارسة التحليلية وتطبيقها على النصوص الادبيـــة، فسعينا من وراء ذلك الى مكاشفة الواقع الفكري لـــ(التنظيرات) القائمـــة فيـــها، فضلاً عن متابعة المنطلقات التي توجه كتابها في اعمالهم إذ يصـــرح الاســـلوبيون بعزمهم على ممارسة المنهج الاسلوبي في التحليل، في فضائها، على الأغلـــب، ممـــا يمكننا من استشراف ابعاد رؤيتهم وواقعها في محاولتنا الاجرائية متطلعين الى معرفـة مدى تمثلهم لهذا المنهج، لأنهم كما نعتقد، يؤلفون في هذه المقدمات صورة لمواقفهم من النظرية ويحاولون اقامة ابعاد تجاربهم في الممارسة الاسلوبية.

ونحن في ذلك نذهب مذهب من يرى ان التنظير لا ينقطع عـــن الممارســـة التطبيقية حتى في البحوث المخصصة أساساً للتطبيق، فالخطاب التطبيقـــي ينـــتزع الخطاب التنظيري من تجريديته ويخرجه من حيز التعميم الى التخصيص، وهكـــذا تغدو الممارسة التحليلية وكأنها منبثقة عن النظرية والعكس من ذلك صحيح[1].

مدخل في منهجية البحث وأسئلة الثقافة النقدية

نتوخى في بحثنا لهذه المرحلة التي تمثل الحلقة التالية بعد محاولة التأســـيس في المرحلة الاولى التي أقمناها في الفصل السابق، الاناة، ودقة التحديـــد، في محاولتنـــا لكشف المنطلقات المنهجية التي يمارسها النقاد الاسلوبيون. فتكون تلك المحاولـــة في

مقدمة مهامنا فضلاً عن ايضاح مواقفهم تجاه بعض قضايا النقد الأسلوبي ذات الأهمية البارزة كمسألة الالتزام بالمقولات الشكلية والبنيوية في مقابل الخروج الى ما يحيط بالإبداع او ما يتعلق بالقراءة وتلقي النص، بمعنى بيان التزامهم حدود النص في عملية التحليل او خروجهم عنها، وكذلك التعليق على ما يخص دخول بعض الافكار اللسانية او البنيوية وغيرهما في مشروع عملهم. ليتسنى لنا بعد ذلك فحص المنطلق الفكري الذي يعتمده كل واحد منهم في موقفه النقدي ورؤيته الخاصة في تلك المسائل، كأن نكشف مثلاً عن رؤية الناقد الاسلوبي فيما لو كانت حداثية متجددة او انها تسير على وفق فكرة الموروث البلاغي او النقدي العربي، في محاولة التأصيل للمفاهيم وتجذيرها. وهكذا نضع جملة من الأسئلة نعتقد أهمية عرض إشكاليتها وصحة توظيفها في خدمة البحث ونسعى الى الاجابة عن ابرز مدركاتها ما وسعتنا الحيلة. واهمها ما يأتي:

- هل انطلق الاسلوبيون في خطابهم من فكرة التعريف بالاسلوبية بوصفها علماً منقولاً عن الغرب، مهمتهم الاساسية هي نقلها إلى العربية؟، وهل انهم تبنوه بوصفه مشروعاً ذاتياً لفكرة عالمية في النقد؟.
- هل وجد خطاب نقيض في معالجتهم النقدية؟ والى من توجهوا بهذا الخطاب؟ أتوجهوا الى مخاطبة الآخر (الغربي) ام الى الموروث (العربي الاسلامي)، الى المعاصر السلفي، او الى المناهج الاخرى المجاورة ام كان في الاسلوبية ذاتها؟
- ما مدى وجود ذلك الخطاب (النقيض) في مقابل الخطاب (المتآلف) مع الموروث في خطابهم، وخصوصاً فيما يخص البلاغة؟

وفي هذا الشأن نفترض أن خطاب الاسلوبيين العرب يدور في حلقة التجذير والالتقاء مع البلاغة، أو مناقضتها، اكثر من غيرها من المناهج، والعلوم، المجاورة مثلما يقع على البنيوية واللسانيات، مثلاً، مع اننا نعرف ان البلاغة تشكل حقلاً واحداً (فقط) من بين تلك الحقول المعرفية القريبة من الاسلوبية، التي تشمل فضلاً عما ذكرنا مناهج اخرى في النقد الادبي كالتحليل النفسي للادب والاثر في القارئ وغيرهما.

على اننا لا نسعى الى اثبات صحة هذه الفرضية او بطلانها وخطئها بقدر محاولتنا بيان واقعها القائم في صلب البناء الفكري لخطابهم.

وهدفنا بعد ذلك هو أن نخلص من هذه الاجراءات التحليلية الى الاجابة عن أسئلة اكثر أثراً في الالتزام بالمنهجية التي نفترضها في تحليل الخطاب، ونوجزها بالآتي:

- ما المنطلقات الفكرية التي يعتمدها الناقد الأسلوبي في خطابه؟

ونعني بها العناصر الرئيسة في الخطاب، التي لا يستغني عنها (الناقد) على مدى خطابه كاملاً[2].

- ما الاليات التي اعتمدها للوصول الى تحقيق الخطاب بوصفه منجزاً ايديولوجياً (ونعني به فكرياً ومعرفياً)؟.

والاليات هي تلك المرتكزات (الفكر لغوية) التي يعتمدها الناقد، من ضمن وسائل الخطاب، من اجل تحقيق وجود العناصر الرئيسة المشار إليها[3].

المبحث الاول

التنظير الافتتاحي في الدراسات التنظيرية

عندما نجري الوصف التأسيسي لمادة الدراسة في بحثنا هذا نجد انها تـــــوزع على قسمين رئيسين هما: التنظير والتطبيق إذ تختص بعض الكتب ببيان المنطلقـــات المبدئية للبحث الاسلوبي، وعلم الاسلوب، في حين تتوجه دراسات أخرى، غيرها، لأجراء التحليل، وتطبيق المنهجيات المفترضة في الدراسات السابقة عليها، فضــــلاً عن وجود ما ينفر من التقييد الى التنوع بحجة التجديد، باشتماله علـــــى نوعـــي البحث، التجذير النظري او التأصيل وكذلك التطبيق الاجرائي، في الوقت ذاته وقد صنفناه ضمن قائمة الدراسات التطبيقية في الاسلوبية، وهو ما أرجأناه الى المبحـــث الثاني حسب ما سيأتي. اما في المبحث الحالي فإننا نتناول بالدراسة الكتب الاتيــــة بوصفها تمثل قاعدة البحث الاجرائي لدراستنا وتشمل:

1- الاسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الاساليب الادبية. احمد الشايب.

2- الاسلوبية والاسلوب. د. عبد السلام المسدي.

3- علم الاسلوب مبادئه واجراءاته. د. صلاح فضل.

4- الاسلوب دراسة لغوية احصائية. د. سعد مصلوح[4].

5- مدخل الى علم الاسلوب. د. شكري محمد عياد.

6- دليل الدراسات الاسلوبية. د. جوزيف ميشال شريم.

7- البلاغة والاسلوبية. د. محمد عبد المطلب.

8- اللغة والابداع مبادئ علم الاسلوب العربي. د. شكري محمد عياد.

9- النقد والاسلوبية بين النظرية والتطبيق. د. عدنان بن ذريل.

10- اسلوبية الرواية مدخل نظري. حميد لحمداني.

11- مقالات في الاسلوبية دراسة. د. منذر عياشي.

12- في النص الادبي، دراسة اسلوبية احصائية. د. سعد مصلوح.

يكون العمل في دراستها على مرحلتين فضلنا متابعتهما في كل كتاب منــــها على حدة لبيان الغاية من البحث في الممارسة التحليلية وهي بيان معالم الخطـــــاب الافتتاحي، إذ نعنى في هاتين المرحلتين بدراسة ما يأتي:

- المنهجية المعلنة والمبادئ المصرح بها أو المرصودة.
- المنطلقات الفكرية وآليات تحقيقها المتقنة.

فتتابعها بالشكل الاتي:

1 - الاسلوب. أحمد الشايب

عندما نأتي على وصف منهجيته المزمع تنفيذها نجده يضع خطابه الافتتاحي في هيئة بيان اجمالي في اطار منهج جديد لعلم البلاغة العربية، وإن منهجه الجديد، هذا، يقوم كما يصفه، على ملاحظة له تفيد ان الدراسة النظرية للبلاغة العربية، لعلومها الثلاثة، عند المتقدمين "لا تستوعب اصول البلاغة كما يجب ان تكون، لتساير الادب الانشائي في اساليبه وفنونه"[(5)]، فيفترض بموجب ذلك، ان يضع علم البلاغة (العربية) وضعاً جديداً يلائم ما انتهت اليه الحركة الادبية في وجهتيها العلمية والانشائية، فيمهد لمسعاه في محاولة وضع اصول البلاغة في منهجه المفترض هذا.

وقد اشار الى ما يزعم القيام به، في كتابه، إذ افترض تقسيم علم البلاغة على بابين: يختص الاول بدراسة الاسلوب، وتدخل علوم البلاغة الثلاثة في ميدانه بوصفها فصولاً كغيرها مما يتناوله ويختص الاخر بدراسة الفنون الادبية وقوانينها واصولها ليسد ما يراه من نقص في البلاغة النظرية الموروثة[(6)].

لقد اتخذ الاستاذ (الشايب) من (التكميل والتجديد) ضابطاً فكرياً في منطلقه الخطابي الذي بنى عليه مقدمته التي اوضح فيها موقفه تجاه الدرس البلاغي العربي إذ تبين أنه بحثه في كتابه هذا هو محاولة لوضع منهج جديد لعلم البلاغة العربية بحسب ما، وقد اتخذ لذلك سبلاً تبناها في خطابه واهمها:

1-1 متابعة البحث في الموروث البلاغي واعادة مدركاته.

1-2 متابعة الحركة الادبية في ناحيتيها: العلمية والانشائية.

1-3 فصل ما أسماه بـ(الاسلوب) وما يخصه في مباحث خاصة من ضمنها علوم البلاغة القديمة، وعزلها مستقلة عن ميدان دراسة الفنون الادبية، بوصفها ذات وضع منهجي اجرائي، لغرض اتقان قواعد الدرس معرفياً.

2 – الاسلوبية والاسلوب. د. عبد السلام المسدي

وقد اخترناه ليكون في المقدمة لما رأيناه من تقدمه في مجال عمله وما حمله من طابع التخصص في البحث الاسلوبي واتخاذه محورا ثابتا حول نظريته[7].

2–1 في مقدمته التمهيدية التي تحمل عنوان (الاسلوبية العربية بين المكتسب والمنشود)، وضع جملة من الافكار الخاصة بالاسلوبية اوضح فيها موقفه تجاهها وبين أهم رؤاه في شأنها عن طريق بيان موقفه النقدي من الحداثة والتزامه المنهجي في مسائله إذ اشار الى نقاط هامة منها:

2–1–1 حداثة علم الاسلوب واختلاف مواقف الباحثين تجاه مكانته في العملية النقدية بوصفه ممثلا للحدث.

2–1–2 اتخاذه سبيل المنهج التحليلي في النقد، وإن العمل فيه ينقسم الى شقين:

2–1–2–1 المعالجة التطبيقية.

2–1–2–2 ما يتجه نحو التنظير، وهو أقل انتشارا من سابقه.

2–1–3 تظافر فواصل هويته المعرفية وتداخلها مع بعض العلوم المحايثة إذ قد تؤدي إلى الخلط والمعاضلة في الافكار إذا لم تقنن عملية الفصل بين حدودها، وتصنف مسلمات وجودها كما هو شأنه مع علم اللسانيات والبنيوية والبلاغة.

ونستهدي إلى منهجه المرتقب من خلال اعلانه عن مهمة بحثه إذ يقول عنه: انه محاولة لإيضاح الفواصل بين هويات معرفية تقبل التظافر والمعاضدة وتأبى التعاضل والمخالطة من اجل ضمان مصير الاسلوبية في رحاب الفكر النقدي العربي[8].

ومن خلال معالجته لعلاقة الاسلوبية مع بعض العلوم وتداخلها معها بين بعض منطلقات تأسيس مفرداتها، باثا رؤيته الخاصة فيما يتعلق بدراستها، كاشفا موقفه تجاه مفاهيمها واحوالها في مسيرة الفكر النقدي التطورية.

فالاسلوبية، في نظره، نتاج تلاقح بين علم اللسان والنقد الادبي، مشيرا الى انفصالها عنه (أي علم اللسان) واستقلالها في مناهج النقد بوصفها علما قائما بذاته.

وفي اطار تماس (البنيوية) مع البحث الاسلوبي اشار الى التباس امرها على المهتمين منتهيا إلى القول: إن "الاسلوبية لها منطلقات مبدئية تحتكم فيها الى مضامين معرفية"[9] فهي علمية (موضوعية) في معالجتها للنص الأدبي إذ يقتضي علم الاسلوب "ضوابط العلوم شأنه شأن علم النفس وعلم الجمال.. فلا احد منها يقارب النصوص بالشرح او يكاشفه بالتأويل الا وله مصادراته النوعية، أما البنيوية (وهذا هو الفارق بينها وبين الاسلوبية) فليست علما ولافنا معرفيا وإنما هي فرضية منهجية..."[10].

ويرى ان سبب الالتباس بين الاسلوبية والبنيوية هو النص الادبي، الذي يؤلف موقع ذلك الالتباس في الممارسة النقدية بينهما في الوقت ذاته.

كما يحدد منطلقا فكريا من منطلقات البنيوية التي توسلت بها بعض مناهج النقد ومنها الاسلوبية في آلياتها لتحقيق فرضية خطابها، فالبنيوية: تعتمد التجريد الشكلي (فتجعل النص مقصدها)، وتتوسل طريقها باساليب المنطق الصوري (العقلي الطبيعي) احيانا.

والاسلوبية في رؤيته الخاصة فضلا عن ذلك كله علم قائم بذاته، يقف بديلا عن البلاغة[11]، بمعنى انها منهج متولد عن سابقه بحكم التطور، وان شرط تولده منه، بوصفه واقعا معطى في التجذير التاريخي، أن يكون وريثا ينفي وجوده بقاء ما تولد عنه. فالاسلوبية "ما لم تبتكر تصوراتها النظرية ومقولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفا وحجما عن تقسيمات البلاغة وصورها فانها تنتقض من حيث ترمي ان تكون بديلا في عصر البدائل (بمعنى التطور المعرفي) ذلك انها تفقد بالضرورة كل علة لوجودها"[12].

فاذا كانت المادة، المدروسة واحدة في البلاغة والاسلوبية على حد سواء، وهي الظاهرة الادبية فإن المنهج بينهما مختلف وهذا يعني استقلال علم الاسلوب عن البلاغة باسسه المعرفية وموضوعاته المنهجية[13].

تلك هي أفكاره عن علم الاسلوب، ورؤيته الاسلوبية في اطار المعرفة النقدية الحديثة.

2-2 أما في مقدمته الرئيسة التي حملت عنوان: (الإشكال وأسس البناء) فقد نوّه (فيها) بمنهجية عمله في كتابه (هذا) ونلخصها بالنقاط الاتية:

2-2-1 متابعة تاريخية لنشأة الاسلوبية.

2-2-2 وضع الاسس المعرفية لهذه النظرية.

2-2-3 المساهمة من خلاله (بوصفه جزءاً من الخطاب الحداثوي في النقد العربي) في تبني نشر المبادئ الطلائعية لتأسيس الريادة والدفاع عن المعاصرة والتبشير بسلطانها[14].

2-3 ولايضاح تلك المفردات بالمتابعة والإيجاز قدر الامكان نجمل نشاط (المسدي) في اطارها بالاتي:

2-3-1 نقد الواقع النقدي إذ يصفه بالضعف وتشخيص مسببات ذلك الضعف إذ يقول "و لم ينفك هؤلاء واولئك يستقون من معين الاخرين فيأخذون عنهم ولا يعطون"[15]. فنقطة الضعف وسببها (في نظره) هي القراءة السلبية (الاستهلاكية) للمعطى النقدي في الغرب، تلك القراءة غير المنتجة في الفكر العربي المعاصر، بمعنى ان الممارسة النقدية عند العرب، في واقعها، سجينة الأخذ فلا يصدر عنها عطاء[16].

وان مثل هذا الانتقاد نجده بكثرة في كتابات المؤلفين المعاصرين بشكل عام، بيد اننا لا نجد من يقول بحلٍ مطلق لتمثل هذه المشكلات المشخصة، سوى ما اقترح من تدابير جزئية وإجراءات فردية.

ونفهم من خطابه النقيض (هذا) انه سيتجاوز في منهج كتابه ما وقعت به الممارسة النقدية العربية الحديثة، من سجن لها داخل مخطط الاخذ السلبي القاصر عن ممارسة نشاط العطاء، ويصرح في مقابل ذلك انه يعتمد بعدين افتقرت لهما التجربة عند الآخرين: بعداً نقدياً وآخر اصولياً[17]، ليسلك بذلك سبيل التنزه عن المذهبية والتوجه نحو الرؤية الفردية الابداعية الواضحة، اذ يرفض اقامة الحواجز بين

مصادر التفكير، كما هي الحال عند الباحثين العرب ولاسيما المحدثين منـــهم، وفي مقدمة ذلك رفض الحاجز بين الفلسفة والنقد، وتقويضه، مـــن خـــلال النظـــرة الأصولية في النقد[18].

2-3-2 مما ورد نستنتج انه يحاول التوجه نحو دراسة الأسس النظرية لعلـــم الاسلوب، حديث النضج، دراسة نقدية فضلا عن دراسة مبادئه العامة.

2-3-3 يحاول اثبات اهمية نظرية الاسلوبية وبيان مكانتها ضمن تيـــارات النقد المتجددة ومجاريها اللسانية العامة، والاشارة إلى وجود البحث الاسلوبي منـــذ بداية القرن، في مقابل التصريحات التي تشكك بشرعية ذلك الوجود وما نتج عـــن ذلك من عدم استقرار في منحاه العلمي (أي منهج البحث الاسلوبي) وتفرقه بـــين القواعدية التعليمية القديمة وضبابية الذوق الفني والحس الانطباعي. وذلك نجـــده في قوله "والناظر في مقومات نظرية الحداثة في النقد والادب يتبين الها تستند في مجملها إلى مادة وموضوع تربطهما علمانية المنهج... وأول ما يلفت انتباه المنظر اليـــوم وقد استقرت نظرية الاسلوب معطى حضوريا لديه... هو أن التيار الاســـلوبي في النقد الأدبي قد شق طريقه منذ فجر هذا القرن بين شكوك متكاثفة خيمت علـــى شرعية وجوده ودفعت به مدا وجزرا مرة إلى القواعد التعليمية القديمة وأخـــرى إلى ضبابية الذوق الفني والحسي"[19].

2-3-4 ويعلن بعد ذلك عن اهداف يسعى الى تحقيقها في مشروعه العلمي نلخصها بالاتي:

- وضع الحدود بين العلوم المجاورة للاسلوبية وبيان مظاهر علاقتها بتلك العلوم.
- وضع فلسفة خاصة (فردية) لتلك العلوم تؤدي الى إحكام المعرفة اليقينية بهـــا، وذلك يؤدي الى:
- تحديد الطابع العلمي للاسلوبية بوصفه مسلمة معرفية.
- تحديد موضوعها وهو الاسلوب.

وهو ما يعني تحقق العمل بالمنظور الاصولي الذي صرح بـــه بحســـب مـــا أشرنا[20].

2-4 إن من أهم العناصر الفكرية التي يمكننا استشراف وجودها في الخطاب الافتتاحي لهذا الكتاب ما يأتي:

2-4-1 منطلق العلمانية الفكرية.

2-4-2 الحداثة والمعاصرة.

وهما من الارتباط والتداخل بحيث يصعب الفصل بين آليات تكوينهما المنطقي والعلمانية في هذا الموضع تكون ذات روح وضعي جديد.

2-5 وإن من اكثر الآليات (الفكر لغوية) التي يعتمدها هذا الخطاب (النقدي الاسلوبي)، ويتخذها مرتكزات لوسائل خطابه في تحقيق وجود عناصره الرئيسة تلك ما يأتي:

2-5-1 اعتماد مقولة الانموذج التواصلي، الذي ابتدعه (ياكبسون) في مخططه الذي وزع فيه وظائف النص اللغوي على العناصر المساهمة في تأليفه وهي: النص، والمتلقي، والمؤلف أو منتج النص.

2-5-2 وكذلك مقولة (البديل الحركي) في نمو الظاهرة المنهجية[21]، أو البدائل في حركة الذهن المعاصر[22].

2-5-3 ثم انصهار تلكما الآليتين في بوتقة المنطلقات (الفكرية) الغربية، بوصفها مبادئ في العمل المنهجي، في مقابل تصارع المنظور العربي المستمر وإياهما.

2-5-4 وأخيرا تكون قضية تحسس العرب سبل المناهج المستحدثة في مقابل الانشغال باتصالهم أو انفصالهم عنه[23].

فيشير بذلك الى استلهام منهج (الآخر) باعتماد علمانيته ذات الروح الوضعي، واليقين العلمي التجريبي، بمعنى ادارك الماهيات والتزام القوانين المحددة لعلاقة الأشياء ببعضها[24].

وتمثل النقطتان الاخيرتان القضية التي يحملها خطاب الاسلوبية عموما، وهما في الوقت نفسه يمثلان الإشكال الذي يطرحه هذا الخطاب.

3-4-2 ويعلن كذلك عـــن منطلـــق اخـــر (ثـــالث) هـــو: الفلســـفة الايستمولوجية إذ يسعى الى النظر الاصولي في المعرفة. وآليته المعلنة، لذلك هـــي الرؤية الفردية الإبداعية الواضحة والنابعة من فكرة الايستمولوجيا ذاتها، ورفـــض الحواجز بين مصادر التفكير في الحداثة، واهم تلك المصادر النقد والفلسفة.

3 – علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. د. صلاح فضل

نتجاوز الترتيب الزمني فنختار هذا الكتاب في اجرائنا التطبيقي لاننا نراه مـن المرتكزات المهمة في البحث الاسلوبي العربي المتخصص بتوجيه النظرية وتأســـيس مفاهيم العلم المحدث.

3-1 إن مبدأ الاعلان عن مجموعة من المسلمات التنظيرية كان خاصيـــة في اسلوب الدكتور صلاح فضل في خطابه الافتتاحي إذ بث من خلاله جملة أفكـــاره حول الموضع وان من اهم ما احتوته مقدمته الافتتاحية هذه ما يأتي:

3-1-1 حداثة علم الاسلوب ضمن قائمة العلوم الانسانية.

3-1-2 تأصل جذوره في ثقاتنا العربية، فهو على الرغم من حداثته ليـــس بدعة عصره.

3-1-3 صلته بعلم البلاغة (تلك الصلة القائمة على التوارث) وهو ما يحدد دوره في الثقافة بعد عجز البلاغة وعقمها، كما يصرح أصحاب الأسلوبية وهـــو أحدهم.

وبخصوص هذه المسألة نلاحظ ابتسار فكرته، قياسا على ما أوضحناه عـــن (المسدي) في كتابه سابق الذكر إذ بنى علاقتهما على (التوالد) وهي صفة تشير الى الثوارث على وفق تطور مناهج المعرفة الانسانية، في حين يشير الدكتور صـــلاح فضل اليها إشارة عامة.

3-1-4 اختلاف روافد النشأة، لهذا العلم، فهو ينحدر من اصلاب مختلفـــة على الرغم من ان هذه الروافد تعود في النهاية الى ابوين فتيين همـــا علـــم اللغـــة

الحديث (الالسنية) من جانب وعلم الجمال الذي ادى مهمة الابوة الاولى من جانب اخر.

3-1-5 وثمة ما يتعلق بذلك القول إذ يشير الى قصور الثقافة العربية عن ميلاد علم للاسلوب عربي اصيل، ينبع من واقع الثقافة العربية ذاتها، وذلك لان كلا الرافدين اعلاه (الالسنية والجمال) لم يستنفر حتى الان بشكل حاسم على رقعة الدراسات العربية[25].

3-1-6 تحديد موضوع علم الاسلوب، فإن مادة دراسته هي الاساليب ذاتها.

3-2 وفضلا عن هذه الملاحظات المبدئية التي ضمنها مقدمته نلمس توجهات منهجية لكتابه هذا يمكننا ان نلخص حدودها بالاتي:

3-2-1 يحاول في بحثه ان يكون من الرواد الذين يأخذون على عاتقهم الترويج للاسلوبية بوصفها علما جديدا (وافدا) عن الاخر، إذ يقول: "تحاول هذه الصفحات القلائل ان تجلو بقصد، وعلى بينة، فرعا من العلوم الانسانية الشابة لم يظفر بما يستحقه في اللغة العربية من رعاية واهتمام حتى الان"[26].

3-2-2 استشكاف مجالات هذا العلم واستيضاح مناهجه.

3-2-3 تحليل مبادئه على وفق المفهوم التاريخي، وتتبعه عبر مراحل تطوره الزمانية، فضلا عن متابعة المفهوم النظري لمقولة الاسلوبية لغرض إرساء أسسها وفقا لنظرية المعرفة المعاصرة، وبيان اهمية اعتمادها في الدراسات التطبيقية، إذ تستمد منها صلابتها وتماسكها وصدق نتائجها[27].

3-2-4 عرض مجموعة من الاجراءات التحليلية والقضايا الأسلوبية التي تدرس كيفية وضع المنهج موضع التنفيذ.

3-2-5 عن طريق الانتقاد في خطابه النقيض يعلن مبادئ إجرائية متعددة، في منهجه إذ نلمح فيها اشارة منه الى تجاوزه قصور الاخرين في اغفالهم اياها ومن جملة تلك الاشارات:

- تجاوز الوعي الفطري الساذج في مقابل المعرفة العلمية.

- تناول الظاهرة الادبية في حياتها داخل المجتمع.
- ورود منابع العلم خارج نطاق المجتمع (المحدود) أو (القومية) للوقوف على دقائقها، والاخذ بمقولة التلاقح الثقافي للمعرفة بين الامم(28).
- يعلن رفضه للنسخ وتقليد الاخر (الأوربي) فالباحث العربي كما يفترض لديه فرصة الاختيار والإضافة، بما يتوافق مع الذوق الجمالي والخصائص المميزة للغة والفن، وهو ما نفهمه من قوله "وسنرى عند استعراض المدارس الأسلوبية المختلفة والكشف عن التجارب والاتجاهات المتباينة الى أن أمامنا فرصا واسعة للاختيار والإضافة والتكييف، واننا لا يمكن أن ندعو الى النسخ والتقليد... لكن ماينبغي ان نستحضره، دائما، هو ضرورة الاستحضار المنهجي والتذرع بادوات التحليل العلمي..."(29).

3–3 يمكن بعد ذلك كله أن نحكم القبضة على منطلقين رئيسيين في خطاب الدكتور (صلاح فضل) في مقدمته، وهما:

- الاستحضار المنهجي الدقيق.
- التذرع بادوات التحليل العلمي.

ويجمعهما رابط فكري واسع المدركات نلخصه بمقولة (الحداثة) في المعرفة، وهي حداثة قائمة على العلم مرتكزة على معطيات ثقافة المجتمع آخذة بمقولة عالمية النتاج المعرفي في حركة التطور باشكاله كلها، في الوقت ذاته.

3–4 وقد اعتمد لتحقيق هذه المنطلقات على مدى خطابه آليات (فكر لغوية) سعى الى اعلانها بوصفها منطلقات مبدئية في منهجية البحث الاسلوبي، وما هي في الحقيقة الا تلخيص لموقفه من الاسلوبية وعرضه لارائه فيها.

3–4–1 اعتماد الدراسة المنهجية في التطبيقات الاجرائية، وتقنين المبادئ وتأصيل الاساليب في التحليل الاسلوبي.

3–4–2 التزام نسق علمي تكاملي يتصف بالنضج ويتخذ وسيلته وادواته في التحليل والقياس بما يتناسب والتطور الحاصل في المعرفة.

بمعنى إتباع أسس سليمة تضمن التنامي العلمي للحقائق والتراكم الطبيعي للانجازات.

3-4-3 التوصيف الدقيق للظواهر والرؤية الشاملة لمختلف الاتجاهات والمدارس، ليكون الاختيار من بينها ويكون ذلك الاختيار مبنيا على علم وبينة في فكر الباحث ليتم التوفيق بين عناصرها والظواهر الأسلوبية عن وعي وادراك وبصيرة.

3-4-4 وهو ما يعني الاتصاف بالنضج العلمي والتقدم المعرفي إذ انهما من خصائص عصور الازدهار.

3-4-5 ورود منابع العلم لدى الاقوام الاخرى والايمان بتلاقح الثقافة والمعرفة.

3-4-6 الكشف عن حقيقة امتلاك المجتمع الثقافي العربي القدرة على العطاء، اذ ان لديه طرقا خاصة في توليد المعرفة وابتكارها فضلا عن قدرته على احتضان المنتج الحضاري المنقول عن الامم الاخرى وتبنيه وتطويره. ومثال ذلك تجربة النهوض البلاغي في العصر الاسلامي.

3-4-7 اعتماد آلية الابتكار والاتقان، إتقان الممارسة وابتداع التطبيق وابتكار الحلول.

وكان هدفه المعلن (من وراء ذلك كله) هو الارتقاء بالمستوى المعرفي الانساني على المستوى العالمي والخروج عن نطاق الانغلاق في التراث.

3-5 وإن من وسائله المقترحة في هذا الخصوص مما يخدم مادة البحث الاسلوبي:

3-5-1 اختيار اهم التيارات واعظمها شأنا في الاسلوبية.

3-5-2 التوسع في استخدام المصطلحات العلمية وتقريبها من القارئ بما يساعد في تيسير الفهم.

4 - الاسلوب دراسة لغوية احصائية. د. سعد مصلوح[30]

وضع الدكتور (سعد) في فاتحة كتابه جملة من المبادئ التي تمثل رؤيته وتوجهه العلمي، واهمها قضية التماس المعايير الموضوعية لدراسة الادب ووضع

منهج اكاديمي لها، فتوجه نحو المنهج الاحصائي ليقيم عليه مشروع دراسته. وقد اتخذ الخطاب النقيض غير المباشر وسيلة اسلوبية في مقابلة الخطاب السلفي المعاصر له فكان الرفض سبيلا لاعلان المبادئ، كما في قوله: "غير اني وجدت اكثر هذه الدراسات ما يزال مفتقرا الى علمية المنهج وانضباط الوسائل وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاحصائي"[31]، وقوله "وأرى ان عمود الامر وسنامه هو أن نعرف ماذا نحصي؟ وكيف نحصي؟ و لم نحصي؟ وقد رأيت ان اكثر ما وقع لي من بحوث في هذا الشأن يكابد الكثير من الغموض في هذه الامور..."[32].

أما بخصوص مفردات منهجه فأننا نستطيع تصنيفها تحت حقلين رئيسين من البحث، يحتوي احدهما قضايا التحليل الاسلوبي في المنهج اللساني، ويشتمل الاخر على مشكلات البحث الاسلوبي النظرية والتطبيقية في الادب.

وقد لاحظنا انه يعلن عن سعيه الى الخوض في مجال البحث الاسلوبي لكننا لم نجده يذكر مصطلحي علم الأسلوب والأسلوبية، مما يمكننا من التأويل على وفق فهمنا لصلة هذين المصطلحين بالنظرية، وفي هذا الموقف بالذات يتجنب التصريح بالخوض في مجال التنظير إذ يميل نحو التطبيق او نحو البحث العام في الموضوع من غير تحديد للموقف المعرفي.

4-1 وفضلا عن ذلك فإن منطلقاته المبدئية التي يصرح بالتزامه بها في كتابه تتلخص بالاتي:

4-1-1 عرض بعض المقاييس الكمية التي تستخدم في تحليل الاساليب، ومناقشة محتوياتها، واسباب اختيارها.

4-1-2 تطبيق تلك المقاييس على النصوص العربية[33].

4-2 يمكن تلخيص رؤيته العلمية في منطلقين بني عليهما خطابه الافتتاحي هذا وهما من التداخل والتعاضد بحيث يؤديان الى تكميل بعضهما من غير لبس او تعارض ويؤلفان (ثنائيا تكميليا)[34] وهما:

- علمية المنهج واكاديميته واثر ذلك في فرض النظرية الاسلوبية ضمن واقع المعرفة الحديثة.

- الانضباط المعرفي (العلمي) بوساطة الاحصاء.

4-3 ولتحقيق وجود هذين المنطلقين (الانضبـاط والعلميـة) في خطابه وجدناه يتخذ آليات جعلها بهيئة الامتياز لمشروعه إذ يعلن عن سعيه لتحقيقها، نلخصها في النقطتين الاتيتين:

- الجدة في الافكار والجدارة في تبينها فضلا عن الكفاءة في تطبيقها.

- المساهمة في ازدهار البحث الاسلوبي والعمل على تمكينه ضمن اطـار المعرفة المعاصرة.

5 – مدخل الى علم الاسلوب. د. شكري محمد عياد

يستهل الدكتور شكري مقدمته باعلان مبدئي يضع القارئ امـام حقيقة مفادها ان "الكلام عن الاسلوب قديم اما علم الاسلوب فحديث جدا"[(35)]، فيتخذ من ذلك دستورا في كتابه.

وإن كلامه سابق الذكر يحمل بمجمله فكرة يتبناها، هو، يمكن تلخيصها بانه سلفي المذهب، يبحث في الاصول ويحاول التجذير على وفق منهج تحليلي يتخذ التلفيق بين الوصفية والتاريخية صفة لمسلكه في العمل.

فهو يعتقد عودة علم الاسلوب الى علوم البلاغة القديمة إذ يمثل احد فروعها في السابق. ويحاول اثبات وجود (علم الاسلوب) في اصول ثقافتنا العربية بما حملته من موروث بلاغي، وذلك يتضح من قوله: "فعلم الاسلوب ذو نسب عريق عندنا لان اصوله ترجع الى علوم البلاغة. وثقافتنا تزدهي بتراث غني في علوم البلاغة"[(36)].

ويقيم منذ افتتاحية كتابه هذا خطابا نقيضا لخطاب التحديث الذي شاع في ادب الشباب المتأثر بحضارة الغرب العلمانية، ويتهم هذه الاخيرة بالبدعة ويعلن ان كتابه لا يصدر لمجرد رغبته بالخوض في الحداثة او التحديث بل انه "يحاول ان ينشئ في ثقافتنا العربية علما جديدا مستمدا من تراثها اللغوي والأدبي ومستجيبا لواقع

التطور في التراث الحي، ومستفيدا من دراسات اهل الغرب بالقدر الذي يمكن من رؤية التطور المعاصر رؤية تاريخية، وقراءة التاريخ قراءة عصرية"[37].

فخطابه يرمي الى تصحيح الواقع الفكري المعاصر اذ يقيم بناءه على مناقضة ما أسماه (الفوضى) البلاغية، اللغوية، التي شاعت أخيرا بين الشباب خاصة.

فيرى ضرورة ملحة في دراسة الموروث والتعمق فيه ليكون التجديد بمستواه من العطاء والنضج.

وفيما يخص عمله في مجال النظرية (الاسلوبية) فإننا لا نجده يصرح بعدم وضعه قواعد للاسلوب كما انه لايتعرض لتاريخ علم الأسلوب ولا مناقشة اهله إلا بالقدر الضروري لتوضيح الطريقة العلمية فيه لقراءة النصوص الادبية.

فملخص عمله يتجلى في محاولة تعلم طريقة قراءة الاساليب وتمييزها.

ويضع قسما من عمله في ميدان الدراسة التطبيقية، وفيها يركز على النصوص في ذاتها إذ يعتمد معطيات نظرية النص في النقد الاسلوبي.

ونستشرف مما تقدم انه يسعى الى اقامة منهج تعليمي في هذا المجال يكون الهدف منه الايضاح وزيادة المعرفة وليس اقامة المعيار.

يرتكز الخطاب التمهيدي لكتاب الدكتور شكري (هذا) على منطلق الاصالة والابداع في البحث في سعيه الى تحقيق عنصر العلمية في معرفة الاسلوب، وهو ما يعني اقامة المنطلق الفكري فيه على شقين: أولهما الاعتراف بصحة البحث العلمي التراثي، وهو يعد الركيزة الاساس في رؤيته عن الموضوع، فيقيم بحثه على مبدأ (كلاسكي) تكون صورة الموروث فيه هي الاكثر اهمية، والآخر، وهو تكميلي لسابقه ويعنى فيه بتطوير البحث وتكميله إذ يأخذ بما انتجته الحضارة الانسانية من تطور في مجال هذا العلم.

وتتلخص آليته (الفكر لغوية) لتحقيق هذين العنصرين باعلانه عن مشروعه التراثي في البحث اذ يتوجه، كما يصرح نحو قراءة علم البلاغة بإتقان فضلا عن التحقق من نتائج الدراسة النصية عن طريق البحث المباشر الحي في النتاج الأدبي. وهذا هو ما دفعه الى اقامة دراسته على شقين على مدى كتابه محاولا الموازنة

بينهما ليشمل كلا من النظرية والتطبيق في عمله، على الرغم من تصنيفه في حقل العمل التنظيري إذ انه، كما فهمنا من خطابه الافتتاحي هذا يحاول الوصول الى نظرية بعيدة عن المتيافيزيقية او فرض القواعد بصورة مطلقة بل يحاول الاستناد الى معطيات النص الادبي في تحقيق نظريته.

6 – دليل الدراسات الاسلوبية. د. جوزيف ميشال شريم

افتتح الدكتور (جوزيف) كتابه بتمهيد عن ماهية الاسلوبية استخلص بعدها جدولا وضع فيه ترسيمة خطية بين فيها أهم الاتجاهات في الأسلوبية وموقعها ضمن مسرد العلوم الإنسانية[38].

وإن هدفه المعلن من كتابه هذا، هو تكوين فكرة شاملة لدى القارئ العربي عن الاسلوبية بمساعدة هذا (الدليل). ومن خلال خطابه الافتتاحي (هذا) نجده ينطلق في رؤيته الخاصة من مقولة التواصل على وفق مخطط ياكبسون إذ يكون النص حلقة وصل بين القارئ والكاتب. متخذا من مستويات التحليل اللساني أنموذجا لكشف هذا التواصل من خلال بنية النص، بمعنى انه يتمثل المنهج البنيوي الوصفي في دراسة النصوص.

ويعلن في النهاية ان (كتابه) ذو غرض تعليمي اكاديمي فهو"يشكل نموذجا منهجيا للدراسات العليا"[39].

يمكن القول إن المنطلق الاساسي الذي حمله خطابه (الموجز هذا) هو: المعرفة المتخصصة في الاسلوبية، وقد اقام خطابه على وفق هذا المنطلق باعتماد آليات الدراسة المنهجة بموجب معطيات الدرس اللساني البنيوي اذ اتخذها منطلقات مبدئية في منهجه المعلن.

7 – البلاغة والاسلوبية. محمد عبد المطلب

7–1 من مقدمة الكتاب نستنتج ان ميدان دراسته هو البلاغة العربية القديمة خصوصا، وقد جعل المؤلف من عمله في هذا الكتاب بحثا تكميليا لجهد الدارسين

قبله ايفاء لحق البلاغة الموروثة في المتابعة والاضافة عن طريق ربطها بالبحث الاسلوبي الحديث، والاتجاه بها نحو التجديد.

مصرحا بانه يتوخى "الافادة في ذلك من كل العناصر الموروثة التي تمثل في جوهرها قيما تعبيرية تصلح اساسا (لأسلبة) البلاغة"[40]، ويعلن انه سيعرض الامكانيات الاسلوبية التي وجدت في داخل مباحث البلاغة (القديمة) بوصفها طاقات لغوية في نسيج التعبير الادبي، محاولا تحييد معياريتها على قدر الامكان وتقنيناتها التصنيفية.

ثم يصرح بعزمه على متابعة مفهوم الاسلوب في الدراسات القديمة ليكشف عن القيم التعبيرية في الصياغة.

معتمدا في ذلك على المتابعة المكانية (من المشرق العربي الى المغرب) مدخلا فلسفة النحو في مجال عمله[41].

ذلك فضلا عن تصريحه بالعزم على تتبع مفهوم الأسلوبية مبينا ان هناك اتجاهات متعددة برزت من خلال هذا المفهوم، منها ما يغرق في انطباعيته الذاتية ويتزيا غيرها بثوب موضوعي خالص احيانا كثيرة، وإن كليهما يعتمد مقولات علم اللغة في معطياته الرئيسة[42].

ويوضح ان دراسته للأسلوب، من خلال البلاغة العربية القديمة، قائمة على افتراض ان الدرس الاسلوبي هو فن لغوي وادبي في آن واحد، وبذلك يمكن التقريب بينها وبين الاسلوبية الحديثة، في رأيه[43].

فيحاول كما يصرح أن (يؤسلب) البلاغة، متابعا مفردات البحث البلاغي مقارنا إياها بمباحث علم الأسلوب، الذي يعتمد نتائج علم اللسان في معطياته الرئيسة، ليثبت اصالة البحث البلاغي في دراسته للاسلوب وسبقه في هذا المضمار.

ويسعى من وراء المزاوجة بين البحث البلاغي، بما احتواه من امكانيات تعبيرية، والأسلوبية في دراستها للادب بوصفه نتاجا لغويا، وربطهما بالنقد الادبي الى انتاج نقد جديد يمكنه التعامل مع النص من خلال فهم امكانياته وطاقاته وابعاده التراثية، من دون ان يحاول، بحسب ما يصرح، تطبيق مفاهيم غريبة عنه وارغامها على التعامل معه.

وعلى رأس اهدافه المعلنة في مقدمته انه يجعل من كتابه محاولة لقراءة البلاغة القديمة على وفق معطيات الاسلوبية المعاصرة[44].

7–2 لقد تضمن خطابه الافتتاحي جملة منطلقات فكرية يمكن تصنيفها بالشكل الاتي:

7–2–1 الاصالة والمعاصرة في محاولة تأطير البلاغة العربية الموروثة باطار الاسلوبية الحديثة، أي تتبعها على وفق منهج الاسلوبية المعاصرة[45]. وهو ما يمكن وصفه (بالتجذير).

7–2–2 اقامة نظرية لغوية حديثة لفهم النص الادبي العربي، أي القدرة على (الابتداع).

7–2–3 تأسيس رؤية عربية معاصرة لمفهومي الاسلوب والاسلوبية.

7–2–4 يمكن جمع ذلك كله في منطلق شامل جعله هدفا لبحثه وهو: إحياء التراث البلاغي العربي والتواصل معه بتجذيره على وفق معطيات العلوم المعاصرة.

7–3 ولتحقيق تلك المنطلقات في واقع خطابه الحالي والافتتاحي، اتخذ سبيل الاعلان في آلية (فكر لغوية) فكانت عنده جملة من النقاط اعلنها اهدافا نوردها بالترتيب المناسب لتلك المنطلقات بالشكل الاتي:

7–3–1 عقد مقارنة بين الاسلوبية الحديثة والبلاغة القديمة، بهدف ابراز دور البلاغة العربية القديمة في الثقافة النقدية.

7–3–2 متابعة الجهد البلاغي من خلال مفرداته ومقارنتها بمباحث الاسلوبية المستندة الى علم اللسان.

7–3–3 الانطلاق من الموروث البلاغي ابتداءا من جهود عبد القاهر الجرجاني، بهدف (التأصيل) ومتابعة تطبيق ذلك على النصوص الأدبية، ثم الإفادة من كل ما يلائم هذه الجهود التنظيرية من انجازات لغوية وأسلوبية في العصر الحديث.

7–3–4 متابعة الاصول الاولى لمباحث الأسلوبية بوساطة الترجمة، والإفادة من نتائج الدراسات القائمة حول الأسلوب.

فهو إذن يحاول قراءة البلاغة القديمة قراءة جديدة في محاولة لربطها بـالبحث الأسلوبي الحديث(46). وتلك هي، في الوقت ذاته، مفردات منهجية عمله المعلنـة في كتابه والمزمع تنفيذها لتحقيق فاعلية البحث الأسلوبي.

8 – اللغة والابداع. د. شكري محمد عياد

8–1 في تتبعنا للرؤية الموجهة للخطاب الافتتاحي في كتاب الدكتور شكري الحالي، يمكن ان نجد الامتداد المناسب لفكرة النقد التي اقامها القدامى وسار عليـها النقاد جيلا بعد اخر، تلك الفكرة التي أقيمت على عرض مشكل الحداثة والقدم في الانتاج الثقافي (الاتباع والابداع) فحيث يعني القدم (الاتباع) المثل الاعلـى مـن الصحة تعنى الحداثة محاولة التطور والخروج على نطاق الحضـر الـذي يفرضـه الموروث (الملزم الاتباع) شرط التتره عن الوقوع في الخطأ ولو بدافع التجديد.

فالمشكلة الاساسية التي يتعرض لها الادب الحديث، بحسب رأيه، هي مشكلة لغوية، كما ان المشكلة بين الحداثة، التي تأتي بمعنى التجديد، والاصالة تتلخـص في الغموض بسبب مخالفة قواعد الانتاج الادبي السائر علـى وفـق نظـام اللغـة المألوف(47). إذ ان هناك من يفهم الحداثة على انها تحطيم للقواعد اللغوية ويحـاول الدكتور شكري الدخول في عالم الاسلوبية، القائمة أساسا على البحث اللغوي في الادب، بحسب رأيه، عن طريق البحث في المشكلة اللغوية ذاتها، ونعتمد في ذلـك تصريحه الاتي "الكتاب الذي بين يديك غير مخصص للبحث في الحداثة، في الابداع، او في النقد، ولكنه مخصص للبحث في اللغة حين تتخذ وسيلة للابداع الفـني"(48). وهكذا يعللّ الاهتمام بالبحوث الاسلوبية بالقول إن الادب يتميز بالأساس، وقبـل كل شيء، باستعمال اللغة استعمالا خاصا، عادا تلك المقولة مسلمة مهمـة مـن مسلمات النقد. فكل شاعر او كاتب له طريقته الخاصة في استعمال اللغـة ولـه اسلوبه المميز به.

ثم بعد ذلك يعرض لاشكالية البحث الاسلوبي، وماهية علـم الاسـلوب. موضحا ان "البحث الاسلوبي اوسع من التفسيرات والتطبيقات الاسلوبية لمفـاهيم الحداثة"(49)، وكذلك هو اوسع مما تعبر عنه الأخيرة (أي الحداثة) بالاستعمال الفني

للغة[50]. فيقدم من خلال ذلك اعترافه بوجود علم الاسلوب الذي يقـــوم علـــى دراسة الامكانيات التعبيرية للغة، بمعنى انه يدرس "الوسائل التي يملكـــــها الجـــهاز اللغوي نفسه لاداء معان تتجاوز الاغراض الاولية للكلام"[51]، وهكذا نجده يسخر الدراسة الاسلوبية لتحقيق هذا الهدف. ويشير في مقترح له الى امكانية تطوير منهج الدراسة الاسلوبية ليكون اكثر تخصصا فيقوم بدراسة (الخصائص) الاسلوبية للكتابة الادبية باشكالها[52].

ويمكننا استقراء منهجه العلمي واتجاهه الاسلوبي من قوله: "الا ان مثل هــذا البحث لا يعد بحثا علميا ما لم يستند الى قواعد من علم الاسلوب العام، الــــذي يدرس الخصائص التعبيرية في اللغات عموما، كالمجاز والمشاكلة اللفظية والمعنويـــة، ومن علم الاسلوب الخاص، الذي يعنى بالمميزات التعبيرية للغة المعينة"[53]، أي لغــة العمل الادبي او الاعمال. وبموجب ذلك يحدد مفاهيم البحث الاسلوبي وشـــروطه كما يحدد آلياته الاجرائية وهي (المقارنة)، بحسب ما يصرح، ويعني بها المقارنة بـين دقائق النص وقياسها على ما في خارجه او ما جاوره في الاختصاص او الموضـوع، ويصرح (كذلك) مؤكدا ان مشروعه الثقافي يقوم بالاساس على الكشـــف عـــن وسيلة بحث اللغة الادبية.

وإن رؤيته في هذا المجال، عموما، تقوم على اعتقاد، هو اقرب الى الاثبـات، بتوافر هذه الوسيلة في علوم البلاغة الموروثة. وهكذا يسعى (كمــــا يصـــرح) الى اظهار القيمة التعبيرية للاثار الادبية بوساطة معارفها التي يحاول تنميتها عن طريقين: اولهما التفتيش عن نصوص بلاغية اكثر قدما، والاخر يقوم على النظر في الابحـاث الاسلوبية المعاصرة لدى الغربيين فإذا كان عمله فيما سبق هذا الكتـــاب (كمـــا يصرح) محاولة لاعادة تفسير البلاغة العربية وتشكيل مباحثها على هدي من علـــم الاسلوب[54]، فإن هدفه المعلن، في هذا الكتاب هو: "وضع المبادئ الاساسية لعلـم الاسلوب العربي كما نحتاج إليه"[55]، اليوم فنفهم من ذلك انه يسخر البحث لخدمة التطور الثقافي في القراءة والابداع معا.

أما منهجه المعلن لتحقيق ذلك فهو التجذير، في البحث عن الخصائص الفنية للغة العربية، في كتابات اللغويين القدامى فضلا عن التراث البلاغي. وبعد ذلـــك تكون محاولة اقامة البلاغة العربية المعاصرة وتجديدها في صورة علم للاسلوب العربي

باعتماد الدراسات اللغوية الحديثة، التي ميزت الظاهرة الاسلوبية من الظواهر اللغوية العادية.

وهو يعترف بانه لن يلتزم بأي منهج في البحث الاسلوبي او اتجاهاته التزاما كاملا، على الرغم من استرشاده ببعضها، فيوضح ان التزامه المنهجي بما يسميه (التطور التاريخي) يحتم عليه ابتكار الحلول المناسبة لمشكلاته بقدر ما يستلهم التراث وتجارب الثقافات المعاصرة[56].

وهو ينفي الفارق الزمني في سبيله لاستكمال منظوره التاريخي، هذا، ونسترشد الى ذلك بقوله "فلن نكتفي بالمقارنة بين البلاغة وعلم الاسلوب ولكننا سنعرض مشكلات (اللغة الفنية) في مساق واحد، ونضع اقوال البلاغيين القدماء بجانب اقوال الأسلوبيين المعاصرين، لا نفرق بين قديم وحديث او بين عربي وغربي"[57].

والمنظور التاريخي (في رأيه) يساعد على صياغة المشكلات الحاضرة واقتراح الحلول لها بصورة اكثر موضوعية، فضلا عن مساعدته في معرفة الماضي وتفسيره.

فيحاول من وراء ذلك ان يجد نوعا من التوافق بين افكار القدماء والمحدثين واقامة المشابهة بينهما فيما يخص معالجة المسائل الغامضة في البلاغة وعلم الاسلوب ومنها مسألة علاقة الاشكال اللغوية بالفكر[58].

وأما عن محاولة الضبط المعرفي للمنهج الذي يقترحه فيقول: "إننا نتبع طبيعة الموضوع فإذا دار البحث حول الظاهرة (الاسلوبية) فعمدتنا اراء الاسلوبيين المعاصرين، وإن كنا نطمح ان نخرج من تحليل هذه الاراء بنظرة مستقلة وجديدة الى اللغة الفنية. وإذا جئنا الى خصائص العربية في التعبير الجمالي فمرجعنا بطبيعة الحال اقوال النحويين والبلاغيين العرب إلى جانب النصوص العربية الفنية"[59].

فيحاول كما يصرح "أن يؤصل منهجا للدراسات الادبية"[60]، ويصف كتابه بأنه محاولة لارساء علم جديد يحتوي على (مبادئ علم الاسلوب العربي) أو أصول البلاغة العربية (الجديدة).

8–2 يمكن ان نشخص جامع منطلقاته الفكرية في خطابه الافتتاحي من خلال هدفه المعلن في دراسته هذه وهو "وضع المبادئ الأساسية لعلم الاسلوب العربي كما نحتاج إليه"(61)، وقد جاءت رؤيته في هذا المضمار منسقة على وفق المنطلقات الاتية:

8–2–1 ان ادبية الادب تتحقق من خلال اللغة. وهو ينطلق اساسا من هذه الفكرة، مؤسسا عمله على محاولة اكتشاف الوسائل التي تساعد على البحث في اللغة الادبية.

8–2–2 الحداثة والتطور انطلاقا من منظور تاريخي ممنهج. إذ يرتكزان على قانون توظيف الامكانيات التعبيرية للغة لإقامة عملية تجديد البلاغة العربية في صورة علم للاسلوب العربي.

8–2–3 اعتماد الضبط المعرفي في اتخاذ المنهج الموافق لطبيعة الموضوع.

8–3 وفي سبيل ايجاد الميدان التطبيقي لهذه المنطلقات، المقامة على الضبط المعرفي لمنهج الحداثة (التطوري) في تناول أدبية الأدب من الناحية اللغوية سخر مجموعة من الآليات التي تتصل بما سبقها من منطلقات واهمها:

8–3–1 البحث في لغة الأدب من حيث استعمالها الفني.

8–3–2 الاستناد الى قواعد علم الأسلوب وتصنيف ذلك العلم الى خاص وعام.

8–3–3 اتخاذ (المقارنة) وسيلة لتحقيق منهجه بوصفها وسيلة اجرائية تساعد في تحقيق مفهوم البحث في خصائص الاسلوب.

8–3–4 اجراء البحث في علوم البلاغة الموروثة.

8–3–5 التفتيش عن نصوص بلاغية اكثر قدما، والنظر في الابحاث الاسلوبية المعاصرة لدى الغربيين، واعتماد الدراسات اللغوية المعاصرة.

8–3–6 نفي الفوارق الزمانية والمكانية في المتابعة المعرفية، على وفق المنظور التاريخي المتطور.

9 – النقد والاسلوبية. عدنان بن ذريل

لقد احتوى النص التنظيري الافتتاحي لــ(عدنان) اشـــــارات صريحـــة إلى منهجه المراد اتباعه ومفردات بحثه اذ يكون موضوعه في اطار التنظيرات المســتمدة من الواقع التطبيقي للنقد على الشعر والقصة والرواية وبقية انـــواع الســـرد. وان منهجه اساساً يدخل في ميدان الحداثة البنيوية، فهو منهج بنيوي لســـــاني يؤمـــن بوحدة النص في نظام البنية. ففي تصريح له يقول انه اختط منهجه على وفق مــــا تمثل من مقولات كل من "مولينو، وتامين، وبارت، وتودورف، وجريمـــاس"[62]. وهذا يعني انه يتعرض لدراسة الشعر ويتمثّل مقولات (الشعرية) فضلاً عن دراســة النص بشكل عام وتمثل مقولات السردية في النقد. وهو يضـــوح ان تمثلــه لأراء هؤلاء النقاد لم يمنعه من ابراز رؤيته النقدية في مجال التنظير فضلاً عن خوضـــه في مجال التطبيق فقد مثلت كتاباته المتأخرة بتلك الافكار ابرز ما اعتمد في تطبيقاتـــه النقدية على النتاج الادبي الحديث في سورية[63]، على ان اشارته إلى تأثره بـــأولئك النقاد وتُمثّل افكارهم تعني انتشار فكره النقدي على مساحة النقد الحديث عموماً، مما يعني الانتشار في مساحة التطبيق والاتساع في المعرفة وشمولها، في الوقت ذاتـــه، ونستدل على ذلك من خلال متابعتنا الموجزة لهؤلاء النقاد وتوجهاتهم، معتمديـــن اشارته (هو) الى تلك التوجهات، بالشكل الاتي:

- (جريماس) اهتم بالسرد متوخياً دراسة المعنى ومساراته من خلال اللفظ وبلاغته، وقد رأى ان التحليل الدلالي للمسرود هو التحليل الاسلوبي له.
- (تودورف) اهتم بالنص (عموم النص) وتوخى بيان اسلوبية النص عن طريـــق تحليل قرائنيته المنطقية والبلاغية.
- (مولينو) و (تامين) اهتما بالتحليل اللساني للشعر وكان طريقهما الى ذلك هـــو التحليل البلاغي له[64].

ومن خلال تعرضه لبيان اهمية التحليل الالسني للادب، والدرس الاســـلوبي الحديث له، يعرب عن موقفه من مسألة الحداثة وموضوعيتها، اذ يندرج عملــه في قائمة المهتمين ببيان حقيقة الابداع الادبي ونقده، والعاملين على تطبيق المنهجيـــة العلمية في تحليل الادب، بحسب تصريحه.

لكننا نجد ما يخالف ذلك فبتتبع بسيط لتاريخ الفكر النقدي على وفق مناهج النقاد الواردة اسماؤهم، في مقدمته هذه، ندرك مدى تشتت افكار هذا الناقد بين مدارس (فكرية نقدية) متنوعة على الرغم من أن هذه المدارس يكمل بعضها بعضا، في حقيقة الامر، ضمن مسيرة النقد التطورية. فهو يتمثل آراء البنيويين ويأخذ بمنهج الدراسة اللغوية ويتعرض لشعرية النص ويتوجه الى الاسلوبية في الوقت نفسه فلا يلتزم تطبيق منهج موحد واقامة احكامه. وان السبب في ذلك هو فهمه المعمى لمصطلح الأسلوبية ورؤيته المضللة لمنهجها، فهي عنده لا تفارق مناهج النقد بكل اشكالها (اللغوي والبنيوي والشعري وغيره).

لكنه يقتصر (بوضوح) على الدائرة (النصية والبنيوية) بمعنى من معانيها، في دراسة الادب دراسة لغوية، على وجه الدقة في التحديد، فينأى عن الدخول في الجماليات او القراءة.

وإن اهم ما لمسناه عنده في مسألة علاقة الاسلوبية بالنقد الادبي الحديث هو كشفه عن علاقة التكميل بينهما لكنه، في الوقت نفسه، جعل من الاسلوبية أداة من ادوات النقد قاصرة عن التطبيق في ذاتها اذ يقول: "الاسلوبية علم وتأصيل والنقد الادبي تطبيق وتقييم، ونقطة الانطلاق لهما في ذلك هي اللغة، وحديثها، الملفوظات..."[65].

إن المنطلق الفكري الذي استند اليه خطاب (ابن دريل) الافتتاحي يقوم على التزام (النصية) بمفهومها الغربي الحديث بالدرجة الاساس فضلا عما تمخض عنها من مبادئ الحداثة والبنية والتوجه اللغوي في دراسة النص.

أما آلياته المعتمدة في تحقيق ذلك فنوجزها في التبني المباشر للنص الغربي النقدي، والالتزام المباشر بما حمله من فكر في معالجة النص الادبي ونقده، واتباع مناهجه ومفردات عمله في الدراسة الميدانية واهمها: الحديث عن البنية، والسلسلة، والملفوظ، والقيمة، والفعل، وغيرها.

10- أسلوبية الرواية مدخل نظري. حميد لحمداني

10-1 حمل الخطاب الافتتاحي الذي تقدم كتاب (حميد لحمداني)، هـــذا، فكرة كانت هي العنصر الرئيس الذي أسس بحثه على قاعدته وهي فكـــرة بنـــاء اسلوبية خاصة بالرواية؛ فكانت فكرة وضع، ما اسماه بـــ(بلاغة الرواية واسلوبيتها) لاول مرة هي الإشكالية التي طرحها هذا الخطاب.

فسعى الى معالجة مسألة الانتقال من بلاغة الرواية الى اسلوبيتها على وفـــق منهج تمثل الاخذ بما حصل من تقدم في البحث البلاغي والاسلوبي الحديـــــث في ضوء معطيات الدراسات اللسانية والبنائية المعاصرة، خارج الوطن العربي، فضـــلا عن الاخذ بمنطلقات (البلاغة الجديدة)[66]، تلك البلاغة ذات الاصـــل (المغـــاير) المأخوذ عن الآخر (الغربي) وتحييد البلاغة القديمة التي أقيمت على دراسة الشـــعر والنثر الفني. ونستشهد على ذلك بقوله: "ولا احد يجرؤ على الادعاء انه يمكـــن استنادا الى البلاغة التقليدية، عربية كانت أم غربية، ان يتبنى نقدا بلاغيا او اســـلوبيا للرواية الحديثة والمعاصرة"[67].

لكن كلامه (هذا) لا يمثل موقفه الكامل تجاه الموروث البلاغي فقد صرح انه يسعى الى تأصيل البحث وتجذيره (كذلك) عن طريق الموروث، اذ وصف كتابـــه بقوله: "كما انه لا يتجاهل بعض المعالم، والمباحث، البلاغية العربية التي اذا أعيـــد النظر فيها يصبح في الامكان الاستفادة منها في صياغة بلاغة جديدة للرواية"[68].

ويشير فضلا عن ذلك الى أخذه باراء الآخرين، ويعني الغربيين ومن سواهم، من اجل تثبيت اركان بحثه، فيقول: "انه على الأصح يتمثل أراء الاخرين ويصـــوغ رؤية واحدة يحددها الحرص الشديد على تحقيق اكبر قدر من التماسك والانســـجام المنطقي"[69].

وذلك يفيد ان قراءته للمعطى الحداثي الغربي ليست استهلاكية قاصرة وانمـــا قد ساعدته في انتاج خطابه المميز.

وتضمن خطابه الافتتاحي، هذا مسألتين تخصان عمله في هذا المجال أولهمـــا مسألة العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، والأخرى هي مسألة معالجة الرواية على وفق

معطياتها بوصفها انتاجا أدبيا ذا خصائص تميزه من غيره. لكنه لم يرتب فقرات خطابه بما يضمن تسلسل موضوعها فكريا، فجاءت معالجته مبثوثة على مدى خطابه كله متخذا التداعي اسلوبا له، وحقيقة الامر ان هاتين المسألتين من التداخل بحيث قد يؤدي الكلام فيهما الى نسيان انفصالهما فكريا على وفق معطيات الخطاب النقدي عموما، وهذا شيء يصعب تغافله.

وقد سلك أسلوب الخطاب النقيض للدخول في هذا المحور من المعالجة ومثال ذلك قوله: "ومن المفارقات المثيرة للانتباه ان كثيرا ممن مارسوا النقد القصصي والروائي في العالم العربي. كانوا يدرسون الرواية بالمقاييس البلاغية المأثورة وهي مقاييس نشأت اساسا من خلال تأمل ودراسة الظواهر الجمالية في الشعر والنثر الفني واعتمدت بشكل جوهري على رصد الظواهر الجمالية الجزئية، ...، وكان السبب الرئيس في خيبة امل هؤلاء النقاد هو انهم لم يجدوا في لغة الرواية نفس إشراقة العبارة وتألقها المعهودين في الكتابة الشعرية او في الخطب والرسائل الفنية"[70].

وقد دخل الى المسألة الأولى (بلاغة الرواية واسلوبيتها) من خلال بيانه لموقفه تجاه البلاغة العربية الاسلامية (الموروثة)، فقال ان البلاغة العربية القديمة لم تبلغ جوهر الفهم البلاغي لطبيعة الفن القصصي وذلك لانها لم تتمكن من تحويل ذاتها الى أسلوبية تتجاوز اطار الجملة لتتأمل ما يمكن تسميته ببلاغة الخطاب بوصفه كلا موحدا[71]، لكنه على الرغم من هذا الموقف نجده يصرح بانه في كتابه هذا "لا يتجاهل بعض المعالم والمباحث البلاغية العربية التي إذا اعيد النظر فيها يصبح في الامكان الاستفادة منها في صياغة بلاغة جديدة للرواية"[72].

ويمهد (لحمداني) للانتقال الى اسلوبية الرواية بقوله: "هناك ميل واضح الى التأكيد على ان بلاغة الرواية اذا اريد لها ان تصبح علما جديدا قادرا على استيعاب تقنية الرواية ومقوماتها الجمالية، عليها ان تتحول الى ما يمكن تسميته باسلوبية الرواية"[73]، فهي (أي اسلوبية الرواية) بهذا المعنى مرحلة متأخرة نصل إليها بعد تجاوز مرحلة بلاغه الرواية. وعن اثر الدراسة البلاغية في النقد الروائي الحديث يرى انه إذا كانت رواسب البلاغة القديمة قد بقيت في الدراسة الأسلوبية للشعر والنثر الفني فانها ألغيت تماما مع الدراسات الروائية[74].

وكلامه هذا يوضح السبب في اقامة معظم الدراسات الأسلوبية حول الشعر اكثر من غيره من أجناس الادب الاخرى، مثلما وجدناه في النقد العربي الحديث.

ويتوجه بعد ذلك الى ترسيم منهجه في الاختصاص بدراسة الرواية في النقد الحديث عن طريق (الخطاب النقيض) فيشير الى انطلاقه من مقاييس القصة او الرواية نفسها في مقابل اعمال من انطلق من النقاد من مقاييس الشعر والنثر الفني، وهو منطلق خاطئ بحسب تصوره، ونتبين ذلك من قوله المذكور "ومن المفارقات المثيرة للانتباه أن كثيرا ممن مارسوا النقد القصصي والروائي.. كانوا يدرسون الرواية بالمقاييس البلاغية المأثورة"[75]، ويؤكد انه رائد في مجال ابتداع المنهج الخاص بدراسة الرواية فيقول: "وإذا كان ينظر الى الدراسات الاسلوبية في غالب الاحيان من زاوية كونها تعالج قضايا الشكل والصياغة الصورية فإن النظرة الشمولية التي نظر بها الى الرواية في هذا الكتاب وضعت أسلوبية الرواية في اطار شروط التلفظ وفي طليعتها نوعية الوعي الذي يتحكم في صياغة العمل الروائي شكلا ومضمونا"[76].

10–2 وإن من أهم القضايا المنهجية المعلنة في خطابه التي صرح انه سيتخذها منطلقا في بحثه ما يأتي:

- محاولة النظر الى الرواية نظرة شمولية.
- وضع أسلوبية الرواية في إطار إشكالية البحث فضلا عما يسمى بـ(بلاغة الرواية).
- امتثال القول بنوعية الوعي الذي يتحكم في صياغة العمل الروائي شكلا ومضمونا ووضعه في طليعة اهتمامه.
- تضمين كتابه الكثير من الحقائق الجديدة التي (يزعم) انه توصل اليها بفضل التقريب بين الافكار السابقة الذكر في هذا الموضوع.
- اتخاذ سبيل الابحاث المعاصرة في الحقل اللساني والسميولوجي ليفتح افاقا جديدة في سبيل معرفة المزيد من اسرار الفن الروائي وإبداعه[77].

إن المنطلق الفكري الرئيس الذي يمكن استنتاجه من خطاب (لحمداني) الافتتاحي هو الضبط المعرفي في الدرس الاسلوبي الجديد الذي خص به الرواية

فعنصر الخطاب الاول عنده يتلخص في هدفه المعلن منذ البداية اذ يعلن انه يحـاول اقامة مدخل نظري لأسلوبية جديدة في دراسة الفن الروائي.

10-3 وإن سبيله الى ذلك هو افتراض آليات مركزية ثلاث هن من التداخل بحيث يكمل بعضها الاخر، وقد بنيت كل منها على وفق قواعد معرفية سـعى الى تحقيق وجودها في عمله خلال كتابه. وكان في مقدمة هذه الآليات او السبل: الميل الى تأمل طريقة تعامل الدراسة الاسلوبية السائدة سلفا مع الفن الروائـي وهـي تتحقق من خلال الاتي:

10-3-1 بيان الفروق الجوهرية الكبرى بين اسـلوب الشـعر الغنـائي واسلوب الرواية، خصوصا تلك التي تفرضها خصائص النوع الادبي.

10-3-2 بيان حدود فعالية التحليل الأسلوبي اللغوي والبلاغي بالنسـبة الى الرواية.

وتتبع الآلية الثانية من التعددية الأسلوبية للفن الروائي (ذاته) اذ تفترض قيـام اسلوبية من نوع مخالف لتلك التي يدرس بها الشعر الغنائي، وتقوم على الاتي:

- اعتماد بعض الملاحظات الأسلوبية النظرية التي وردت في النقد العربي والغـربي على حد سواء فيما يخص طبيعة أسلوب الرواية.
- الاهتمام بأبحاث (ميخائيل باختين) بشكل خاص وما تحتويه من مصطلحـات دالة في هذا المجال مثل: الحوار، وتعددية الصوت، واللغة وغيرهما.

وآخر تلك الآليات يتلخص بتلمسه خلال ذلك كله وعلى مدى دراسـته كلها علاقة الذات المبدعة بإبداعها الروائي وعلاقة الصوت الأسـلوبي الفـردي بالأصوات الأسلوبية الأخرى في حالة الشخصيات المتباينة.

10-4 وإن قوام عمله في ذلك يكون بالوجه الاتي:

- محاولة أجابته عن سؤال افتراضي يتلخص بالآتي: كيف يتم للروائي ان يتعـامل مع الأساليب المختلفة عن طريق أسلبتها وإدماجها في نظام عام؟
- محاولة تفهم طبيعة بناء الاسلوب الروائي اسـتنادا إلى فـهم جديـد لفكـرة (ياكبسون) التي تتضمن اسـقاط محـور الاختيـار علـى محـور التوزيـع (أو التركيب)[78].

وهكذا نلخص القول إن المنطلق الاساس في هذا الخطاب هو اقامة نقد بلاغي أسلوبي للرواية باعتماد خصائص هذا الفن الذاتية، داخل بنيته الفكرية، دون سواها وترك المؤثرات الاخرى التي تعود الى رواسب البلاغة القديمة التي اقيمت على دراسة الشعر والنثر الفني(79).

11- مقالات في الاسلوبية (دراسة). منذر عياشي

طرح الدكتور منذر عياشي في خطابه الافتتاحي، الذي جعله مدخلا تنظيريا لكتابه، إشكالية العلاقة بين الأسلوبية واللسانيات، فجعل من هذا الافتتاح مبحثا مخصصا لاقتراح منهج جديد، في هذا المجال، اسماه بـ (النظرية العامة للسانيات) فعد الأسلوبية فرعا من فروع هذه النظرية.

إذ بسبب تطور اللسانيات وامتدادها وملامستها العلوم الاجتماعية بانواعها "التحمت الدراسات الاسلوبية، عن طريقها، بالأدب وصارت بها اداة هامة من ادوات النقد وتحليل النصوص... ودراسة الخطاب وتصنيفه"(80)، ثم تطورت الاسلوبية على رأيه: "وصارت علما له خصوصياته لكنها لم تقو على مغادرة اللسانيات فظلت فرعا من فروعها"(81).

فرؤيته تتلخص بأن المعارف الخاصة بالنظرية اللسانية (المقترحة) تشكل "الكم المعرفي الاساسي والضروري بالنسبة الى التحليل الاسلوبي، لأن النظم التي تتحدث عنها صوتيا ونحوا وبنى قاعدية ليست مما يدخل في امكان المحلل الاسلوبي ان يخترعه، والمعرفة بها هي معرفة بالاصول التي تكمن وراء الظاهرة المخترعة أي وراء ديناميكية الاسلوب وحرية الممارسة التي يعبر بها في استخدامه لهذه النظم وانزياحه عنها اثناء تنفيذه وادائه"(82).

ذلك رأيه في الاسلوبية من جهة كونها نظرية في المعرفة الأدبية، ولا يبتعد مفهومه عن الاسلوب (الذي هو موضوع الاسلوبية) عن تلك الرؤية، فقد بين في القسم الثاني من هذا الخطاب (الافتتاحي) وقد جعله مكملاً لما سبق وبين موقفه من اشكالية مجاورة لسابقتها وهي اشكالية العلاقة بين اللغة والكلام وموقف

الاسلوبية من تحديد موضوعها (وهو الاسلوب) وموقعه (أي الاسلوب) بينـــهما (أي اللغة والكلام).

فعن طريق التمييز بين اللغة والكلام واثبات صحة النظرية العلميـــة الـــتي تحتويهما عن طريق استشهاده بمقولات علمائها مهد الى وضع الاستعمال الادبي في خانة (الكلام) فكانت الأساليب المستخدمة في الاعمال الادبية، في رأيه هي: "سمـة الفرد في تعبيره او هي سمة التعبير الفردي، ولكنها في الوقت نفسه سمة المجتمـــع في تعبيره، او سمة التعبير الاجتماعي"[83].

بنى (عياشي) خطابه على عنصر رئيس وكان منطلقه فيه أن الحقل اللســـاني للأسلوبية هو الاساس المعرفي الذي استمدت منه نظريتها.

ثم أردف بما هو ناتج عنه ومواز له، في الوقت ذاته، وهو ما يخص علميـــة الأسلوبية تلك العلمية القائمة على معطيات (الاسلوبية الذاتية) بوصفـــها نظريـــة تسعى الى خط منهجها في التحليل.

أما عن آليته في تحقيق هذين المنطلقين اللذين سعى الى إثبات وجودهما عـــبر خطابه فكانت ممثلة بالتعريف باللسانيات واقامة نظرية عامة لها.

ثم تحول الامر في موضوع هذا الخطاب الى معالجة الاختلاف بين الفـــرع والأصل ومراقبة الظاهرة والبحث عن الجذر فيما يخص تعريف الأسلوب او تحديـد مفهوم له يكون بموجبه في خانة الإبداع الفردي في مقابل الشـــيوع القـــاعدي. للاستعمال اللغوي فيما سوى الادب من الأنشطة الكلامية.

12- في النص الادبي دراسة اسلوبية احصائية. سعد مصلوح

في الخطاب الافتتاحي (الاولى) الذي جعله الدكتور سعد مصلوح مقدمـــة لكتابه هذا، او فاتحة كما اسماه، يصرح بانه يطرح اشكالية الضبط المعرفي للنـــص الادبي ودراسته، وهي تدور في فلك الحداثة والتحديث ثم يتجاوزها الى مـــا هـــو اوسع في عالم الادب فيزعم بان كتابه يمثل اسهاما لسانيا "في حل ما نحسبه أزمـــة آخذة بخناق الدرس الادبي العربي المعاصر وهي قضية يتجاوز خطرها الجدل السائد

حول الحداثة والتحديث الى ضرورة تواصي اهل العلم بالعمل الدائب على ترسيخ أساليب المعالجة العلمية المنضبطة للنص الادبي، بعد ان اصبح نهبا مستباحا لكل قادر على حوك الكلام..."[84].

وكتابه هذا يقع ضمن الحقل اللساني في دراسة الادب إذ نجده يقول: "لهذا كان هذا الكتاب محاولة متواضعة... يقدمها احد المشتغلين بالدراسات اللسانية من يعنيهم أمر النص الادبي منذ أمد ليس بالقريب"[85]. وبعد ذلك يصفه بأنه مساهمة في التمهيد لطريق الخروج بدراسة النص الأدبي إلى ميدان المعالجة العلمية الحديثة بموجب صياغة عربية لملامح هذه الحداثة التي يعتقد صواها فيقول: "وغاية ما نطمح إليه هو ان نسهم مع المخلصين... في ان نمهد لأنفسنا وللباحثين من بعدنا طريقا إلى الخروج بدراسة النص الأدبي من النفق المظلم، والى صياغة غريبة القسمات لملامح الحداثة الراشدة التي نتغيا بها ترسيخ المعالجة العلمية المنضبطة للنص الادبي"[86].

وعن طريق خطابه النقيض نستشف انه يرفض العمل الاعتباطي، والانطباعية، في معالجة النص الأدبي فيطعن بذلك المنهج (أي الانطباعي) الذي يصفه بالقصور المعرفي وعدم ضبط المنهج العلمي إذ يقصر عن الانطلاق من النص في ذاته، فيقول عن الانطباعية اها: "تلك الترعة في الدرس التي تقعد بدراسة النص عند رسوم الموروث من النعوت... وتعتمد الذوق مناطا لفحص النصوص ولا ترى في النص الأدبي شيئا جديرا بأن يحتشد الباحث له ويتسلح لمقاربته بمعارف العصر وعلومه..."[87].

وينقض في خطابه ايضا انواع المعالجة المضمونية الضيقة التي تقصر في نفسها عن تفسير ما يكون به الادب فاعلا وخالدا فيقول: "من الدارسين فريق يجر النص الادبي جرا ليركض به خلف معطيات وتفسيرات نفسانية أو اجتماعية..."[88].

وإن الحل الامثل في نظره هو دراسة النص من خلال الاخذ بأسباب الدرس العلمي، وأن نتسمع للغة العصر فنحقق التواصل مع معطيات اللغة العربية بما يضمن مكانا مناسبا لاحقية النص بالاهتمام ضمن قائمة ظاهرات النشاط العقلي الانساني، ذلك نستشفه من قوله: "من هنا احس بعض المتأملين لواقع الدرس الادبي حاجة ملحة الى حل تنشط به دراسة النص من عقالها، وامتازت.. أصوات اصيلة تدعو الى الأخذ بأسباب الدرس العلمي على بصيرة"[89]، ويستمر في ايضاح اركان بناء

منهجه المعلن عن طريق الخطاب النقيض فيقول: "بيد اننا وجدنا بعض من ينسبون الى التحديث ينطلق، من اسف، الى وصف الجنة الموعودة التي تنتظر المتمردين على الترعات التقليدية في دراسة الادب والمتشبثين باذيال البنيوية والاسلوبية والتفكيكية، دون ان يزج بنفسه في خضم دراسة النص العربي صابرا محتسبا. وهكذا تحتشد في كتابه اسماء أعلام الفرنجة ومذاهبهم في زحام دونه زحام الاعراس والموالد، اما النص العربي فيتوارى عنده بالحجاب ثم انه لا يقنع بذلك حتى يصوغ في نغمة من الزهو والاستعلاء..."(90)، وهكذا يرفض كل ما قدمه في خطابه النقيض هذا، ويوكل الى نفسه مهمة خوض دراسة النص العربي، رادا بذلك على دعاة التجديد الزائف في نظره والتحديث المروج له من غير ان يكون مستندا الى التجربة الواقعية في مواجهة النص. ويساوي بعد ذلك بين هذا النوع من الدارسين ومن يتبع القديم بحيث يصير فضلة عليه، فكلاهما لا يخدم النص لان ما يكتبانه "انما يسقط آخر الامر ما بين عجمة العقل وعجمة النقل"(91)، ولاجل ما اعلن من مبادئ وأراء يصرح بانه سيخصص كتابه "لنمط بعينه من انماط الدرس الاسلوبي: ونعني به استخدام المعالجة الاحصائية في تشخيص الاساليب، وفي اناطة الاحكام النقدية بما يسفر عنه التحليل اللساني المنضبط لمباني النصوص"(92).

وهذا يعني انه يتبع المنهج الاسلوبي، لكنه لم يسمه منهجا بل (درسا) متخذا الاتجاه الاحصائي في رصد الظاهرة، وكذلك لم يسمه اتجاها منهجيا بل اسماه (معالجة) جاعلا منه وسيلة للتحليل اللساني متوخيا الضبط المعرفي لرصد النصوص.

ويعلن انه سيسير في كتابه في اتجاهين من البحث، او خطين، ضمن منهج الاسلوبية بما يشمل التنظير اولا ثم التطبيق أخيرا، فيقول: "فعرفنا فيه بالبحث النظري المستفيض لمشكلات الاسلوبية الاحصائية، من حيث بيان مفهومها، وما يصطنع في ممارستها من اساليب واجراءات منهجية، ومجالات توظيفها لمقاربة النص الادبي، ثم اننا تجاوزنا البحث النظري الى مباحث تطبيقية لنصوص من الادب العربي نثره وشعره"(93).

وبعد ذلك اعلن (سعد مصلوح) عن موقفه ازاء مجموعة من القضايا التي سيعالجها في مباحث كتابه فقال: "وحرصنا في هذه المباحث على تحرير المشكلات، التعريف بالمصطلحات، ضبط المقاييس الاسلوبية التي جرى اعمالها في

النصوص"[94]، وعن المقاييس الاسلوبية أعلن انه سيسعى الى معالجتها على وفق الآتي: "تحديد مصادرها، وتطويعها لمقولات النحو العربي، وبيان كيفيات تطبيقها، بالأمثلة المعينة على صحة استخدامها، ودقة توظيفها، والتوسع في تطويرها لمن اراد"[95].

وذلك يعني المتابعة الجادة والدقة المنهجية والتحديد لمفردات الدرس الاسلوبي.

ويشخص الهدف من دراسته وهو: اكمال مشروعه الساعي إلى "حل مشكلات النقد بوسائل الاسلوبية اللسانية المنضبطة"[96]، بعد أن تجاوز كما يصرح (بكتابه السابق الاسلوبية دراسة لغوية احصائية) "طور الاستدلال لجدوى الاتجاه الاسلوبي الاحصائي"[97]. ونستطيع ان نتبين رؤيته عن المنهج الاحصائي وموقفه تجاه الفن والادب من خلال نصه الاتي: "ان المنظور الاحصائي في معالجة النص الادبي لا يعدو حتى الآن ان يكون اداة منهجية وليس منهجا، وما يزال الطريق امامه طويلا لكي يغدو نظرية من نظريات الدرس الادبي، لكننا نؤكد، بيقين، انه اداة كاشفة ومعينة ووسيلة منهجية واعدة، وهي قادرة... على ان تخطو بنا خطوات فساحا في سبيل عقلنة التذوق، وعلمية التناول، و التسويغ المنطقي للاحكام والتفسير المنضبط للظاهرات الادبية"[98]، وعن موقفه النقدي من الادب يقول مقررا "ان الادب فن ولكن دراسته ينبغي لها ان تكون علما"[99]. ويرى كذلك ان هناك ضرورة للعمل "على ارساء منهج لغوي (لساني) في نقد الادب العربي، يكون فيه النص، او الخطاب الادبي هو موضوع الدراسة"[100]، وهو يقصد من وراء ذلك الضبط العلمي للمنهج النقدي المعتمد سبيل اللسانيات في المعرفة الانسانية.

يمكننا تجذير المنطلق الفكري الذي حكم خطابه الافتتاحي بإرجاعه إلى عنصرين أساسيين هما من التداخل بما يوحد مصبهما في قناة البحث في نهاية المطاف، ونقصد: العلمية والاحتكام الى العقل.

فقد اتخذ سبيل عقلنة التذوق وعلمية التناول والتسويغ المنطقي للاحكام والتفسير المنضبط للظاهرات الأدبية، وهي مفردات اعلن انه يقيم بحثه على وفق معطياتها.

وآليته الاجرائية (الفكر لغوية) في ذلك السبيل هي الإيفاء بحق المنهجية الإحصائية في معالجة النص الادبي، الإبداعي، واتباعها، بوصفها أداة كاشفة ومعينة، ووسيلة منهجية واعدة.

كما ان وسيلته لتحقيق صفة العلمية في منهجه (الفكري) تقوم على الابتعاد عن استخدام اللغة الكثيفة المجاز في الدرس اللغوي لان ذلك في رأيه "يوشك ان يفسد قضية النقد الكلية"[101]، وكذلك كانت الدعوة المتكررة، الى ضرورة العمل على ارساء منهج لغوي لساني في نقد الادب العربي، يكون فيه النص او الخطاب الادبي هو موضوع الدراسة ويكون منهجه لغويا (لسانيا) بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح.

وهكذا يتبين لنا أن المنطلق في هذا الخطاب يشتمل على آليته في داخل بنيته.

المبحث الثاني

التنظير الافتتاحي في الدراسات التطبيقية

مقدمة في العمل التطبيقي

كانت فكرتنا ولما تزل في البحث ضمن هذا الفصل هي إلقاء الضوء على المقالات الافتتاحية لنكشف عن اسرار الخطاب المتضمن لأراء منشئيه وقد عمدنا في المبحث السابق، بما أقمناه من تقسيم رأيناه مناسباً لعملنا، إلى الكتب المؤلفة في الدراسات التنظيرية فصار من الإلزام علينا اكمال الخطوة الأخرى اذ أصبحت الدراسات التطبيقية في الأسلوبية المحطة الجديدة للبحث لنتبين حقيقة اراء منشئيها او ما هي عليه في واقعها وجوهر وجهات النظر التي تحملها لتستمر محاولتنا لاستنباط ضوابط المنهج الذي يعده النقاد الاسلوبيون من خلال تصريحاتهم التي تحمل من غير شك، مفاهيم ذلك المنهج الاجرائية، بحسب قدرات اصحابها، والمبادئ التنظيرية التي تعبر عن رؤاهم تجاه موضوع بحثهم.

ويمكن أن نضع مسرد الكتب، موضوع الدرس، في هذا المبحث مرتباً بالشكل الاتي:

1- خصائص الاسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي.
2- الضرورة الشعرية دراسة اسلوبية. السيد ابراهيم محمد.
3- صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الاسلوب في كتاب البخلاء. احميد بن محمد بن امبيريك.
4- البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث. مصطفى السعدني.
5- اساليب الشعرية المعاصرة. صلاح فضل
6- قراءات اسلوبية في الشعر الحديث. محمد عبد المطلب
7- اسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي مهدي. ارشد علي محمد.

وقد صنفت الكتب ووزعت على مراتبها في التسلسل الزمني عدا كتاب الطرابلسي (خصائص الاسلوب) الذي وضع في المقدمة لضرورة معينة.

1 – خصائص الاسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي

1–1 وضعنا كتاب (الطرابلسي) هذا في مقدمة المبحث لما رأيناه من إمكان وصفنا له بانه الكتاب الاول المتخصص في التطبيقات الاسلوبية على الشعر العربي، فضلاً عما شاع من صيت له بين اوساط المهتمين، بحيث يتبادر الى الاذهان ذكره في اقرب مناسبة للحديث. ومما شجع على الامر وروده على قائمة الاسلوبية التطبيقية باسم صريح يضمن لنا الاعتماد، في حوارنا النقدي، على تصريحه بتطبيق منهجها في التحليل ليكون موضوعاً للنقد ضمن قائمة المصادر في هذا المجال، فيما وصلت اليه يد الباحث من الكتابات العربية المؤلفة ميدان الدرس.

2–1 وفي متابعتنا لخطابه التنظيري الافتتاحي وجدناه مبنياً على ما يأتي من المفردات:

1– ما يخص الالتزام المنهجي الاسلوبي في بحثه.

2– ما يتعلق به من اجراءات (منهجية) يبثها عن طريق اسلوب الخطاب النقيض.

3– المفاهيم والمنطلقات المبدئية التي تؤلف رؤيته النقدية الخاصة بموضوعه، أي دراسة الشعر، وكذلك المتوجهة الى الادب ونقده، فهو موضوع الاسلوبية عموماً.

1–2–1 ففيما يخص التزامه المنهجي المعلن وجدناه يصرح بدءاً انه قد لا يلتزم حرفياً المنهجية المفترضة في مجال بحثه، وانه ربما يتجاوزها بالتعدي والتلطيف في الوقت الذي يجد فيه ضرورة ان يخصص الباحث لنفسه منهجاً في العمل، فيقول: "ولبلوغ هذه الاهداف يحتاج الدارس الى علم يعمل في نطاقه ومنهج يسير على هديه او على الاقل الى سنة في البحث يسير في ضوئها وان دعاه تقدم البحث الى تعديل ما فيها"[(102)]، وهو يتخذ اسلوب الخطاب النقيض، كما اشرنا، لمواصلة بث اعلانه عن منهجه الاجرائي الذي سيتخذه في بحثه فنجده يقول: "لكننا بحثنا فلم نجد في الدراسات العربية من الأعمال اللغوية والنقدية الشاملة او الجزئية ما يرمي الى الاهداف التي اليها نرمي ويتوخى الموضوعية التي على انفسنا نشترط..."[(103)].

فهو يتوخى الموضوعية ويسعى الى تحقيقها بوصفها شرطاً يكون قوام عمله كله، ويدعو بعد ذاك الى ايجاد علم مستحكم الأصول، واقامة منهج يضمن به الوصول الى نتيجة، وصفها بانها لابد ان تكون بناءة[104].

1–2–2 أما عن اختياراته المنهجية في ميدان الدراسة الاسلوبية فهو يقول ان ما يميزها انه كان يقف فيها "عند كل استعمال بدت عليه الطرافة في شعر الشاعر من وجه من الوجوه"[105].

والطرافة في الاستعمال، في رأيه، تأتي من الاتي:

- شيوع الاستعمال عند الشاعر.
- قيام الاستعمال على تجاوز بعض قواعد اللغة المطردة، في القديم والحديث معاً او يتصف بالعدول عن السبيل المباشرة في تأدية الكلام بدون تجوز لقواعد اللغة فيما يخص أصول الصحة والخطأ.
- ان يكون الاستعمال منعدم الاثر في النص او قليلة، قياساً على شأنه الشائع في كلام العرب، فيكون بروزه بغيابه.
- أن يكون ملازماً لوضعه الأول في اللغة معاكساً لحركة تطوره في الاستعمال.
- بروزه بدور خاص يكون له اثر في قصائد دون غيرها او أغراض دون سواها من شعر الشاعر نفسه.
- ان يحمل عنه انطباعاً حسناً او سيئاً يؤثر في نفسه عند مباشرته النص[106].

وفي متابعته لمسألة الشيوع، او التواتر، والاختفاء يكون قد سلك سبيل الأسلوبية الاحصائية في رصد الظاهرة الاسلوبية ثم انه يتحول الى مقولة الانزياح في رصدها، وبعد ذلك الى اثر القارئ، ويتجه في الفقرة الأخيرة الى ما يُقرّبه من الانطباعية، في ظاهر الامر، لكنه في الحقيقة يأخذ برأي من قال إن القراءة النقدية هي قراءة ذات مستوى معين من الثقافة في النص بحيث تساعد على ادراك مواطن التميز فيه، وهو ما يُقرّبه من مقولة القارئ (الانموذج) أو المتوسط عند (ريفاتير)[107].

وتشمل مسألة (المقارنة) النقطتين الاخريين، المقارنة بين البنيات السياقية، داخل النص، او المقارنة مع الخارج بالقياس الى ما سواه من الادب من جنسه او في

اطاره الثقافي واللغوي. ويحدد اتجاهه في البحث فيرسم سبيله في المجال المعرفي وهو اتجاه لغوي اسلوبي ينطلق من النص ذاته فلم يحتج، كما يرى، الى مقدمة عن الشاعر وحياته لان سبيله الى المعرفة هو (النص) بوصفه بنية قادرة على اقامة أجزائها ومرتكزاتها البنائية في داخلها، أي انه متأثر بالمنهج البنيوي.

ويصرح بأنه سيعد جداول وسيضبط النسب والارقام والشواهد. فيعود الى اعتماد المنهج الإحصائي باعلان صريح هذه المرة، لانه يعتقد صحته في سبيل الضبط المعرفي للنتائج. واذا انتقلنا الى المنطلقات المبدئية والرؤية الشخصية فان اول ما نورده هو مفهومه (او مفاهيمه) عن الاسلوبية، وقد عالجنا في الفقرة السابقة موقفه من (الاسلوب) بوصفه ظاهرة مميزة.

وهو يقترح ان تكون الاسلوبية هي الحل لسد الفراغ في فضاء النقد العربي الحديث، فيقول: "وإن الاسلوبية، أو علم الأسلوب وهو أحد ما تفرع عن اللسانيات من علوم اللغة الحديثة ليطمح الى سد هذه الثغرة تنظيراً وتطبيقاً، وعلماً ومنهجاً"[108]، ثم يمهد لاختياره المنهجي ووضعه في الحقل التطبيقي اذ يعلن انه يبغي الوصول عن طريقه الى بناء نظريته المنشودة، على قدر المستطاع فيقول: "ولكن هذا العلم لم يثمر بعد ما به نستطيع ان نعرف بوضوح على الأقل: ما الاسلوب؟ وما حد مستويات الكلام، ما الشعر، ما النثر؟ ولذلك ارتأينا انه من الأنجع في الوضع الراهن أن يكون سيرنا من التطبيق الى التنظير، على عكس ما يجري به العمل عادة.. وسوف لا يكون حظنا من التنظير كبيراً..."[109].

1–2–3 ويحدد أركان قاعدة العمل في بحثه، إذ يقيمها على: الشعر واللغة والاسلوب، ثم يبين رؤيته حول هذه الأركان الثلاثة بموجب مجموعة من المفاهيم، اسماها (التدقيقات المميزة) وهي باختصار تشتمل على الاتي:

1- منظور يتعلق بماهية الشعر، فالشعر بحسب رأيه ينطلق من مضمون فكري، ولكنه لا يسمو الى درجة الفن المتميز الا بما يتجاوز به المضمون الفكري من امكانيات الاداء.

2- إن كل مظهر لغوي شاع في الاستعمال (وتواتر) و لم يدخله تغيّر أو تحريف منذ استعماله الأول في وضع اللغة، فاصبح من مظاهر اللغة المميزة ومن

قواعدها الثابتة وعناصرها، وهو مظهر ثابت في رأيه، وهو يرجع كل مظهر من المظاهر الثابتة في الكلام الى اللغة إذ يعده من ثوابتها العامة، فمنظوره هنا يتعلق باللغة.

3- فيما يتعلق بالاسلوب، يرى ان مضانّ الأسلوب تكون في الجانب المتحول عن اللغة. وان المتحول عن اللغة في الاستعمال (أي الكلام) يكون ذا اشكال عديدة فمنه مثلاً ما هو متحول عن قاعدة نحوية ومنه ما هو غير ذلك.

ويستقطب المتحول عن اللغة، كما يعتقد، نوعين على الاقل:

- المتحول المشترك: ويضم الاستعمالات التي شاعت في كلام منشئ معين، او كلام عدد من المنشئين في عصر من العصور او في نوع خاص من الإنشاء.
- المتحول الخاص: وهو اقل شيوعاً من الاول، فليس لاستعمالاته حظ من التواتر عند الكتاب سوى ما يكون عند صاحبه وقد لا يكون لها ذلك عنده أيضاً، فهو يقع في خانة الخطأ او اللحن، وقد وصف جملة المفاهيم، تلك، بقوله: "هذه منطلقاتنا العلمية ورؤانا الشخصية"[110].

1-3 أما عن أهدافه المعلنة، التي يسعى الى تحقيقها من خلال بحثه بموجب المنهجية العلمية المزعومة، التي تابعنا تقديراتها لحد الان، فقد تمثلت بأربع فقرات نوردها باختصار:

رأيناه يرمي الى دراسة اللغة العربية دراسة موضوعية، إذ يعدها نظاماً في الاستعمال الشعري لدى شاعر معين. ليميز خصائصها الاجرائية وإمكانياتها، ويسعى من خلال عمله الى ادراك "السبيل الى اثراء رصيدها العام من ناحية والى بناء الاساليب الخاصة المميزة انطلاقاً من امكانيات اللغة المشتركة من ناحية اخرى"[111].

وفضلاً عن ذلك كله نجده يعلن ان هدفه هو "تأسيس الاسلوبية التطبيقية في اللغة العربية لما لها من دور في وصف نظام اللغة وفي المساهمة في تركيز احكامها العلمية ومنطلقاتها المنهجية"[112].

1-4 إن منطلقاته الفكرية في خطابه هذا تحمل في مكونها الاساس عنصري العلمية والموضوعية.

وقد اتخذ سبيله الى ذلك باجراء آلية متسقة مع ما عدده من المفاهيم وأعلنه من الأهداف.

فكانت الموضوعية منطلقاً مبدئياً في منهجه المعلن وضابطاً معرفياً، بمعنى انها عنصر أساسي، في خطابه الافتتاحي، وقد سعى من خلالها الى تحقيق فاعلية السلطة (العلمية) العليا في فكره، اذ ان منهجه في البحث كما يصرح ذو "اتجاه اسلوبي ينطلق من النص ذاته"(113).

والأسلوبية، كما ارادها في قسمها التطبيقي، تساهم في تركيز احكام اللغة تركيزاً علمياً وتيسر للباحث سبيلاً منهجياً في البحوث اللغوية العامة.

2 – الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية. السيد إبراهيم محمد

2–1 يطرح (السيد إبراهيم) في هذا الكتاب إشكالية مهمة في البحث الأسلوبي إذ يعالج ظاهرة اسلوبية لا يمكن اغفالها في الادب العربي، القديم على وجه التخصيص، وهي قضية الضرورة الشعرية التي عدها اثراً من اثار تلك العلاقة القائمة بين الشاعر واللغة، وهي علاقة إشكالية في حد ذاتها.

وهو يقيم اشكالية اخرى في ضوء الواقع الفكري الثقافي في الدراسات اللغوية عندما يعرض مشروعاً لدراسة العلاقة بين (الضرورة) والفكر النحوي.

وهو يتبع في ذلك كما يعلن منهجاً تاريخياً يسعى من خلاله الى تأصيل الأفكار التي يتبناها وتجذيرها، فهو يجوس في حقل التراث.

2–2 وقد تنوع خطابه الافتتاحي هذا بين طرح اشكالية بحثه وموضوعه، وبين تفصيل منهجه فضلاً عن ايراد الاستنتاجات التي توصل اليها في بحثه وارائه التي ضمنها عمله، فكان خطابه أشبه ما يكون بالمقال (الختامي) الذي يستخلص فيه الباحث نتائج عمله. وكان وضع المنهج، وعرض خطواته وشرح مدركات آليته مهماً في تأليف القسم الأكبر من هذا الخطاب وهو يقوم على الآتي:

- المتابعة الجادة للموروث النحوي تعقباً لاصوله بمعنى انه يسعى الى التأصيل.
- الربط الجدلي بين الظواهر في الموروث الفكري.

- التعليل، وايجاد السبب والنتيجة بعد الاستدلال.

أما عن آليته في تنفيذ هذا المنهج اجرائياً للوصول الى المعاني والأفكار الجديدة المسايرة للحداثة فتتلخص باتباعه المنهج الاسلوبي (الوصفي) في دراسة الظاهرة اللغوية.

وهكذا يقسم موضوع بحثه وقضيته الى قسمين:

- يختص الاول بالظاهرة اللغوية في الضرورة بوصفها نشاطاً ابداعياً، في موقف الأدباء، وفي التعليل النقدي.

- ويختص الآخر بموقف البحث النحوي منها بوصفها خروجاً على الأصل.

وقد قال بخصوص الأخير: "اما الفكر النحوي فقد تعقبته بحثاً عن اصوله التي املت اتجاهات الرأي فيه"[114]، "وقد تهيأ لي ذلك عن طريق بحث الافكار التي بنى عليها " سيبويه" بحثه في قضية الضرورة الشعرية"[115].

وهو في ذلك يتجه نحو التأصيل فضلاً عن المعالجة الفكرية معتمداً الاجتهاد والاخذ بالنظرة الكلية في بحثه عن اصول المسائل، وقد توصل في ذلك الى القول بوحدة الاصول في الفكر النحوي لدى (سيبويه)، اذ ان الفكرة الأساس عند هذا العالم هي فكرة النسبية (او الحمل)، وإن منهجه المعتمد يقوم على الاستنتاج في قراءة هذا العالم وغيره من الموروث ويؤيد ذلك ما قاله عن أسلوبه في التجذير والمتابعة للتراث في نصة الاتي: "الفكر انحرف عن الاتجاه الذي كان يمكن ان يفضي اليه فكر سيبويه من الاعتداد بالعلاقة بين مستويين من مستويات التعبير، ومضى في مقولة فكرية مختلفة أساسها فكرة الأصول التي يرجع اليها الشاعر عند الضرورة"[116].

ونمثل لمنهجه الذي يتخذ فيه الربط الجدلي بين الظواهر في تعليله حكم النحاة (بعد سيبويه) على الضرورة بانها اثر من اثار العجز عند الشاعر بقوله: "وقد جاء هذا المعنى من الربط بين الضرورة الشعرية والميزان الشعري، اذ تحددت ماهية الشعر في الدراسات العربية بالوزن والقافية"[117]. وبخصوص (التعليل) يقول: "فإن هذا قد ادى الى وقوع هذه الدراسات في الربط بين الوزن والضرورة..."[118].

2-3 وكانت اراؤه في هذه المسألة ومفاهيمه حولها كالاتي:

1- هي مظهر من مظاهر الخروج على النحو.

2- هي مظهر من مظاهر الارادة الشعرية، فيها تتجلى روح الأديب وفرديته.

3- انها اثر إيجابي للعلاقة الحية بين العمل الادبي والتراث وفيها يظهر التعامل الذكي معه والتناول الخلاق لمكوناته الباطنة.

وذلك كله يشير الى أن الضرورة، في رأيه، خروج على النحو ارادياً لكن بشرط اعتماد اصول التراث لتأدية غرض معين في جمالية الفن الادبي، بمعنى انها خصيصة اسلوبية في الاستخدام اللغوي وليست مأخذاً على الشاعر، وهي مقولة (اسلوبية) تتصل بالحداثة في الفكر النقدي اما موقفه من الأسلوبية فاننا نستشرف مداره من نصه الاتي: "وهذا المعنى يأتي من الدراسة الاسلوبية للظاهرة اللغوية حيث تنطلق الدراسة من المعالم اللغوية الاساسية في بحث العمل الأدبي، ومن بينها ما يظهر في العمل الأدبي من مواطن الخروج على المستوى العام الذي عليه الاستعمال العادي للغة، ومن هذه الجهة يأتي بحث الخصائص الاسلوبية التي بها يتفرد العمل الادبي"[119]، ويقترح ان تكون الأسلوبية هي الحل لمعالجة قصور البحث النحوي عن بيان معنى ظاهرة الضرورة الشعرية، فهي المنهج المفضل عنده، اذ يقول: "ولذلك كان الاتصال بالمنابع النحوية الاولى مما يغذي البحث الأسلوبي ويدفع به في طريق متصل وان لم يقدر لهذه المنابع الأولى من عناصر النمو ما يدفع بها في مثل هذا الطريق"[120]، ويقول "وقد اعتمدت في هذه الدراسة على استكناه المنطق الداخلي للظاهرة اللغوية، و لم انطلق في... من مقولات مقررة تفرض على الظواهر وتخضع لسيطرتها موضوعات البحث بل حاولت ان اقف على ما هنالك من علاقات باطنية بين الظواهر اللغوية التي يتصل بعضها ببعض. وهذا هو المعنى الذي به تختلف الدراسة الاسلوبية عن أي دراسة نحوية"[121].

وذلك يعني انه يتبع سبيل الدراسة الأسلوبية ويصف عمله فيها بانه يتخذ منهجاً تحليلياً، فيقول "وعلى هذا قامت الدراسة التحليلية"[122]، فيتخذ التطبيق (التحليلي) أنموذجاً لأسلوبية الاجراء في الوصول إلى النتائج المطلوبة.

2–4 إن العنصر الرئيس في خطابه الافتتاحي هذا هو التراث الفكري، أولاً، ثم الموضوعية في البحث اللغوي، أخيراً.

وقد خصص عمله في هذا الافتتاح لمعالجة قضية لغوية، على وفق مـــا رآه سليماً فكان سبيله إلى ذلك ما ضمنه هذا الافتتاح من آليات إجرائية أعلن انه يسير عليها في بحثه داخل كتابه. وهي تشمل التجذير والتأصيل، والربط الجـــدلي بـــين القضايا، واعتماد المنهجية الأسلوبية في الضبط المعرفي وما الى ذلك.

3 – صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الأسلوب في كتاب البخلاء. احمد بن محمد

3–1 لقد اقام صاحب هذا الكتاب خطابه الافتتاحي على ثلاثة امـــور إذ جعله ميداناً لبيان اهمية موضوعه (أي دراسة كتاب البخلاء) وبيان صعوبة تلـــك الدراسة ووضع المنهج المناسب لها، فضلاً عن إعلانه جملة من آرائه فيمـــا يخـــص المنهج والموضوع.

وخلاصة القول فيه، بحسب ما يتبين لنا، انه اتخذ من الاسلوبية أداة للوصول الى النقد السليم فعلى الرغم من قوله بإمكان استقلال الاسلوبية بذاتها الا انهـــا، في رايه تبقى قاصرة عن أداء مهمة النقد. وسنتابع إنجازه فيما يأتي:

عن طريق اعلانه اهمية كتاب الجاحظ، موضوع بحثه، اعلن جملة من المبادئ جعلها شروطاً للدراسة السليمة المفترضة فقال : "وكتاب البخلاء... لا يخلو مـــن صعوبة بالنسبة للدارس... أن يتناوله بصفة مرضية في الحدود المادية والزمنية الـــتي يندرج فيها عملنا"[123]، فهو يتطلب بحسب رأيه "دراسة واسعة تستغرق وقتـــاً وتتطلب عودة الى مراجع كثيرة ومتنوعة بالإضافة الى ما تتطلبه نصوص الكتـــاب من تحرّ وتمعن وتفكير"[124].

ويقول: "وهكذا نجد مشكل الثراء والتشعب في صميم موضوعنا مما دفعنـــا الى التركيز على أخص خصائص الأسلوب وابرز خطوط صورة البخيل"[125].

3–2 اما بخصوص أهدافه المعلنة ومنهجيته المزعومة، واليته الإجرائية فانه يقول: "وإذا ما التجأنا الى موضوعنا ناشدين فيه التركيز على ناحية من نواحي هذا الثراء والتشعب لم نتخلص من المشكل، لان ما نرمي إليه من وراء هذا العمل ليس مجرد عملية جمع وترتيب لما قاله الجاحظ... وانما نقصد الى دراسة مادة الكتاب، اللغوية، وخصائصه الأسلوبية ثم استنطاق نتائج هذه الدراسة لاستنباط صورة البخيل الفنية"[126]. ويضيف "واملنا ان نكون قد وفقنا في انارة ابرز خصائص الأسلوب في كتاب البخلاء وفي استخلاص صورة البخيل على ضوء هذه الخصائص في شكل واضح متكامل يعيد الى هذه الصورة الفنية مكانتها بين نماذج البخل في الادب العالمي"[127].

وذلك يفيد انه يرمي إلى كشف خصائص أسلوب الكاتب وفضله في الاستعمال الفني للغة، واستنباط صورة البخيل ثم تسخير ذلك في أجراء نقدي لاجل الوصول الى عالمية الادب خدمة للتراث.

3–3 وبخصوص رؤيته في المنهج الاسلوبي نورد قوله: "والعملية الأولى (يقصد بيان خصائص الاسلوب التي مر ذكرها) من اختصاص الاسلوبي وعندها يتوقف دوره، والعملية الثانية من اختصاص ناقد الأدب وبها يبدأ عمله. ثم ان كلا من العمليتين على حدة تكفي لان تكون موضوع دراسة مستقلة"[128].

بمعنى انه يعتمد الأسلوبية بوصفها منهجاً في دراسة المادة اللغوية للكتاب وخصائصه، ويعدها مرحلة أولية تؤدي الى تهيئة المادة المناسبة للاجراء النقدي، فهي لا ترقى لأن تكون بديلاً مستقلاً عن النقد بحسب هذا المفهوم.

3–4 وزع مؤلف الكتاب خطابه الافتتاحي بين عنصرين رئيسيين اولهما نص كتاب البخلاء نفسه، وقد عرض له بمسألة رئيسة هي الثراء، ومنها تمخضت إشكالية العنصر الآخر ونعني منهج الدرس النقدي المناسب، وقد احتوى العنوان الذي اختاره لبحثه إطاره العام إذ شمل الصورة والخصائص معاً.

3–5 وكانت آليته في هذا الخطاب، وهي ما أعلنه وسيلة اجرائية في بحثه، ان جعل من القسم الثاني من العمل (أي البحث عن الخصائص) طريقاً للوصول الى القسم الاول، اذ تساعد معرفة الخصائص بعد تمييزها على بيان الصورة وتقويمها.

4 – البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث. مصطفى السعدني

4–1 خصص (مصطفى السعدني) مدخله الافتتاحي كما يقول للإشـلوة الى "ابرز محاور الحداثة في استخدام اللغة"[129] فشمل خطابه محاور ثلاثة يدور أولهـــا حول تحديد موضوع البحث، وهو (التشكيل اللغوي) للقصيدة المعاصرة[130]، وقد ضمنه المؤلف مفهومه عن اللغة، او الظاهرة اللغوية، فكان قوام عملـــه في المحـــور الثاني الذي شمل فضلاً عن ذلك تحديد إطار الموضوع إذ حدده بـــ(المعاصرة)، وفي المحور الثالث (الأخير) كان الهدف المعلن من البحث هو تحديد المفاهيم المهمة فيه.

وقد تداخلت المحاور الثلاثة بحيث شكلت هيـــأة للبحـــث عـــن الحداثـــة وخصائصها، فكانت إشارته لمنهجيته غائمة السماء اذ توزع خراجها على تلـــك المحاور، وإن من ابرز اشاراته الى منهجه المراد قوله: "غير ان البحث لا يفتأ يتجاوز مجموعة من الإمكانات اللغوية الخالصة... واختيار هذه الوسائل اللغويـــة يقـــاس بمدى شيوعها وطغيانها وقدرتها على أداء الوظيفة الخاصة في النص بحيث تصبح بنية متصدرة على النظام المعياري السائد لها خصوصية التوزيع وطرافة الـــتردد"[131]. ونلاحظ ان القسم الأخير من هذا النص يخص تحديد مفهوم الظاهرة الأسلوبية.

4–2 وكذلك كانت رؤيته الخاصة بمفردات الخطاب الأخرى ومفاهيمـــه عنها، واولها مفهومه عن اللغة، في اطار البناء الشعري في حدود القصيدة وتأليفـــها اللغوي، اذ يصفها بموجب هذا المعنى انها ذات "مفهوم واسع يتضمـــن الابنيـــة اللفظية بدءاً بانساقها الصوتية وانتهاءاً بهيأتها التركيبية"[132]. وفي ذلك إشـــارة الى اطار العمل في هذا الموضوع ومنهجيته.

ثم كان تحديده لمفهوم المعاصرة (أو الحداثة) في القصيدة العربية إذ يشـــير الى ان حداثة النص الشعري تتجلى، كما بينت هذه الدراسة، في ثلاثة محاور وهي:

- التعامل مع التراث. ويعالج في هذا الشأن إشكالية العلاقة بين الشاعر والـــتراث، وهي بحسب رأيه علاقة قائمة على تبادل العطاء.
- التأثر بالتراث الأجنبي، ويقول عنه انه تأثير يتسم بالفاعلية والذكاء.

- التأثر بتقينات (أو كما اسماها تكتيكات) الفنون والعلوم الأخرى. اذ ان "استعارة الشاعر المعاصر من هذه الفنون والعلوم وسائل تعبير غير لغوية قد اثرت بشكل مباشر على طريقة البناء اللغوي للشعر المعاصر"[133].

4-3 ويتضح لنا هدفه المعلن من دراسته هذه عن طريق نصه الاتي: ويتحدد الهدف من هذه الدراسة في اكتشاف (البنيات الاسلوبية) في اللغة وطرق استعمالها[134].

وتحمل دراسته هذه في الوقت ذاته هدفاً أوسع إذ يقول: ان هذه الدراسة "واحدة من المحاولات النقدية التي بذلت لاكتشاف وتحديد طبيعة اللغة الشعرية وحداثتها في القصيدة المعاصرة"[135].

ونجد ان العنصر الرئيس في خطابه الافتتاحي، هذا يدور بين حلقات ثلاث هي باختصار: اللغة، والقصيدة، والحداثة.

إذ ان محور الخطاب هو اللغة، وموضوعه القصيدة الحديثة، وغايته إبراز أوجه الحداثة وأشكالها.

4-4 أما آليته، في هذا الخطاب فقد اقتصرت على تحديد المفاهيم واعلان الأهداف وتحديد الموضوع واطار العمل فيه.

و لم يتمخض خطابه عن أي كشف لآلية الأجراء التحليلي او المنهجية المتبعة في الدراسة، سوى ما أشار اليه من مفهوم الظاهرة الأسلوبية وقصرها على الظاهرة اللغوية وسبب اختيارها (أي الظاهرة اللغوية) بيد انه فضلاً عن هذا المدخل وضع توطئة في بداية القسم الأول من كتابه هي اقرب لما نحن بصدد بحثه من نتائج الخطاب الافتتاحي وقد بدأها بتحديد المنهج، وآلية أجراء التحليل، والموضوع، والإشكالية التي يحملها، اذ قال: "تعتمد دراسة اللغة في هذا القسم، معطيات علم اللغة ركيزة مبدئية في تحديد نسق البنية الصوتية كخطوة أولية لإكتناهها، وكشف تجلياها الشعرية في النص المعاصر"[136].

فقوام البحث، كما أشار إليه في هذه التوطئة، هو تحديد النسق اذ هو (خصيصة اساسية في هذا المبحث) وإن آليته تقوم على طرح إشكالية تمييز لغة

الشعر عن لغة النثر. وان مفهومه فيما يخص ذلك هو ان لغة الشعر تختلف عن لغة النثر، ويقوم منهجه على تمييز الظاهرة ثم تحليلها ووعي أبعادها[137].

ونستشرف هدفه المعلن ومنهجيته المفترضة من قوله: "ونفترض بدءاً، ان تتداخل كلتا المرحلتين- تحديد النسق وتوظيفه- من حيث الاكتشاف والعلاقة الفاعلة بحيث تصبح كل منهما عنصراً فاعلاً في عملية النقد الداخلي للنص الشعري"[138].

5-4 وبذلك يتبين لنا العنصر الأساسي في هذا الخطاب وهو اعتماد المعطى اللغوي في النص الأدبي ودراسته بما يفي بشاعريته.

5 – أساليب الشعرية المعاصرة. صلاح فضل

5-1 لقد وضع الدكتور (صلاح فضل) خطابه الافتتاحي هذا في خدمة بحثه على مدى كتابه إذ جعله ميداناً لعرض منهجه وآليته الإجرائية وايراد جملة من الأهداف المبدئية، والمفاهيم العلمية والنتائج العملية التي تعبر عن رؤيته وتصوراته تجاه موضوع بحثه وبعض القضايا التي يقوم عليها عمله.

ففي تحديد اولي يقرر، ابتداءً، أن دراسته في كتابه (هذا) هي "قراءة في الشعر وكتابة في الشعرية"[139]، فيمهد لمنهج دراسته ويبينه محور البحث فيها. وفضلاً عن ذلك فهي "تجمع في الخطافة واحدة بين ضبط المنهج وتحرر التطبيق"[140].

مما يعني السعي الى الضبط المعرفي فضلاً عن محاولة السيطرة على امور البحث بما يجعلها ابداعاً فكرياً. وتبنى آليتها الاجرائية في سعيها لأن "تقدم اقتراحاً محكماً لسلّم الشعرية وتمارس اجتراحاً مطولاً بالرقص من حوله"[141].

5-2 فيعلن (صلاح فضل) بذلك عن منهجيته وهدفه من اقامة البحث في وقت واحد.

لكننا نجده يصرح برفضه التقيد الكامل بالمنهج، فهو لا يفرض المنهج على النص حد أتلاف جماليته وفنيته وافنائهما، وذلك يأتي في أثناء حديثه عن امور

عرضت له في بحثه (هذا) سماها تحديات، فقال: "وكان التحدي الاول الذي يواجهه هذا البحث هو الحفاظ على المسافة الحيوية اللازمة بين المنهج والنص الشعري"[142].

وبخصوص معالجة النص الشعري، وقد شبهه بطير، يقول: "وإذا كان لنا أن نحبسه في منهج فليكن قفصاً واسعاً يتركه يتنفس ويتحرك"[143]، لأن حصره في ذلك يعني قتلاً له. وقد اشار (صلاح فضل) الى تأثره برأي الناقد الأسباني والشاعر (داماسو النسو) فعبر في ذلك عن موقفه المبدئي فيما يخص المنهج والنص، ورؤيته فيهما، وهي الإشكالية التي طرحها هذا الخطاب منذ بدايته إذ قد سعى الى "ترك التطبيق مفتوحاً للمفاجآت المدهشة"[144].

وكان همه أن يقدم صورة عن مدى نجاح افتراضه التنظيري قياساً بالنتيجة التي توصل إليها في أثناء التطبيق، في مباحث كتابه، لأن ذلك يساعد في معرفة اختياراته المنهجية في أجرائه العملي، فعندما يقول: "ان النظرية الاولى كانت تفترض توزيع الأساليب الشعرية على مدارين أحدهما...، والثاني يضم عدداً من الاساليب التجريدية التي توقعت ان تتراوح بين الاتجاهات... بيد ان القراءة النقدية لنصوص الشعر العربي المعاصر قد أسفرت عن نتيجة مخالفة..."[145]. يكون قد كشف عن اختياره المنهجي المفترض، او ما نسميه المنهجية المزعومة.

لكنه على الرغم من ابتداعه لنظريته المنهجية في التطبيق، إلا انه يحتفظ بها في حيز الافتراض من دون ان يقسر النصوص عليها في التحري الإجرائي فكانت النتيجة الواردة في التطبيق غير ملائمة لما توقع في ذلك الافتراض النظري.

وقد طرح فيما اسماه (التجدي الثاني) موقفه تجاه منجزات علم النص وتمثله لمقولاته في مقابل قدرته على ابتداع منهجه المناسب لرؤيته في دراسة النص والاستشهاد بالنماذج المقتبسة منه. فعمله في هذا المحور يتمثل في "ضرورة الحفاظ على منجزات علم النص التي لا تجيز تقطيع أوصال القصائد بالاعتداء على أبنيتها الكبرى..." ويكمل قوله بالشرح الاتي: "فكان علي مخالفة هذه الأعراف في نقد الشعر، والعدول عن طريقة اجتزاء الفقرات الشعرية القصيرة للتدليل على القضايا التحليلية الكبيرة وإيثار استحضار القصائد كاملة ومطارحتها نقدياً بشكل يستوعب ابرز مكوناتها ويلتقط أهم أبنيتها التعبيرية"[146].

فيقترب بذلك من المنهج البنيوي في دراسة النص اذ يعنى بوحدتـه الكليـة وتكامل اجزائه في حدودها، ويطرح إشكالية أخرى في عرضه لما اسماه (التحـدي الثالث) الذي خصصه لمعالجة اختياره المنهجي المزعوم، ومحورها هـو استحالة التصدي لجميع أساليب الشعرية العربية المعاصرة، وضرورة اختيار الانماط البـارزة منها فحسب[147].

وقد احتوى خطابه الافتتاحي هذا فضلاً عن كل ذلك، رؤيته فيما يخص الشعرية، تلك الرؤية التي بنى عليها تصوره لمفهوم الشـعر الحديث إذ يؤسس أنموذجه النظري على قطبي (التعبير والتوصيل) فتكون أطراف عمله متاخمة لحدود منطقة التباين بين النظريات المعتمدة مبادئ الألسنية والسيميولوجيا، مما يمكنه كما يقول من استيعاب (الافق اللغوي للظاهرة) وتجاوز مدركات انماط القراءة والفهم والدخول في نظرية النص واستيعاب مقولات المهتمين بجماليـات التلقي[148]، والإفادة من معطياتها.

وباعتماده معطيات تلك النظريات جميعاً يصوغ نظريته في شعرية النص، فأضاف له ذلك سعة في الأفق وتأييداً لمنظوره الافتراضي وثقافة شاملة ومـوارد متنوعة أعانته في التطبيق.

لكننا على الرغم من ذلك نرى، فيما يخص تمسكه بالمنهج والتزامه قواعد العمل فيه انه يتخذ منهجاً ملفقاً، أراد به التكامل لما احسه من قصور في العمل الإجرائي للتحليل وتباين النظريات المعتمدة مبادئ الألسنية ومنتجاتها، مما يهيئ لنا رؤيته في صورة الاضطراب والتشتت في وجه من الوجوه إذا ما قلنا بضرورة التزام المنهج لغرض الضبط المعرفي في الدراسة التحليلية التطبيقية.

ومن خلال قراءتنا لنصه الأول، في هذا الخطاب الافتتاحي، الذي قال فيه عن دراسته انها "تقدم اقتراحاً محكماً لسلم الشعرية وتمارس اجتراحاً..."[149]، نراه يقصد الى اقامة النظرية او اقتراحها وكذلك التطبيق في الوقت ذاته، فعمله يشمل حقلي التطبيق والتنظير معاً، فضلاً عن إشارته الى وقوع عمله في حقل الشعرية او البحث فيها وليس في الاسلوبية، وبيّنا في الفصل الاول من بحثنا هذا مدى العلاقة بينهما قياساً باستقلال كل منهما ومدى الدقة في الحكم على اكتمال نظريتـهما ومنهجهما[150].

ولا نفاجأ إذا ما رأيناه يقترب من هذه النظرية او تلك، فقد يشير مثـــلاً الى النقد الشكلاني، أو يأخذ من الظاهراتية كما جاء في قوله: "والمحور الذي ترتكـــز عليه هذه الرؤية يقوم على ربط درجة الشعرية بعدد محدد من المقـــولات المرنـــة، بحيث تشكل شبكة مكونة من مجموعة تحالفات تربط درجـــة الإيقـــاع بدرجـــة النحوية والانحراف في تصاعدهما الحسي"(151).

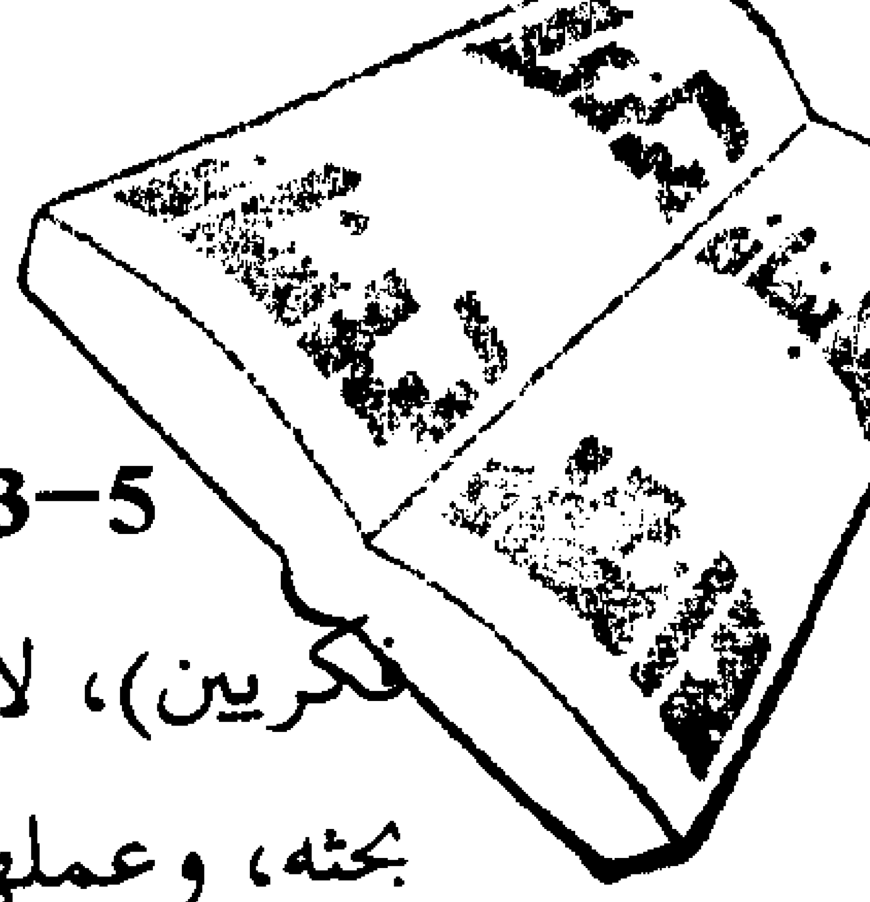
وقد يطبق مقولات البنيوية في مثل قوله "كما تصل مستوى الكثافة في النص بدرجة تشتته وتماسكه او تجريديته"(152).

فلا نفاجأ من ذلك كله اذ انه يرمي الى وضع منهج نقدي قائم على تكوين "جهاز مفاهيمي يسمح بوضع مختلف التجارب الشعرية على سلم نقـــدي قـــابل للقياس الوظيفي"(153)، إذ يسلم "بشرعية جميع الانماط الابداعية"(154)، ويحاول مـــن خلاله التعرف الى مكونات تلك الانماط الابداعية الاسلوبية والجمالية، وهي غايتـــه في البحث الذي يهدف، فضلاً عن معرفة تلك المكونات، الى استقصاء الأســـاليب الابداعية لاستكمال رؤية المشهد النقدي العربي(155)، فيمتد بذلك الى مجال ابعد في فضاء النقد الادبي.

وقد طرح كذلك هدفاً آخر بأسلوب تعليلي عن طريق الخطاب النقيـــض إذ يقول: "وما أظهرت خلافي معهم الا رغبة في صناعة لون من التراكب العلمـــي في النقد العربي، فالدراسات الاسلوبية لا يمكن ان تتقدم بتجاهل اللاحق للسابق علـــى ما تعودنا عليه في النقد العربي"(156).

ففي تصوره ان الأسلوبية انما تتقدم "باستثمار كل العناصر التي يســـتصفيها الزمن وتبقيها الأحداث واستخلاص النتائج لبناء المعرفـــة العلميـــة عليـــها"(157)، ويشمل ذلك في رأينا النقد بكل أبوابه ومناهجه.

يمكن بعد ذلك كله أن نصف خطابه الافتتاحي هذا بأنه أعلام في خارطـــة الدلالة يؤدي مهمة الإيصال المبرمج خدمة لما أراده من ابتداع جديـــد في كيـــان نظرية (الشعرية) المقامة على مرسى (النقد النصي)(158).



5–3 فخطابه بني على عنصرين اساسيين، او كما نسميهما (منطلقين فكريين)، لا يمكن إغفال ما أو كل إليهما من مهمة بيان صورة ما سيؤول إليه بحثه، وعملهما في توجيه خطابه هذا، في الوقت ذاته، وهما:

أ- إحكام فرضية التنظير، او اقامة النظرية.

ب- الضبط المعرفي في أثناء عملية التطبيق، بما يلائم النص.

وذلك يعني انه يأخذ بمقولة البنية في أجرائه الفعلي في خطابه القائم على المباشرة في اسلوب العرض بارسال المعلومات إذ يسعى الى توظيف هذا الخطاب علمياً، فضلاً عن اقامة بعضه على اسلوب الخطاب النقيض في تعليل الاختيار المنهجي في دراسته.

5–4 وقد توسل الى تحقيق العنصرين المذكورين بآلية اجرائية تنقسم بدورها في ذاتها الى محورين في التنفيذ هما:

- **المحور الأول**: يتعلق بقراءته للنصوص الشعرية. إذ يسعى الى تأسيس تصور معين لمفهوم الشعر الحديث، بناءاً على معطيات البحث اللغوي الحديث (في اطار الالسنية العامة)، وهذا التصور مبني على قطبي: التعبير، والتوصيل، حتى يشمل مخطط الوظائف (الياكبسوني) في نظرية النص.

- **المحور الآخر**: (الذي يتعاضل بدوره مع سابقه) يقوم على ابتداع المنهج في التنفيذ، بنظام جديد مبتكر يقوم على الاتي:

- أفق لغوي للظاهرة الأسلوبية.

- انماط القراءة، وجماليات التلقي، فيما يخص المتلقي.

- نظرية النص وما نشط منها أو تشظى عنها فيما بعد الأسلوبية وبذلك يكون قد اعتمد على الاكتمال في بنية النص لأجل التفسير والاستشهاد في التحليل.

6 – قراءات أسلوبية في الشعر الحديث. محمد عبد المطلب

6–1 يبدأ الدكتور (محمد عبد المطلب) خطابه الافتتاحي بتقرير إخباري عن عمله في هذا الكتاب فيقول: انه "مجموعة قراءات في الشعر الحديث"[159]، وينتشر مصطلح (القراءات) على مدى خطابه، فيؤدي بنا إلى الظن بانه سيبحث في نظرية القراءة أو جماليات التلقي واستجابة القارئ (كما يسميها بعض الباحثين)، وكل منا يتوقع في الوهلة الأولى عند قراءته لهذا النص ان محمد عبد المطلب سيخوض في المعنى وإدراكه، بين قصد المؤلف وقت الكتابة ومعالجة مسألة التفسير بحسب (هوسرل)، او التأويلات التي يمكن الوصول إليها عبر استجابة المتلقي للنص، مثلما يقول (هيرش)، او في البحث عن القيمة التاريخية للمعنى وما الى ذلك[160]، لكننا نجد عنده خلطاً في الفقرة التالية من النص، وهو خلط في الأجراء النقدي بين المناهج المختلفة، وخلط في المصطلحات، وقد يكون ذلك الخلط متعمداً وقد يكون بسبب القصور في استيعاب المنهج او عدم الدقة في فهم المصطلحات، وقد يكون ذلك بسبب البنية التلفيقية في العقل النقدي التطبيقي الحديث عند العرب.

ويبدو التناقض في كلامه منذ قوله: "وقد صدرنا مجموعة القراءات بمقدمة نظرية وتطبيقية تحدد منهج القراءة وخطوطها الرئيسة، من حيث هو منهج لغوي لا يبتعد عن الصياغة إلا بقدر ما يعود إليها كاشفاً ما أمكن عن ظواهرها الإبداعية..."[161]. فلا نجد في كلامه هذا من نظرية (القراءة) سوى المصطلح اذ جعله مثالاً لما قد أشرنا إليه في بحثنا هذا من المصطلحات التي تخص دراسة الأدب كالمنهج، والمقاربة، او الأجراء التحليلي وغيرها[162].

6–2 والحال نفسها نجدها عند متابعتنا لمنهجه المعلن على مدى خطابه فبعد ان يبدأ بوصف عمله بانه يعتمد "مجموعة من الإجراءات التحليلية"[163]، ويضعه في حقل الدراسة التطبيقية ويتابع القول في منهجه التطبيقي، إذ يشير الى انه يتبع طريقة البنيويين في الوصول الى النتائج والاحكام، نراه يخالف هذا الاعلان فلا يلتزم هذه الطريقة إذ ان إجراءاته التحليلية "يتدخل فيها التنوع الجزئي بالكشف الكلي"[164]. والمعروف ان الناقد انما يسير في إجرائه من الجزء الى الكل، وقد يسير بعكس ذلك، وخلاف ذلك يكون التشتت الذي وقع فيه (محمد عبد المطلب).

ويزعم بعد ذلك انه يسعى "الى الربط بين الظواهر التعبيرية"[165]، وفي ذلك إشارة خفية الى الاقتراب من الاسلوبية التي من شأنها متابعة هذه الظواهر.

وعموماً فإن منهجه يتضح اكثر من خلال قوله: "وقد صدرنا المجموعة بمقدمة نظرية وتطبيقية تحدد منهج القراءات وخطوطها الرئيسية، من حيث هو منهج لغوي لا يبتعد عن الصياغة إلا بمقدار ما يعود إليها كاشفاً- ما أمكن- عن ظواهرها الإبداعية، دون دخول في دائرة التقييم التي يمكن ان تدخلها قراءات أخرى تعتمد القيمة وسيلة لها في تقديم الخطاب لمتلقيه"[166].

فهو منهج وصفي لا يتخذ معيار القيمة هدفاً في خطابه ويصف كذلك مساره العام في تحليل الخطاب الشعري بانه "مساير لطبيعة التوقع واحتياجاته من ناحية وخصوصية الخطاب وتعاليه من ناحية أخرى"[167]، بمعنى انه يعقد موازنة بين افتراضه النظري واجرائه التطبيقي، فلا يفرض المنهج على الخطاب الشعري ولا يقسر ذلك الخطاب في المنهج المفترض.

6-2-1 ويتنوع منهجه في هذه المجموعة من القراءات بحيث يكون لكل منها منهج بحسب طبيعة الخطاب الذي تتوجه لمعالجته لكن موضوع الدراسة جميعاً بقي موحداً بينها وهو الشعر.

فهكذا كانت قراءته الاولى (في ديوان عبد القادر القط) كما يصرح في مقدمته ذات منهج لغوي في الدرس التطبيقي، إذ يتوجه الى البحث في شعرية النص: كيف اصبح النص شعرياً؟. فيرصد من خلال ذلك ظواهر الخطاب أو أدوات المبدع في مستوى الدلالة الافرادية وفي مستوى التركيب كذلك. ونجده يشير إلى الفكر البلاغي الذي لا يفارقه في خطابه المنهجي، لكنها البلاغة المتجددة والمطورة بما نجم عن اللسانيات من تطور، فتمتزج البلاغة بالأسلوبية وتختلطان بالبلاغة الجديدة في قوله: "ومنطق هذه القراءة وما يليها هو المتابعة المحايدة التي تتعامل مع الخطاب الشعري بأدوات لا تتنافر مع طبيعته، ونعني هنا الادوات البلاغية التي جددت نفسها والاشكال النحوية الجمالية التي تتجاوز الدور التقعيدي إلى الوظائف الدلالية"[168]. وتلك اشارات مبهمة تشمل الاسلوبية والبلاغة الجديدة على حد سواء.

ثم يتابع العمل في سعيه الى تطبيق الأسلوبية في قراءات اخرى إذ ان دراسته لشعر (فاروق شوشة) تقع في حقل الاسلوبية ايضاً فهو يتوجه الى رصد ظاهرة التكرار الذي وظفه الشاعر في خطابه، فيدور في فلك الاسلوبية التعبيرية ويتخذ فيها، كذلك منهجاً سيميائياً في معالجة دلالة المفردة، وارداً اكثر مناهج الدرس الدلالي قرباً من الدراسة اللغوية المهتمة بالادب، كالمنهج المعجمي (الصرفي) والسياقي والنفسي في دراسة الدلالة. وان الملمح الاسلوبي البارز الذي تصدى لرصده هو ما أضافه التوظيف السيميائي للدال من مردود معجمي الى السياق الشعري الذي ابتدعه الشاعر فجعل له استمرارية تاثيرية في الخطاب.

وقد شمل ذلك مقولات (القارئ) والاهتمام به في الاسلوبية التأثيرية، مختطاً له طريقاً قريبة من مقولات (ميشال ريفاتير) فضلاً عن المنطلقات البلاغية القديمة في مقولات الحال والمقام ومراعاتهما، دونما أية إشارة إليهما.

6–2–2 وكان درسه (لمحمد ابو سنّة) اسلوبياً ايضاً، فقد أشار الى ان قراءته لديوان هذا الشاعر قد تمت عن طريقين:

أولهما متابعة نحوية لبنية الضمائر استعمل فيها منهجاً احصائياً.

واخرهما متابعة اسلوبية لظاهرة الالوان.

6–2–3 وأقام دراسته لـ(محمد سويلم) على بحث ظاهرة تعدد امكانات توظيف بنية (النفي) النحوية وبيان دورها الاسلوبي المؤثر في ديوانه.

6–2–4 وكذلك يقترب من الاسلوبية في اشارته الى دراسة توظيف الظاهرة اللغوية في مسرحية (أنسي الحاج)، فقد "تحركت القراءة من بعد لغوي خالص لترصد التعامل الشعري مع الدوال على المستوى الحواري"[(169)]. وبهذا يرصد دور الشاعر المسرحي في توظيف اللغة ليشكل منها نوعاً درامياً لغوياً فنياً يقوم على التصادم بين المحاور الاسلوبية المختلفة في بنية النص المسرحي الشعري[(170)].

6–2–5 وفي مقابل ذلك نجده مع (احمد عبد المعطي حجازي) وهي القراءة التي تحمل التسلسل الثاني في المجموعة، يتخذ منهجاً مغايراً إذ يشير الى انه منهج تراثي في القراءة، فهو يدرس ديوان الشاعر (في ضوء بنية تراثية هي الوقوف على

الطلل) فيبحث في الكيفية التي وظف بها الشاعر هذا القالب، شكلاً ومضموناً، في تجربة حداثية[171].

6—2—6 لكنه مع ديوان (محمد عفيفي مطر) احتاج كما يقول: "إلى قراءة من نوع خاص"[172] اسماها (القراءة الاسترجاعية) إذ اخذ بمقولة التناص "ذلك لان ديوانه يدخل دائرة التناص"[173] فعلاً. ويأتي اقتراحه الأكثر اهمية لابتداع منهج جديد في قراءته لـ(محمد احمد حمد) إذ يزعم انه ملائم لبنية نصه الإبداعي، فيقول: "وأهمية القراءة هنا انها كانت اداة لطرح منهج لقراءة الشعر الحديث خماسي الاركان، يعتمد على رصد مدخل الخطاب الشعري اولاً، ثم الولوج الى الأركان الخمسة الاساسية: الذات، الموضوع...، وفي رأينا ان هذا المنهج يمكن ان يكون وسيلة فاعلة في الكشف عن خصوصية الابداع في الخطاب الادبي عموماً والشعري على وجه خاص"[174].

وهذا هو التلفيق بعينه في وضع منهج الدراسة، إذ لا يتخذ له منهجاً محدداً وثابتاً فيتنقّل بين مقولات النقد المتنوعة. ليخرج عن اطار المنهجية المنضبطة ولا يلتزم أياً من المناهج التزاماً كاملاً.

6—3 أما عن أهدافه فإن اتخاذ الموضوعية في أحكام الدراسة كان من اهمها، إذ يقول إنه يجري مجموعة التحليلات "من خلال الاستيعاب المحايد الذي يسعى الى الربط بين الظواهر التعبيرية"[175]، لذا فهو يبحث في الظواهر الإبداعية للصياغة اللغوية من دون ان يدخل في دائرة التقييم، وان مبدأه الأكثر أهمية انه يساير في عمله التطبيقي طبيعة التوقع النظري واحتياجاته فضلاً عن الأخذ بخصوصية الخطاب وتعاليه. وبخصوص الظاهرة الأسلوبية التي يسعى إلى دراستها فانه ينطلق من مقولة الانحراف في تحديدها[176].

6—4 ان المنطلق الفكري الاول الذي بنى (محمد عبد المطلب) عليه خطابه (هذا) هو (التجديد)، فقد أقام دراسته على وفق منهج بلاغي متجدد عن طريق الأخذ بمعطيات الدراسات اللسانية الحديثة.

وقد أردف ذلك بمنطلق آخر هو تعالي لغة النص الشعري، وضرورة احترام ذلك التعالي في عملية المعالجة التحليلية. وكانت وسيلته في خطابه لتحقيق هذين

العنصرين هي الإشارة إلى سلوك منهجيات متنوعة بين القراءة والأسلوبية، والتلفيق بين المناهج المختلفة في النقد ودراسة النص.

7 – أسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي مهدي ارشد علي

7–1 يبدأ الكاتب بمعالجة مسألة اختياره منهج الدراسة الاسلوبية وعلاقة هذا الاختيار بموضوع دراسته (في الشعر) إذ يقول ان ملامح النص الأسلوبية "المتفردة والخاصة هي التي فتحت المجال لهذا النوع من الدراسة"[177]، فيربط بين وجود الظاهرة ومنهج دراستها.

وقد شمل خطابه نوعين من المعالجة النقدية إذ قدم في بدايته بعض أفكاره ورؤاه عن الموضوع ومنهجه وأهدافه المعلنة والمنهجية المزعومة ثم تناول بعد ذلك ايضاحاً لعمله في البحث على مدى الكتاب، فأوضح موارد هذا العمل في مدخله النظري وبين مسيرته في فصوله اللاحقة.

فبتحديد صريح لمنهجية الدراسة المزعومة جعلها هدفاً معلناً إذ قال: "ان هذا الكتاب يهدف الى انجاز دراسة اسلوبية في نص (سامي مهدي) الشعري"[178].

وقد اختط سبيله الى تحديد الواقعة الأسلوبية ودراستها على وفق أنموذج اللسانيات، ونستشرف ذلك من قوله: "ان تعيين الواقعة الأسلوبية يكون بملاحظة البناء اللساني للنص في مستوياته المختلفة من خلال مراقبة الارنكسارات او التغايرات الحادثة في السياق"[179].

فهو ينظر الى الظاهرة الأسلوبية بوصفها انحرافاً عن السياق وذلك سيكون منطلقاً مبدئياً له في دراسته التطبيقية وعندما يحدد اهداف الدرس الأسلوبي يكون قد وضع رؤيته الخاصة حول هذا المنهج قيد الافتراض النظري. وأننا نتبين تلك الرؤية الافتراضية من قوله أن "الدراسة الاسلوبية التي تهدف الى كشف الملامح المهيمنة والقارة، وذات الأثر المتفرد، ضمن البناء الشعري، غير ملزمة باستقصاء النتاج الشعري كاملاً. بل المهم ان تكون النماذج المختارة حاملة تلك الملامح

والخصائص"[180]، فيأتي تصوره لمفهوم الاسلوبية الذي يرتكز على كشف الاثـــر اللافت للنظر في النص الشعري مكملاً لما سبق ذكره ونجد ذلك في قوله: "فتعيـين أسلوبية نص ما هو إلا تحديد لـــ (وقائع أسلوبية)"[181].

وبخصوص منهجه في العمل التنظيري يزعم ان المدخل الذي وضعه لدراسته هو "محاولة جديدة للنظر في الاسلوبية من خلال الابتعاد عن السرد المكـــرر عــن مسيرة الاسلوب والاسلوبية إذ أن ذلك السرد، ومن خلال الرؤية المعارضة للرؤيـة التاريخية وهي الرؤية النسقيّة، يبدو عـــامل تشـويش واضطـراب لاسـتيعاب المفهوم"[182]. فيدعي بذلك القول الابتعاد عن الاضطراب في منهجـــه المزعـوم، الساعي الى الضبط المعرفي باتخاذ سبيل ما اسماه بالرؤية النسقيّة.

أما في الجانب التطبيقي فكانت المنهجية المزمع اتخاذها تســـتند الى رؤيتـه النابعة من جوهر القراءة الملازمة للنص موضوع الدرس، فهو يوجه همّه مرة نحـــو المستوى الصوتي في عروض الشعر والقافية متوخياً في ذلك اعتماد سياق التفـاعيل، في شعر التفعيلة، ويهتم في اخرى بتحديد ظاهرة الالتفات من خـــلال المؤثـرات التركيبية والدلالية، فيدعي انه يفرق بين نوعين من الالتفات: أسلوبي يعتمد السياق النصي في تمييزه، واخر بلاغي يعتمد فيه المقارنة بقاعدة خارجية.

ان تحديد الإطار التنظيري للدراسة الأسلوبية (المفترضة) عنده يعتمد أساسـاً على تلمس منطلق مبدئي لما اسماه بـــ (الرؤية النسقيّة) من خلال: "كشف سمــات ملازمة للمبحث الأسلوبي ثم التمحور على كشف علاقة الأســـلوبية بالمعــارف المجاورة وخصوصاً البلاغة واللسانيات والشعرية"[183].

ويزعم ان خطوته المنهجية (هذه) قد أدت الى نتائج يدعي تحقيقها جـــراء عمله في البحث وأبرزها تحديد حقل جديد في الدراسة الأسلوبية اسماه: (الاسلوبية الاجناسية) وقد جعلها في مقابل الدراسة الأسلوبية التي تأخذ بمقولة الجنــس الأدبي وقد أقام نظريته، المبتدعة، في الاسلوبية على عقد التزاوج بين الشعري/ والاسـلوبي ويدعي ان ذلك يخالف ما جاء به سابقوه من العزل بينهما اذ يقول: "ولقد اخـــذ هذا الحقل تسميته (الاسلوبية الاجناسية) تمييزاً للاسلوبيات التي تنطلق من مســلمة

الجنس الادبي وتعترف بها، وبأثرها في تكوين اسلوبية الخطاب ولقد تم تأشير حدود عامة لـــ(الأسلوبية الاجناسية)"[184].

وبوضوح نلحظ من خلال ذلك كله انه يسلك سبيل التنظير فيحاول ابتداع رؤية منهجية يدخل بوساطتها في خضم الدراسة التطبيقية، وعلى الرغم من إعلانـه المزمع في الضبط المعرفي إلا انه لا يستند في عمله (في الواقع) إلا لرؤيتـــه الفرديـــة فيضرب صفحاً عن مسألة الالتزام المنهجي الذي يؤدي بدوره إلى الضبط المعـــرفي، كما هو مفترض، في الدراسة الساعية الى الاتصاف بالعلمية والدقة في النتائج.

7–2 يعتمد الكاتب في خطابه الافتتاحي (هذا) على الرؤية الفردية المؤديـــة بحسب قوله الى الاتصاف بالعلمية، بوصفها منطلقاً فكرياً رئيساً، إذ يقول: "ولابد ان تكون هناك إجراءات عملية واضحة غير انطباعية وليست مبهمة"[185].

7–3 وكانت وسيلته الى ذلك هي الشرح والإيضاح فيما يخص الأســـلوبية عموماً، والتعيين والاختيار فيما يخص الظاهرة الأسلوبية فضلاً عن اتخاذه ســـــبيل البحث اللساني ونظرية النص في إقامة المفاهيم الخاصة بالتطبيق بحيث تـــــؤدي الى تحقيق افتراضاته النظرية لمنهجيته المعلنة.

إستنتاج

1– قدرنا للبحث في هذا الفصل خطوطاً يؤدي السير فيها الى غاية معرفيـــة قصدنا تحقيقها من وراء الجهد المتحقق في إنجازه بما يضمن لنا كشفاً ميدانياً لواقـــع الرؤية المنهجية التي حمّلها الباحثون الاسلوبيون العرب مداخل مؤلفاتهم التخصصيـــة في البحث الاسلوبي وما يتوجه منها الى موضوعه الرئيس، وهو الأســـلوب، مـــن مداخلات فكرية، ويتعلق بالأسلوبية من معطيات تنظيرية تعبر عن وجهات نظـــر الباحثين الشخصية، في هذا الشأن، بعيداً عن اثار قراءاتهم المنهجية الـــتي تحكـــم توجهاتهم، وتخفيفاً من استشهاداتهم بالنصوص المأخوذة عن غيرهم، من الغربيـــين خاصة، التي توافرت ترجماتها بشكل عام، وما تضمنتها مباحث كتبهم المذكـــورة منها بشكل خاص.

2– وعند هذه المرحلة يكون بإمكاننا ان نلخص الوجهة العامة لمشاريعهم التي تفحصناها من خلال خطاباتهم الافتتاحية بالشكل الاتي:

2–1 ظهر لنا بعد استقصاء البحث في هذه التنظيرات ان مشروع الأستاذ احمد الشايب ماهو إلا بيان أجمالي لمنهج بلاغي جديد يشكل امتداداً زمانياً لعلم البلاغة العربية الموروثة التي عدها علماً شاملاً في دراسة الأدب وإمكاناته الفنية بحيث يكون الدرس الأسلوبي جزءاً منها.

وإن ضابطه الفكري الرئيس في عمله هو التكميل الذي اقامة على قاعدة التجديد. ويمثل بذلك مرحلة متقدمة في الزمن في البحث الاسلوبي العربي إذ توجه نحو الدراسة السلفية للواقع الادبي المعاصر.

2–2 أما الدكتور (عبد السلام المسدي) فقد أعلن عن ميلاد الأسلوبية بوصفها علماً جديداً وحديثاً في الوقت ذاته يختص بدراسة الأسلوب. وقد دعا الى ضرورة الضبط المعرفي لأركانه بهدف فصل حدوده وتثبيت الفواصل العلمية لتلك الحدود مع العلوم الأخرى المجاورة.

فالأسلوبية بحسب رأيه: نظرية علمية نشأت بفضل تلاقح علوم اللسان مع النقد الادبي، وقد انفصلت في مباحث خاصة عن اللسانيات واستقلت، كذلك، عن النقد الأدبي، وهي تتصف بالموضوعية في المعالجة والابتكار لتصوراتها النظرية، وهي بحسب رأيه بديل عن البلاغة الموروثة مستقل بأسسه المعرفية وموضوعاته المنهجية.

وذلك يعني ان مشروعه الأسلوبي يقوم على وضع الأسس المعرفية لهذه النظرية.

وكان خطابه قائماً على منطلقين هما: العلمانية الفكرية، والحداثة بمعنى المعاصرة.

2–3 ويقترب موقف الدكتور (صلاح فضل) من موقف صاحبه، فالأسلوبية بحسب رأيه علم يتصف بالحداثة، وهو اصيل بجذوره الثقافية في الموروث العربي الإسلامي وإن صلته بالبلاغة تقوم على التوارث، وقد أوضحنا ما تمتاز به مقولتاهما في هذه المسألة.

وإن ما يميز خطاب (صلاح) التنظيري، هذا، انه يصرح، من غير لبس، بهوية علم الأسلوب فهو (وافد) عن الاخر (الغربي) في رأيه، وهو يسعى إلى استقصاء مبادئ هذا العلم في منابعه لكنه يرفض في الوقت ذاته النسخ الاستهلاكي في مجال المعرفة وتقليد الآخرين في الثقافات الأجنبية من غير ما زيادة في الفهم وترصين للأفكار.

وكان منطلقاه الرئيسان في الواقع الفكري الذي يحكم خطابه هما:

- استحضار المنهج الدقيق في البحث.
- التذرع بأدوات التحليل العلمي.

مما تمخض عن مشروع ثقافي يقوم على مبدأ الحداثة العلمية واعتماد معطيات الثقافة الاجتماعية التي ينتج الأدب في ضوئها في عملية التأسيس المعرفي.

2-4 أما الدكتور (سعد مصلوح) فكان مشروعه يقوم على الضبط المعرفي إذ سعى في كتابه الأول (الأسلوب دراسة لغوية إحصائية) الى وضع منهج أكاديمي يقوم على الإحصاء متوخياً الدقة العلمية في الدرس، وان توجهه الاسلوبي لا يخرج عن دائرة التحليل اللساني للأدب.

وقد خاض في بحث مشكلات الأسلوبية النظرية والتطبيقية، وهو يميل الى التطبيق الاستكشافي لمبادئ النظرية الأسلوبية لإثبات صحتها. وإن المنهج المتصف بالعلمية، والمتخذ من الأكاديمية دستوراً له، يؤثر بحسب رأيه في فرض النظرية الأسلوبية على الواقع المعرفي الحديث وتتهيأ الدقة العلمية في التطبيق لهذا المنهج عن طريق الاحصاء. وهذا يعني انه يختار منهجاً واحداً من مناهج الأسلوبية ويحاول اشاعته وتبنيه في الثقافة العربية.

ولا يبتعد في كتابه الثاني (في النص الأدبي دراسة اسلوبية احصائية) عن الحقل اللساني في دراسة الادب، ويبقى على توجهه الأول سوى انه يحدد دائرة العمل، هذه المرة، إذ يقصرها على النص الادبي خاصة. ويسلم بضرورة تحديث علم الأدب ومجاراة واقع التقدم الذي شمل معارف العصر الحديث باتباع المنهج الأسلوبي متوجهاً فيه نحو الإحصاء في رصد الظواهر وإقامة النقد.

وإن من القضايا الهامة في مشروعه ما يأتي:

- التعريف بالمصطلحات في إطار الأسلوبية
- وضبط المقاييس في إطار الأسلوبية.

ويمكننا القول بأنه الباحث العربي الأول الذي يسعى الى اعلان مشروع منهجي في النقد، وتأتي أهمية عمله من أحكامه المنطلق النظري في مسعاه الى تأسيس المنهج التطبيقي، في مقابل سعي الباحثين السابقين (المسدي وصلاح فضل) إلى بيان النظرية الأسلوبية في واقعتها الفكري العام ضمن واقع الثقافة الأدبية المعاصرة.

2-5 وفي مشروع الدكتور (شكري محمد عياد) وجدنا نمطاً آخر من العمل في البحث الأسلوبي يتمخض عن محاولة التأصيل وإيجاد الجذور في عمق الثقافة العربية الإسلامية مما يكشف لنا عن موقفه السلفي من الأسلوبية اذ يعتقد عودة (علم الاسلوب) الى مقولات بلاغية موروثة، فيقيم مشروعه على التأصيل في مقابل حركة التحديث التي شاعت في أدب الشباب الذي قام على محاربة القديم اذ وسمه بالبدعة المنقولة عن الغرب. وليست الأسلوبية، بحسب رأيه، سوى طريقة تيسر له محاولة قراءة الأساليب الأدبية وتمييزها.

وهو يلتزم مقولة (النص) في دراسته ليثبت صحة أفكاره النظرية في واقع العمل النقدي.

وإن هدفه تعليمي عندما يلتزم المنهج في ميدان البحث الأسلوبي وقد بنى خطابه على منطلقين: هما الأصالة والإبداع لتحقيق المعرفة العلمية للأسلوبية.

و لم ينفصل عمله في كتابه الآخر (اللغة والإبداع) عن هذا المشروع، إذ بقي مشكل الحداثة والقدم في الإنتاج الثقافي (الاتباع والإبداع) هو المحرك لخطابه.

وإن الأسلوبية، بحسب رأيه، هي منهج لغوي في دراسة الادب وان علم الأسلوب يبحث في دراسة الإمكانيات التعبيرية للغة.

وهو يدخل في الدراسة التخصصية لمنهج البحث الأسلوبي: فيفصل بين علم أسلوب عام: يدرس الخصائص التعبيرية في اللغات عموماً، وعلم أسلوب خاص يعنى بالمميزات التعبيرية الخاصة بلغة معينة.

وهو في كتابه الأخير يكون اكثر انفتاحاً اذ يتجاوز الموقف السلفي، الـــذي حَدّ به رؤيته في كتابه الأول، الى التحديث فهو فضلاً عن تفتيشه عـــن نصـــوص بلاغية تكون اكثر قدماً يحاول، في الوقت ذاته، تنمية أفكاره ورؤاه عـــن طريـــق الأبحاث الأسلوبية المعاصرة لدى الغربيين.

وإن منطلقه في هذا الموضع هو التجذير في حين ان مسعاه هـــو التجديـــد ويمكننا وضعه ضمن قائمة المتوسطين في الموقف الثقافي إذ يتوسل الحل في عملـــه بالتلفيق بين المناهج فيعلن عدم التزامه بأي منهج (حرفياً) في البحث الأسلوبي، ولا يتخذ له اتجاهاً محكماً فيه على الرغم من استرشاده ببعـــض المنـــاهج والمقـــولات النظرية في النقد.

2–6 أما (محمد عبد المطلب)، الذي شمل مشروعه التنظير والتطبيق معاً، فهو سلفي في مذهبه الفكري إذا ما قرأناه في كتابه (البلاغة والأسلوبية) إذ يتخذ مـــن البلاغة العربية ميداناً لبحثه، فعمله لم يكن غير مشروع لتجديد البلاغـــة باســـم الأسلوبية.

وان فكرته عن دراسة الأسلوب في إطار البلاغة العربية القديمة قائمة علـــى افتراض ان الدرس الاسلوبي فيها (أي البلاغة) هو فن لغوي وادبي في الوقت ذاتـــه، وهو ما يقربها من الأسلوبية الحديثة. فكتابه هو محاولة لقراءة البلاغة الموروثـــة في ضوء معطيات الأسلوبية المعاصرة.

وإن منطلقه الفكري يقوم على الأصالة والمعاصرة وهي ثنائية توفيقية تعتمـــد الأحياء عن طريق التجذير في مباحث الأسلوبية. إذ يرمي إلى ابتداع نظرية لغويـــة بلاغية تساهم في عملية فهم النص الأدبي النابع من واقع المجتمع العربي، فضلاً عـــن تأسيس رؤية عربية معاصرة لمفهوم الأسلوب. وان رابط عمله الرئيس هو الوقـــوف في مواجهة الثقافة الوافدة (الغربية) عن طريق التوجه السلفي في مقابل عملية الإنماء والتحديث الفكري.

وسنأتي الى مشروعه التطبيقي بحسب الترتيب المنهجي للبحث.

2–7 أما دراسة (عدنان بن ذريل) فهي تقع في دائرة العمل البنيوي اللســـاني العام في دراسة الأدب.

وقد تشتت مشروعه الفكري بين الأسلوبية والبنيوية فضلاً عن الشعرية والنظريات الخاصة بدراسة النص. مما أوقعه في فخ التعمية من حيث أراد الاتساع والشمول. وقد وصف العلاقة بين الأسلوبية والنقد بأنها علاقة تكميل متبادلة بينهما على الرغم من قوله بقصور الأسلوبية اذ جعلها أداة من أدوات النقد ليس إلا، وهي قاصرة عن التطبيق في ذاتها للوصول الى النتائج. وان منطلقه المبدئي في الفكر التأليفي هو التزام (النصية) في النقل عن الغرب.

مما يعني تمثله الكامل لمقولات الغربيين وتبني إشاعتها في الواقع الثقافي العربي المعاصر.

2-8 وقد حمل مشروع (حميد لحمداني) فكرة بناء أسلوبية جديدة خاصة بالرواية. وقد انفتح فيه على الثقافة النقدية الغربية، فابعد البلاغة القديمة المقامة على دراسة الشعر وتبنى ما حصل من تقدم في الغرب، من بحث بلاغي وأسلوبي حديث في ضوء معطيات الدراسات اللسانية والبلاغية المعاصرة.

وقد وقف موقفاً محايداً من الموروث البلاغي أفاد منه بعض الشيء وتجاوزه في الأفق الأبعد في التخصص بدراسة الرواية.

2-9 أما (د. منذر عاشي) فأن الفكرة الرئيسة التي بنى عليها خطابه هي وضع الأسلوبية ضمن الحقل اللساني في دراسة الأدب. اذ سعى الى تأسيس منهج مقترح في النظرية العامة للسانيات تكون الأسلوبية فرعاً منها.

وقد عد الأسلوبية نظرية علمية تسعى الى وضع الخطوط الواضحة لمنهج التحليل الأدبي، وتقوم على العلمية في الضبط المعرفي.

3- أما في مجال التطبيق فقد وجدنا الامر بالشكل الاتي:

3-1 (محمد الهادي الطرابلسي) يقترح للوصول الى اقامة النظرية الاسلوبية الدخول عن طريق التطبيق فتكون مسرته عكسية، من الجزء إلى الكل فيكون التعميم بعد الكشف الجزئي الميداني. وهو يسلك سبيل الاسلوبية الحصائية ويفهم الأسلوب بوصفه انحرافاً ويتوخى آخر مقولة القارئ في تحديد الظاهرة، اذ يفهم الأسلوب بوساطة إدخال القارئ واشراكه في عملية الاتصال بعد عنصري النص والمنشئ.

وهو يعلن عن تأسيس الأسلوبية التطبيقية في النقد العربي الحديث، وقد حمل خطابه عنصري الموضوعية والعلمية بوصفهما ركنين فكريين رئيسيين في عملية التأليف.

3-2 (السيد إبراهيم محمد) يعالج الضرورة الشعرية بوصفها ظاهرة اسلوبية، وهي اثر من آثار العلاقة بين المبدع واللغة، ويتبع المنهج التاريخي في الدرس المنهجي بهدف التجذير والتأصيل وذلك يكشف عن توجهه التراثي السلفي في دراسة الظاهرة الأسلوبية ويأتي بعد ذلك اجتهاده في المعالجة الفكرية. والأسلوبية بحسب رأيه مبحث لغوي مكمل للبحث النحوي بمقدوره بيان معنى ظاهرة الضرورة الشعرية التي هي خروج إرادي عن القاعدة النحوية.

3-3 اما صاحب كتاب (صورة بخيل الجاحظ الفنية) فقد عد الأسلوبية اداة للدخول في دائرة النقد. وهي لا ترقى الى الاستقلال ولا تعوض عن النقد اذ هي مجرد أداة نتوصل بها إلى النقد. وقد كانت أفكاره مبتسرة فيما يخص الأسلوبية والأسلوب على الرغم من ان هدفه المعلن هو الكشف عن خصائص الأسلوب وفضل الاستعمال الفني للغة في الكتابة الأدبية.

3-4 ويأتي كتاب (البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث) ليكون مشروعاً لاكتشاف طبيعة اللغة الشعرية وتحديدها وبيان خصائص الحداثة بوساطتها في القصيدة المعاصرة. وكان خطابه قد دار حول اللغة وان موضوع ذلك الخطاب هو القصيدة الحديثة وان غايته هي بيان اوجه تلك الحداثة وأشكالها في استعمال اللغة لبناء النص.

وقد اعتمد على معطيات علم اللغة في عمله، إذ فهم الأسلوب على انه اختيار للإمكانيات أو الوسائل اللغوية التي ترقى بالنص إلى الشعرية وإن مقياسه في هذا الاختيار يكون بمدى الشيوع والقدرة على أداء الوظيفة الخاصة في النص بحيث تشكل المزية الأولى فيه ويشمل عمله في إطار النص الشعري ابنيته اللغوية كلها بدءاً بانساقها الصوتية وانتهاءاً بهيأتها التركيبية. وهو حداثوي في توجهه العام لدراسة القصيدة العربية.

3–5 وقد وجدنا (صلاح فضل) في التطبيق يرفض التقيد بالمنهج في الإجراء التحليلي تقيداً كاملاً إذ يتعارض ذلك في تصوره مع روح الابداع في النص الأدبي، ففي كتابه (أساليب الشعرية المعاصرة) يدعو الى ضبط المنهج وتحـري الدقـة في تطبيقه. اذ يجعل من تطبيق المنهج وسيلة لاقامة الدراسة النقدية فذلك يسم العمـل بالضبط المعرفي، بشرط السيطرة على امور البحث بما يجعله ابداعاً فكرياً وليـس إماتة لجمالية النص الادبي، فيسعى إلى الحفاظ على المسافة الحيوية اللازمـة بـين المنهج والنص الشعري. ولقد أعلن عن امتثاله لمقولات علم النص واقترابـه مـن البنيوية في دراسة النص، اذ عني بالوحدة الكلية له وتكامل أجزائه في حدودهـا، لكنه يتجاوز مقولاتهما إذا ما تعارضت مع الروح الجمالية التي يحملها النص الادبي.

ويمكننا القول إن بحثه كان اقرب الى الشعرية وقد طبق مبـادئ الألسـنية والسميولوجيا لاستيعاب الأفق اللغوي للظاهرة وكذلك الإفادة من مقولات مناهج النقد الحديث كلها في عصره لخدمة النص المدروس وكشف مدركاته الأسـلوبية. وهو يحاول إقامة النظرية وفحصها في الوقت ذاته خلال كتابه، فيجعل الأسـلوبية بديلاً عن النقد بكل محتوياته.

3–6 وعندما نعود الى (محمد عبد المطلب) في كتابه قراءات أسلوبية نجـد عدم الاستقرار في المصطلح والتشتت بين المناهج النقدية الحديثة.

وهو يتخذ الوصفية وسيلة في العمل والنموذج اللساني دستوراً، لكنه يحتفظ لنفسه بخصوصية معالجة الخطاب الادبي الشعري ومسايرة تعالي ذلك الخطاب، فهو لا يفرض المنهج عليه. وتختلط عنده البلاغة القديمة بالبلاغة الجديدة وكلاهما يختلط بالأسلوبية فتشتت رؤاه النقدية أيضاً.

ويقيم عمله على التلفيق بين المناهج والمقولات النقدية غير آبه بمصادر انتماء مقولاتها فيساوي الغربي الحديث بالعربي الموروث ولا يتخذ منهجاً محدداً فينتفـي الانضباط في عمله ولا يلتزم المعرفة العلمية التي يؤدي اليها المنهج.

وإن منطلقه الفكري الرئيس في خطابه هو التجديد وقد كان سبباً في ذلـك التشتت الذي وصف به عمله.

إذ ان هدفه هو اقامة منهج بلاغي متجدد عن طريق الدراسـات اللسـانية الحديثة.

3–7 في كتاب (أسلوبية البناء الشعري) يعتمد الباحث كما يعلن على المنهج الأسلوبي ويأخذ فيه بإنجازات الأنموذج اللساني في التحليل.

وهو ينظر الى الظاهرة الأسلوبية بوصفها انحرافاً عن السياق وان الدراسة الأسلوبية، بحسب رأيه، تهدف الى كشف الملامح المهيمنة البارزة وذات الاثر المتفرد في البناء الشعري.

و لم يغلق كتابه على التطبيق دون التنظير، اذ وضع مدخلاً له نظرياً سعى من خلاله الى تطبيق أفكاره في الضبط المعرفي للأسلوبية باتخاذ ما اسماه بالرؤية النسقيّة.

وقد ادعى في محوره التطبيقي انه حقق نتائج جراء عمله فيه أبرزها تحديد حقل جديد في الدراسات الأسلوبية اسماه (الأسلوبية الإجناسية).

والأسلوبية في منظوره الخاص لا تنفصل عن الشعرية في العمل النقدي المتضمن لمقولة النص.

وإن إعلانه، المزمع، عن الضبط المعرفي يضيع في خضم افتراضاته الشخصية، إذ يؤدي به ذلك الى ضياع المنهج فتنتهي الدقة (العلمية) التي فرضها لتكون ضابطاً فكرياً يقيم عليه خطابه النقدي الأسلوبي.

هوامش الفصل الثاني

(1) النقد البنيوي والنص الروائي، محمد سويرتي 22/1.

(2) الخطاب الديني، رؤية نقدية، د. نصر حامد ابو زيد/13.

(3) المصدر السابق/13، 21.

(4) شمل الكتاب التنظير والتطبيق لكننا نرى ان الجزء الخاص بالنظرية منه هو الاكثر اهمية لذا وظفناه في بحثنا لهذا الموضوع فوضعناه مع المؤلفات التنظيرية.

(5) الاسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الادبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1966/3.

(6) المصدر السابق/3-4.

(7) صدرت الطبعة الاولى منه عام 1977 عن الدار العربية للكتاب في تونس.

(8) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/5.

(9) المصدر السابق/6.

(10) المصدر السابق/6.

(11) المصدر السابق/138.

(12) المصدر السابق/6.

(13) المصدر السابق/7.

(14) المصدر السابق/17، 18.

(15) المصدر السابق/18.

(16) المصدر السابق/18.

(17) ويعني بـ(الاصولي) البعد الفلسفي للمعرفة.

(18) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/18-19.

(19) المصدر السابق/19.

(20) المصدر السابق/26، 27.

(21) المصدر السابق/17.

(22) ويعني بذلك تولد المناهج الوصفية والنقدية بعضها من الاخر بحكم سنة التطور. ينظر: المصدر السابق/138.

(23) الأسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/18.

(24) المصدر السابق/206.

(25) علم الاسلوب مبادئه واجراءاته، د. صلاح فضل/3.

(26) المصدر السابق/3.

(27) المصدر السابق/3.

(28) المصدر السابق/3، 4.

(29) المصدر السابق/5.

[30] صدرت الطبعة الاولى منه عام 1980 عن دار البحوث العلمية، الكويت، وطبع سنة 1981 في مطبعة حسان في القاهرة.
[31] الاسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح/8.
[32] المصدر السابق /8-9.
[33] المصدر السابق/9.
[34] جعل (المسدي) هذا المصطلح ترجمة لعبارة (Rapport binaire de complementaire). ينظر الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/144.
[35] مدخل إلى علم الاسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية، ط2، 1982/7.
[36] المصدر السابق/7.
[37] المصدر السابق/8.
[38] دليل الدراسات الاسلوبية، د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،1984/7، 8.
[39] المصدر السابق/7.
[40] البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات ادبية، 1984/3.
[41] المصدر السابق/3.
[42] المصدر السابق/5.
[43] المصدر السابق/6.
[44] المصدر السابق /8.
[45] المصدر السابق/6.
[46] المصدر السابق/8.
[47] اللغة والابداع مبادئ علم الاسلوب العربي، شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1988/5.
[48] المصدر السابق /5.
[49] المصدر السابق/5.
[50] المصدر السابق/5.
[51] المصدر السابق/6.
[52] المصدر السابق/6.
[53] المصدر السابق/6.
[54] المصدر السابق/6.
[55] المصدر السابق/6.
[56] المصدر السابق/6.
[57] المصدر السابق/7.
[58] المصدر السابق/8.
[59] المصدر السابق/9.
[60] المصدر السابق/6.
[61] المصدر السابق/6.

(62) النقد والاسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1989/5.
(63) المصدر السابق/5.
(64) المصدر السابق/6.
(65) المصدر السابق/6.
(66) الفصل الاول من بحثنا هذا فيه تعريف بهذا المصطلح/27، 28 وما بعدها.
(67) اسلوبية الرواية مدخل نظري، دار النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط1، 1989/6 والافصح ان يقال: نقـــداً بلاغياً للرواية الحديثة او اسلوبياً.
(68) المصدر السابق/6.
(69) المصدر السابق/6.
(70) المصدر السابق/5. والافصح ان يقال: اشراقة العبارة نفسها.
(71) المصدر السابق/5.
(72) المصدر السابق/6-7.
(73) المصدر السابق/6.
(74) المصدر السابق/6-7.
(75) المصدر السابق/5.
(76) المصدر السابق/7.
(77) المصدر السابق/8.
(78) افدنا في استخلاص هذا العرض من مقدمته للموضوع الاول في كتابه هذا وقد وضعه ضمن الفصـــل الاول منه تحت عنوان (أسلوب الرواية) وهي المرة الاولى التي تصادفنا مثل هذه المقدمة التنظيرية التي تعد تكميـــلاً للخطاب الافتتاحي في المقدمة التمهيدية، اسلوبية الرواية، حميد لحمداني/9.
(79) اسلوبية الرواية، حميد لحمداني/5.
(80) مقالات في الاسلوبية دراسة، منذر عياشي/12.
(81) المصدر السابق/12.
(82) المصدر السابق/20.
(83) المصدر السابق/24.
(84) في النص الادبي دراسة اسلوبية احصائية، د. سعد مصلوح، النـــادي الادبي، جـــدة، ط1، 1993، عـــين للدراسات/7.
(85) المصدر السابق/8
(86) المصدر السابق/8.
(87) المصدر السابق/7.
(88) المصدر السابق/7.
(89) المصدر السابق/7
(90) المصدر السابق/8.
(91) المصدر السابق/8.
(92) المصدر السابق/8-9.
(93) المصدر السابق/9.

(94) المصدر السابق/9. وكان الاصح ان يضع (واو) العطف بين اجزاء النص المتضايفة بالعطف.

(95) المصدر السابق/9.

(96) المصدر السابق/9.

(97) المصدر السابق/9.

(98) المصدر السابق/9.

(99) المصدر السابق/9.

(100) المصدر السابق/9.

(101) المصدر السابق/9.

(102) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسيمة، تونس، ط1، 1981/9.

(103) المصدر السابق/9.

(104) المصدر السابق/9.

(105) المصدر السابق/11.

(106) المصدر السابق/11.

(107) معايير تحليل الاسلوب، ريفاتير، ترجمة حميد لحمداني/75-76.

(108) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي/18.

(109) المصدر السابق/10.

(110) المصدر السابق/11.

(111) المصدر السابق/9.

(112) المصدر السابق/10.

(113) المصدر السابق/12.

(114) الضرورة الشعرية، السيد ابراهيم محمد، دار الاندلس، بيروت، ط3، 1983/7.

(115) المصدر السابق/7.

(116) المصدر السابق/8.

(117) المصدر السابق/8.

(118) المصدر السابق/8.

(119) المصدر السابق/10.

(120) المصدر السابق/10.

(121) المصدر السابق/10.

(122) المصدر السابق/10.

(123) صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الأسلوب في كتاب البخلاء، احمد بن محمد بن امبيريك، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986/7-8.

(124) المصدر السابق/9.

(125) المصدر السابق/10.

(126) المصدر السابق/10.

(127) المصدر السابق/10.

(128) المصدر السابق/10.

(129) البنيات الاسلوبية، مطابع رواي، الاسكندرية، ط1، 1987/14.

(130) المصدر السابق/9.
(131) المصدر السابق/9.
(132) المصدر السابق/9.
(133) المصدر السابق/14.
(134) المصدر السابق/10.
(135) المصدر السابق/10.
(136) المصدر السابق/17.
(137) المصدر السابق/17.
(138) المصدر السابق/17.
(139) اساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، دار الاداب، بيروت، ط1، 1995/7.
(140) المصدر السابق/7.
(141) المصدر السابق/7.
(142) المصدر السابق/7.
(143) المصدر السابق/7.
(144) المصدر السابق/7.
(145) المصدر السابق/8.
(146) المصدر السابق/8.
(147) المصدر السابق/8.
(148) المصدر السابق/7.
(149) المصدر السابق/7.
(150) المصدر السابق/7. ويُنظر الفصل الاول من بحثنا الحالي.
(151) اساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل/7.
(152) المصدر السابق/7.
(153) المصدر السابق/7.
(154) المصدر السابق/7.
(155) المصدر السابق/7.
(156) المصدر السابق/8.
(157) المصدر السابق/8.
(158) ونعني بالنقد النصي ذلك الذي يلتزم بحدود النص ويهتم به، في ذاته، دونما سواه مما حوله في البحث والدراسة.
(159) قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995/7.
(160) مقدمة في النظرية الادبية، تيري ايغلتن، ترجمة إبراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992/74-75.
(161) قراءات اسلوبية، محمد عبد المطلب/7.
(162) قدمنا الحديث عنها وكشفنا اشتباكها واضطراب مفهومها بين النقاد، في الفصل الاول من البحث.
(163) قراءات اسلوبية، محمد عبد المطلب/7.
(164) المصدر السابق/7.

(165) المصدر السابق/7.
(166) المصدر السابق/7.
(167) المصدر السابق/7.
(168) المصدر السابق/7.
(169) المصدر السابق/8.
(170) المصدر السابق/9.
(171) المصدر السابق/9.
(172) المصدر السابق/9.
(173) المصدر السابق/9.
(174) المصدر السابق/9.
(175) المصدر السابق/7.
(176) المصدر السابق/7.
(177) اسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي مهدي، أرشد علي محمد، دار الشؤون الثقافية، بغـداد، 1999/7.
(178) المصدر السابق/8.
(179) المصدر السابق/8.
(180) المصدر السابق/7.
(181) المصدر السابق/8.
(182) المصدر السابق/8.
(183) المصدر السابق/7.
(184) المصدر السابق /8.
(185) المصدر السابق/8.

الفصل الثالث

المعرفة الأسلوبية

بين التأسيس والممارسة

مقدمة

المعرفة الأسلوبية

تتوجه الدراسة في هذه الصفحات إلى رصد العلاقة بين النظرية، في مرحلة التأسيس، والممارسة، في التطبيق الإجرائي، ضمن بنية البحث الأسلوبي العربي المعاصر.

وتشمل المعرفة الأسلوبية كل ما يتوجب على الباحث الأسلوبي معرفته فيما يخص النظرية وإقامة منهجها في البحث بنوعيه التنظيري والتطبيقي، إذ لا يمكن للباحث ان يخوض في مجال التطبيق دونما إلمام منه بمفردات منهجه ودواعي تحضيره فمن الضرورة له أن يعتمد مقولة تنظيرية سبقته في مرحلة التأسيس او تصاحبه في أثناء الممارسة بهدف التوثيق المعرفي خلال الاجراء، فضلاً عن ضرورة إلمامه (المعرفي) بالعلوم المجاورة التي تيسر له أداة البحث وتعينه على تحديد رؤيته بحيث يستطيع رسم الحدود الفاصلة بين الخضوع للمنهج او الخروج عنه.

ويأتي الاهتمام بدراسة مضمون تلك العلاقة من الاعتقاد بفائدة تلك الدراسة في التعريف بالرؤية المنهجية التي ينطلق منها الباحثون الاسلوبيون العرب في أعمالهم، ضمن إطار الموضوعية التي يرمي بحثنا هذا إلى التحلي بها، وهكذا كانت المحاولة فيه تقوم على عرض أسئلة فكرية هي بحاجة إلى من يجيب عنها ولاسيما انها مرتبطة بموضوعات المعرفة الأسلوبية لتخدم المتخصص في متابعة الحداثة النقدية، فضلاً عن المهتمين من غير المتخصصين ممن يدخلون في مجال دراسة الادب بشكل من الأشكال، وذلك عن طريق كشف مواقف الأسلوبيين العرب من النظرية الأسلوبية وآرائهم فيها وعرض بعض مفردات بنية خطابها.

المبحث الأول

بنية المعرفة الأسلوبية في الخطاب النقدي العربي

يلاحظ الدارس المتتبع أن المعرفة الأسلوبية في الخطـــاب النقـــدي العـــربي المعاصر، تزامنية النشأة تراكمية التأليف بحيث لا يعثر الدارس فيـــها علـــى خـــط تكويني يفيد بلورة صورة علم الاسلوب تطورياً.

فكل الاسلوبيين العرب يعرّفون بها (أي الاسلوبية) بوصفها شيئاً جديـــداً، وان خطاباتهم الاسلوبية في معظمها لا تستند بإنتاجها إلى تمثّل صريح لما سـبقها في النشأة، فهي لا تحتوي على أي تصريح بالإفادة مما سبقها.

ويمكن التحقق من صحة هذا الوصف في واقع البحث إذا ما استشـهدنا (أو مثّلنا) بالكتب المشهورة في هذا المجال وهو ما يسهل علينـــا النفـــاذ إلى القـــول باختلافها في (المصطلح) وفي مفهوم النظرية الاسلوبية، وتعريفـــها، وتبـــاين آراء مؤلفيها في دواعي اقامة آلة البحث الأسلوبي، فضلاً عن تكرارها لخطاب التجذيـر في مقابل بيان حداثة الأسلوبية في العربية واثبات أصولها في الموروث البلاغي.

ولنتخذ طريقة (معكوسة) فنتوخى الكشف عن هذه المدركـــات بشـــكل تنازلي مع سلّم المعرفة وليس العكس فيكون العامل الزماني هو المعيار في بيان إغفال السبق في المنتج العربي.

ونبدأ بكتاب الدكتور منذر عياشي (مقالات في الأسلوبية) ففيـــه تتضـــح مسألة الإغفال المشار إليها على الرغم من اعتماده، غير الصريح والنـــاقص، عـــل كتاب الدّكتور عبد السلام المسدي (الأسلوبية والأسلوب).

فهو يبدأ كتابه هذا (مقالات) المنشور في سنة (1999م) بتعريف للأســلوبية وكأنه يعرف بها أوّل مرة فيخلص إلى معنى القول: هي علم يدرس نظـــام اللغـــة ضمن نظام الخطاب، وهي أيضاً علم يدرس الخطاب موزعاً علـــى مبـــدأ هويـــة الاجناس[1]، وما إلى ذلك ويتبنى في التعريف بها، ونقل محتواها إلى العربية، مقولات النقاد الغربيين، فيحمل ثقل ترجمتها إلى العربية على عاتقه وكأنه يترجمها، او يبتكر

ترجمتها إلى العربية أوّل مرة ومثال ذلك قوله: "جاء في الموسوعة الفرنسية انه يمكن استخلاص معنيين لكلمة أسلوب ووظيفتين..."[2]، وبعد ذلك ينقل عنها نقلاً مباشراً إذ يقول: "وتقول الموسوعة- أيضاً..."، ثم يعدد مجموعة تعريفات للباحثين الغربيين فيها مثل: (بالي وبيفون وغيرهما) وإن عمله هذا (فيما يخص المصطلح) يشمل الأسلوبية وموضوعها (الذي هو الأسلوب) على حد سواء[3].

ولا يقتصر ذلك على (المصطلح) فحسب بل يشمل المفاهيم الخاصة بالأسلوبية في محور النقد الأدبي، فهناك اتجاهات الدراسة الأسلوبية، وموقف الاسلوبية من لغة النص وغيرها.

وننتقل إلى كتاب الدكتور (صلاح فضل) في خطوة ارتدادية للبحث، فنجده يبدأ كتابه بمتابعة النشأة الأولى للأسلوبية في الغرب، فضلاً عن متابعة تطور النقد الأدبي هناك على وفق تطور فلسفة الفكر الاجتماعي.

ومن خلال عمله ذلك يخلص إلى التعريف باتجاهات البحث الأسلوبي بحسب توجهات مبتكريها ومدارسهم[4]، ويبدأ بتعريف الأسلوب في اللغة ثم يستعرض آراء النقاد الغربيين في نشأته.

ويعطي في خطابه أهمية لمسألة عقد الصلة بين علم الأسلوب وعلم اللغة، فيعرض لنظرية الاتصال التي أقام دعائمها (ياكبسون) بإفادته من أبحاث (دي سوسير) في اللغة؛ ويحدد موقف الأسلوبية من النص الأدبي بموجبها[5].

ونأتي إلى كتاب الدكتور (محمد عبد المطلب) الذي يمثل فيه التيار السلفي المتجدد، كما ألمحنا في الفصل السابق وقد نشره عام 1984 فنجده يأتي فيه على موضوع الأسلوبية في دراسة الأدب وكأنه يعيد ما انتج فيها بالعربية من قبله.

فبعد ان يفرغ من التجذير لها في علوم البلاغة العربية الإسلامية يأتي في الفصل اللاحق ليترجم لتاريخ نشأتها الغربية ابتداءً من (جارلزبالي)[6].

ويسعى إلى إثبات وجود علم الأسلوب في اللغتين الإنكليزية والفرنسية ويحقق التعريف بماهية الأسلوبية التي ينقلها عنهما[7].

في حين يختط الدكتور (سعد مصلوح) لنفسه انموجاً في العمل إذ يوجه اهتمامه إلى اختيار المنهج وليس التعريف بالاسلوبية بشكلها العام، وآية ذلك تَوَخّيه معرفة ماهية الحداثة في النقد في مثل قوله: "من ثم فان المذهب الشكلي في النقد يكاد يكون في رأينا اقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم"[8].

وهو يبتعد عن التراكم غير المبرمج في المعرفة الاسلوبية إذ يتخذ له برنامجاً في التعريف بدقائق مفردات واحد من من مناهجها من غير تشعب ليحافظ على عمله من الضياع في التنوع المفرط.

لكنه في مقابل ذلك لا يسلم من الحكم بالتبعية فهو يتبنى المعرفة المنقولة عن الآخر (الغربي) في عمق ثقافته فلو أننا تابعنا إكمال نصه السابق لوجدناه يقول: "ولقد استمد هذا المذهب فلسفته النظرية من الوضعية المنطقية وعبر عن نفسه اوضح تعبير في مؤلفات الناقد الشهير (ايفور ارمسترونج ريتشارد) ولما كان فلاسفة الوضعية المنطقية يعتبرون اللغة كلها رمزاً كما يعرفون الانسان..."[9].

وبخصوص التعريف بالمصطلح المبتكر مع الأسلوبية نجده في دراسة الادب ووصف النص الادبي "هي الوقوف في وجه طوفان المصطلحات الذي تهدر به الدراسات الادبية المتداولة. وأنا من المؤمنين باستحالة إضفاء الصفة العلمية على أي دراسة لا تستعمل مصطلحات محددة المدلول.

وأن المصطلح هو عقد اتفاق بين الكاتب والقارئ وشفرة مشتركة بتمكننا منها نتمكن من اقامة اتصال بينهما لا يكتنفه غموض او لبس. ولعل فوضى المصطلح هي الداء العضال الذي يهدد دراسة الادب. وإذا شئنا تحديد أعراض هذا الداء قلنا انها تتمثل في عدم التحديد الواضح للتصور الذي يرمز إليه المصطلح وعدم اطراد استخدامه بمفهوم واحد بين الدارسين بل احياناً لدى الدارس الواح. اضف إلى ذلك ان السمة الذاتية في نحت المصطلح امر غالب"[10].

وهو باختياره لانموذج العمل المميز في البحث الاسلوبي وتبنيه المباشر لمقولات الاسلوبية في الغرب يكون قد ابتدع سنة في الخطاب النقدي العربي المعاصر وله فضل السبق في ذلك ويتأكد وصفنا له الذي اشرنا اليه كذلك في كتابه

الاخر (في النص الادبي) فهو لم يخرج عن اطار تبني المنهج الاسلوبي في البحث النظري عن الاسلوبية والتطبيق الاجرائي في دراسة الاسلوب، وهو ينطلق في تحقيق خطابه من اللسانيات ليؤكد انتماء الاسلوبية إليها[11].

وكذلك بحثه في ماهية الاسلوب من المنظور الاحصائي[12].

اما كتاب الدكتور عبد السلام المسدي (**الاسلوبية والاسلوب**) وهو الذي نعده جذراً مهماً للأسلوبية بمفهومها الحالي في اللغة العربية فلا يخفى على الباحث تبنيه التام لاراء الغربيين المتخصصين في البحث الاسلوبي، وهو ينقل منتجهم من واقع الترجمة إلى واقع الخطاب المشاع (في الاختصاص) وكأنه يصدر عن مقولة عالمية في الفكر الإنساني. فكتابه هذا الذي صدر في سنة (1977م) في طبعته الاولى تضمن معظم معطيات النظرية الاسلوبية واطارها الفكري في النقد الحديث متتبعاً نشأتها وتطورها وملزمها المعرفي عن البلاغة واللسانيات والنقد الحديث، فضلاً عن ايضاح اهمية البحث الاسلوبي ومدركاته العلمية في التعريف بالمفاهيم والمصطلحات التي تخضع لترسيمته العلمية[13].

ولا نريد بكلامنا هذا على تراكمية المعرفة في حقل الأسلوبية بالعربية انتقاصاً من شأن نتاج مبدعيها فواقع المعرفة العربية المعاصرة فرض جزءاً كبيراً من طبيعة العقل العربي المبدع في عصره الحالي عليها وان ذلك النتاج التراكمي على الرغم من اصابته بدا التكرار غير المنظم في بنية الخطاب قد افاد في التعريف بالاسلوبية اذ وفر لها طرقاً متنوعة في العرض وتلون في المعالجة بحيث اصبحت المزايا والفضائل تغطي ما يتعرض له النتاج الكلي من هنات وضعف مما يمكن ان يقع فيه منتج مبني على الاستيراد في تأسيس حداثته كما هي حال الأسلوبية عندنا.

المبحث الثاني

الأسلوبية ودراسة الأدب

1- منهج البحث الأسلوبي والنظرية الأدبية

إن التحول في البحث الادبي نحو اقامة كيان له منظم في المعرفة، والتوجه إلى بحث البنى والمعايير والوظائف التي تضم القيم النقدية الخاصة بالادب، كالجدة والموضوعية أو غيرهما، والسعي إلى ان تصبح تلك البنى هي القيم ذاتها التي يخوض فيها دارس الادب[14]، قد مثل نقطة التحول في المعرفة الأدبية المعاصرة في وضعها التطوري الحضاري.

فاذا كانت النظرية الادبية في بعض تعريفاتها تعني دراسة مبادئ الادب واصنافه ومعاييره، بحيث تنفصل عن النقد بشكل او بآخر[15]، في حالة اقتصار اهتمامه على الاعمال الادبية في ذاتها متوجهاً إلى تفسيرها او متابعة قيمها التقديرية في الحكم على وفق ميزان الجودة، فانها (أي النظرية الأدبية) قد أصبحت اليوم جزءاً من النقد، او البحث المقصود والتخصصي في الأدب لانه اصبح يهدف إلى أدراك المعرفة الفكرية المنظمة في الأدب[16].

ذلك فضلاً عن ان سؤال التعريف الذي مضمونه: ما الأدب؟ وقد تحول في ذاته إلى قائمة من الاسئلة عن (الماهية)، فذلك السؤال يخضع عبر مسيرته الزمنية لأيديولوجيا المعرفة الانسانية التي توجه مضمونه، بمعنى ان تعريف الأدب يكون متنوعاً بحسب تنوع المنطلق الذي يعتمده الدارس، أو الباحث المتخصص بدراسته، اذ ان العنصر الرئيس الذي يتوخاه يكون مختلفاً من حالة إلى اخرى في التعريف، وهو ما يتوزع بين أركان ثلاثة رئيسة هي: الفن والجمال والحقيقة والخيال، لذلك فان تعريفه يختلف في الواقعية عنه في الرومانسية او الشكلية او الستالينية والى آخره.

لذلك لا يمكن التسليم بتعريف محدد للأدب بمفهومه الشائع وهو انه مجموعة أعمال ثابتة ومؤكدة القيمة ومتميزة بسمات اساسية مشتركة، فهذا التعريف ليس له وجود، اذ ان "تعريف الادب على انه كتابة ذات قيمة عالية يقود إلى اعتباره

كينونة غير ثابتة"[17] والسبب في ذلك "هو كون القيـــم متغــيرة"[18]، فالقيمـــة اصطلاح متحول وهي تعني: كل ما يصدر من احكام قيمية (أو قيم) عن انـــاس معنيين في مواقف محددة على وفق مواصفات محددة وفي ضوء اغراض معلومة[19].

فالتكوّن "الخفي جداً للقيم الذي تستند اليه افتراضاتنا هو جزء مما يســـمى بـــ(الإيديولوجيا)"[20]، ونعني بالايديولوجيا الطرق التي ترتبط بها اقوالنا ومعتقداتنا ببناء قوى المجتمع الذي نعيش فيه وعلاقاته فالأدب اليوم في (انكلترا) مثلاً يحدد بانه الكتابة الخلاقة أو التصويرية وهو ما يعني استبعاد نوايا المؤلف، أو المشـــاعر الـــتي استخلصها القارئ منها، فالمعنى عام وموضوعي وهو موجود في لغة النـــص الادبي نفسه[21].

وقد يعمم ذلك المثال اذا ما بحثنا في التوجهات البنيوية (التركيبية) إذ كـانت هناك حاجة إلى نظرية ادبية تحافظ على توجهها الجديد نحو الشكلية، مع اهتمامـها العنيد بالادب على انه موضوع جمالي بدلاً من كونه ممارسة اجتماعية، بحيث يؤدي ذلك إلى نظام يتصف بالعلمية، وهو ما يتوافق والنظرة الحديثة للأدب، فهو بحسب قول الناقد الكندي (نورثرب فراي): يكون نظاماً موضوعياً وليس مجرد كتابـــات اعتباطية منشورة عبر التاريخ، فهو يعمل ضمن قوانين موضوعية معينـــة، والنقـــد نفسه يصبح منظماً في صياغته له[22]، ويحدو بنا ذلك إلى مقولة (التركيبية) الـــتي تحتوي نظرية قوامها الاعتقاد بان الوحدات الفردية لأي نظام تستمد معناها مـــن علاقاتها ببعضها[23]، وإن الجامع بين التحليل الادبي في التركيبية والشكلية هو إهمال المحتوى الحقيقي للنص والتركيز كلياً على الشكل فالمهم هو الحفاظ علـــى بقـــاء تركيب العلاقات بين الوحدات، فالادب (والشعر خصوصـــاً) بحســـب قـــول (ياكبسون) يتكون قبل كل شيء من وضع اللغة في نوع معين من العلاقات الواعية ذاتياً مع نفسها، ويكون التركيز على الوظيفة الشعرية في حالة النص الادبي[24].

وهكذا نشأت مقولة الحداثة في المنظور النقدي المعاصر إذ انطلقت من شعار اللسانيات والبنيوية والتحليل النفسي. وقد عمل النقد الموضوعي علـــى صـــون استقلاليته تجاهها منذ الخمسينات[25] على ان ظهور النقد النصي الذي اشرنا اليـــه في فصلنا الاول من هذا البحث لم يكن بعيداً في ارتباطه عن تطور علوم اخـــرى وهي:

- علم السلالة الادبية الذي ابتدعه الشكلانيون الروس.
- اللسانيات، وقد وضعت في قلب مفهوم الادبية .

وإن الدراسات النصية قد تطورت على يد لسانيين ثلاثة هم كل من:

أ- (**دي سوسير**) الذي عَدّ النص بنية مستقلة بذاتها ضمن جنسها، وقال بنظرية (البحث الدلالي، او الدليل) التي هي اساس الابحاث فيه، فضلاً عن وضعه أسس هذه النظرية المؤدية إلى ما سمي مؤخراً بـ(السيميولوجيا) على الرغم من عدم تطرفه في الانحياز إلى الادب.

ب- (**ياكبسون**) الذي درس في (الفونولوجيا)[*] وفتح باب البحث في الشعرية.

ج- (**بنفنست**) وقد اهتم بمسألة التخاطب ومسألة الانواع الادبية.

وهؤلاء هم رواد المنظور البنيوي في نقد الادب. وقد حدد (ليفي شتراوس) غرض البنيوية: وهو دراسة كل ما يتسم بطابع النظام[26].

ومما لا ريب فيه فان الخطوة الاولى في تحديث النقد قد جاءت في التحول الذي أحدثه الشكلانيون الروس، في النظرية الادبية والعمل النقدي معاً، وهو ما كان في اطار التمرد ضد النقد الايديولوجي السائد من حولهم، وضد فكرة (الشكل) بوصفه اناءاً يصاغ فيه المحتوى الجاهز فأكدوا الوحدة بين الشكل والمضمون و لم يقتصروا على ذلك بل قدموا ثنائية جديدة قوامها المقابلة بين العناصر غير الاستيطيقية التي تقع خارج اطار الفن وبين مجموع الوسائل الفنية. ولذا عدت الوسيلة بالنسبة اليهم هي الموضوع الذي يصح ان يكون موضوعاً للدراسة الادبية، مما ادى إلى الاستعاضة عن (الشكل) بمفهوم ميكانيكي يمثل مجموعات من العلاقات متشابكة الأجزاء متباينة النسب. وفي تحليل الادب اعتمدوا في عملهم نتائج اللغويات المعاصرة، وكانوا وضعيين يسعون إلى مثال من البحث الادبي يكون علمي الطابع، وعلى الرغم من دقة وسائلهم فانهم عادوا في تحديد مفهومهم الخاص للشكل، بما يجعله قوام مجموع العلاقات القائمة بين العناصر، إلى الشكلية البلاغية.

وكانت الخطوة التالية في التحديث عندما صدّر منتجهم المعرفي هذا إلى حلقة براغ ذات التوجه البنيوي، اذ كانت الدعوة هناك إلى الاعتداد بكلية العمل الادبي (الفني) وابعاد ما يثقله من الإيحاءات الخارجية، فاصبح الشكل مصوراً لعالم من المواضيع[27].

وهكذا كانت حداثة النقد على مستويي الوسيلة (أي المسالك التي يتوسل بها النتيجة) والغاية وهي التوصل إلى نتيجة على وفق مقياس القيم.

إذ ان إشكالية القيم لا تنفك "تتراوح بين ضابط الوسيلة ومقياس النتيجة، ولا ينفك ارسال الحكم، في شأن وظيفة المعرفة عند عتبة كل علم، قائماً على المستند المعياري في ثنائيته تلك، ومعلوم ان العمل الاجرائي في حقل المعارف يختص عادة بأحد قطبي القيمة: معيار المسالك او معيار النتائج"[28]، اما الناقد فهو محاسب عليهما معاً. فالنقد مرتهن على صعيد فلسفة القيم ببعدي الوسيلة والغاية معاً لان طبيعة الفعل النقدي تستوجب التدرج الجدلي في الحركات الثلاث الآتية:

- الابتداء من (الكشف).
- الانتقال إلى (التشخيص).
- التحول إلى (المعالجة). لتتكامل هوية النقد.

ولذلك ثبتت حداثة النقد من خلال تجدد نظامه المفهومي (أي المضمون) وهو تجديد لجهازه المعرفي الذي يباشر به النص الادبي كما لو ان السابقين لم يباشروه به. فضلاً عن استحداثه للمنهج الذي يتناول به النص، فإن حداثة المضمون تتبعها حداثة آليات التنفيذ وهي الدليل على الحداثة في النقد. وان سلم تلك الحداثة في المضمون النقدي ينطلق "من استحداث مقولات الاستكشاف عند تحديد موضوع المباشرة النقدية في النص الادبي ثم يمر إلى استنباط قوالب الوصف واجهزة التشخيص بغية رسم معالم الخطاب الادبي وبعد ذلك ينتهي السلم إلى ابتكار ادوات المراوحة بين التحليل والتأليف حتى يتسنى اجراؤهما على بنية النص بفك انتظامه الظاهري ثم اعادة بنائه طبقاً لعناصر الجهاز النقدي المبتكر"[29].

ولا تخرج حداثة المنهج الاسلوبي في معالجته لواقع ادبية النص، او شعريته، عن مجال هذا العرض.

وإن فاعلية جهازه المضموني تأتي من انطلاقه من الجانب اللغوي في دراسة الخطاب الادبي واعتماده في الوقت ذاته مقولة البنية، في تفحص هياكل النصوص الابداعية، غير منفصل عن المنتج البلاغي في استحضار اليات العرض والمعالجة. وقد قدمنا لهذا في الفصل الاول وهو ما سنفيد منه في فحص بنية الخطاب الاسلوبي النقدي العربي في مبحثنا الحالي. ونقتصر على الفحص المنهجي الآتي:

- في المتابعة الاجرائية مع كتاب الدكتور (عبد السلام المسدي) نزداد اصراراً على التأكيد ان منطلق الاسلوبية الادبية هو دراسة شعرية النص، او ادبيته، على وفق منظور التجذير الجدلي في البحث الذي اعد منذ النصف الاول من القرن العشرين لبناء اصولية المناهج جميعاً، بمنهجيات العلوم العامة اذ يقرر كل من (أوستن وايرن ورينيه ويليك) في كتابهما نظرية الادب ان للدراسات الأدبية مناهجها النوعية، وهي مناهج موفقة فان هي لم تطابق غالباً مناهج علوم الطبيعة فانها لا تقل عنها عقلانية، كما ينقل (المسدي)[30].

وهكذا يتضح للدكتور المسدي ان التفكير الاصولي في علم الأسلوب قد بنى محاوره على منطلقات مبدئية يمكن استنطاقها لمعرفة ذلك التفكير فضلاً عن معرفة الحدود العامة للاسلوبية من خلالها.

وإن اول تلك المنطلقات يتصل بالمصطلح فالأسلوبية تعرف بداهة "بالبحث عن الاسس الموضوعية لارساء علم الاسلوب"[31]، ذلك فضلاً عن ان الاسلوبية في بعض معطياتها تحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الاسلوب طالما ان جوهر الاثر الادبي لايمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الابلاغية ثم ان البحث الاسلوبي يتجه نحو الدقة المعرفية فهو يسعى إلى التخصص بالبحث في نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى صياغته. وهو ما يقصر التفكير الاسلوبي على النص في حد ذاته فيندرج ضمن قائمة البحوث البنيوية في المعرفة الادبية[32].

يتعمق (المسدي) في الكشف عن المعرفة الاسلوبية فيتسع تعريفه لها اذ يبين ذلك عن موقفه حيال الادب فيقول: "ويزدوج المنطلق التعريفي للاسلوبية في بعض المجالات الاخرى فيمتزج فيه المقياس اللساني بالبعد الادبي الفني استناداً إلى تصنيف عمودي للحدث الإبلاغي. فاذا كانت عملية الاخبار علة الحدث اللساني اساساً فإن غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الابلاغ إلى الاثارة وتأتي الاسلوبية في هذا

المقام لتتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطـــاب عـــن ســياقه الاخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية، فوجهة الاسلوبية هذه انما تكمن في تساؤل عملي ذي بعد تاسيسي يقوم مقام الفرضية الكلية: ما الذي يجعل الخطــاب الادبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية"[33].

وإن من اهم حدود الاسلوبية الفاعلة في ضبط نظريتها هو القول بأن مـــن شأن الفصل بين لغة الاثر الادبي ومضمونه ان يحول دون النفاذ إلى صميم نوعيتـــه لذلك اقترحت الاسلوبية اقامة نوعية الاثر الادبي على محور الروابط بين الصياغـــة التعبيرية والخلفية الدلالية.

وإن ذلك بحسب ما يرى الدكتور (المسدي) يجعل من الاســلوبية منـــهجاً يمكن القارىء من ادراك انتظام خصائص الاسلوب الفني ادراكاً نقدياً مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية.

فالاسلوبية بهذه المنطلقات تكون بهيئة علم تحليلي تجريدي يرمـــي إلى ادراك الموضوعية في حقل انساني عبر منهج عقلاني يكشف عن البصمات الـــتي تجعـــل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية. او هي كما يوضح عنها (باكبسون) بحـــث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب اولاً وعن ســـائر اصنـــاف الفنون ثانياً[34].

- والمثال الاخر عن علاقة منهج البحث الاســـلوبي بنظريـــة الادب يكـــون في الاسلوبية التطبيقية وقد اخترنا كتاب االدكتور صلاح فضل (اساليب الشـــعرية المعاصرة) ليكون انموذجاً في العمل.

فقد توجه نحو كشف مضمون الاساليب الشعرية على وفق مفاهيم: التعبـــير (والتوصيل)، في مقابل التجريد مبتعداً عن معيار القيمـــة في تحديـــد دور هذيـــن العاملين في الوصف الموقعي على مختلف درجات سلم المقارنـــة الـــذي اختطـــه لنفسه[35].

فجديد الاسلوبية بحسب رأيه هذه المرة هو ابتكار جهاز نقـــدي لفحـــص الادب ودراسته يتيح للقارئ التعرف العلمي إلى الظواهر الفنية عبر تصنيف الانتاج الادبي إلى مدارات اسلوبية كبرى على وفق مواصفات معينة.

وهو جهاز مفهومي يتصف بالمرونة في تمييز العناصر اللغوية المحايدة في آليات التعبير التقني للاساليب الشعرية[36].

ومن هنا تأتي أهمية فهم المؤلف (الدكتور صلاح فضل) للادب لتثبيت المقياس النقدي في كشف الاسلوب، وهو مقياس الكثافة الشعرية الذي أقيم على معايير مهمة منها: الوحدة والتعدد في الصوت والصورة، وحركة الفواعل، ونسبة المجاز وعمليات الحذف في النص الشعري، وغيرها[37].

وهو بذلك ينطلق من فهمه للادب على انه ابداع في تقنيات الصوغ الفني المرتبط بأحد متغيرات المجال اللغوي البحت او الأدبي في عملية التفسير الجمالي.

ومثال ذلك ما نجده من خواص اسلوبية تقنية تتميز بها الانواع الاسلوبية التي تقع ضمن حقل الاساليب التجريدية، مثلاً بحسب تصنيفه، اذ تتسم هذه الانواع كما يقول: "بخاصية جوهرية هي تزايد العناصر اللامعقولة، المستعصية على الفهم المباشر فيها، الامر الذي يجعلها تختلف جذرياً عما كانت عليه الاساليب التعبيرية السابقة. فهناك، كان بوسعنا ان نرقب الموضوع المحوري للقصيدة وقد استقطب حوله بطريقة ملموسة شحناته العاطفية في تجلياتها التصويرية فهو الذي يضمن هيكل النص وينسج حول مختلف الدوائر التعبيرية. أما الشعر التجريدي فيتميز اساساً بتحطيم الموضوع. هذا التحطيم الذي يفضي إلى تشذره وغيبته، وربما اطلق بديلاً عنه لوناً من الاحساس المبهم، او الانفعال الخفيف الذي يبحث عما يتشيأ فيه..."[38].

فإذا ما اعتمد الاسلوب التعبيري على شعرية الحضور بأنماطه المتنوعة ودرجاته المتفاوتة فان الشعرية الجديدة في التجريد تعتمد تقنيات الإضمار فلا يفصح العنوان عن شيء ولا تفضي الاشارة إلى موضوع موحد يمثل تياراً يمسك اطراف النص بيد ان هذا الاضمار لا يصل إلى الحذف النهائي فهو ليس غيبة تامة إذ يتراوح بين مستويات عديدة ومتنوعة[39].

ونأتي على اجرائه التطبيقي مع شعر (نزار قباني) فنجد فيه تمثيلاً كاملاً للافتراض النظري الذي اقامه في مقدمة كتابه فقد صنف شعر (نزار) على وفق معياره الخاص ضمن قائمة الاسلوب الحسي في اطار (التعبيرية) وقد طبق مفردات

المنهج المطروح عليه، فبدأ بقياس درجة الانحراف في الكثافة ضمن سلم درجات الشعرية، وعن عاملي النعت والتخييل اللذين جعلهما معياراً مؤقتاً لقياس الانحراف يستنتج ان تغيير "الاوصاف وتكسير النعوت ليسا مجرد ترف تعبيري، ولا نزق لغوي لكنه مؤشر دقيق لتغير الحساسية والذوق في العصر الحديث والانتقال من مرحلة الانفصام بين الفعل الحسي والقول المثالي، إلى درجة من الوعي يتم فيها تطويع الكلمة الشعرية لتحمل مجمل ذبذبات الحياة الجديدة فتكتسب جماليات الجسد نبلاً مشروعاً وتلتئم معطيات الحس في وحدة مكتملة"[40] وإن هذا يكون بسبب موقف الشاعر المضاد للتذوق الجمالي في لغة الغَزَل في الشعر العربي، اذ كان الشاعر (القديم) يقف في منطقة الحواس البعيدة عند حدود النظر، مثلاً، في حين يغوص (نزار) في الحس والقرب باللمس من مناطق الشبق مراوحاً بين الاغراب البعيد وصيغ المدهش المعتادة[41].

2- منطلقات الأسلوبية وحداثة الخطاب النقدي: الموضوعية، الشكل، البنية

إن لهذه المقولات الثلاث، في تقديرنا، دوراً مهماً في تأسيس المحور النظري للاسلوبية وهو دور ينعكس اثره، بفعل ضرورة الانطلاق من القاعدة، على الاجراء التطبيقي فيها.

ذلك فضلاً عن دورها في التنظير النقدي الحديث عموماً، اذ انها توطد أركان علاقته بالأدب على وفق منظور الحداثة في الفكر الابداعي.

وان اشتراك تلك المقولات في امتلاك هذه النسبة من الأهمية في تأليف جزء مهم من اطار الحداثة والدقة المعرفية في النظرية الأسلوبية يجعل التمييز بين مواقعها على اساس معيار القيمة في كيان تلك النظرية غير ذي ضرورة وبما انه لا يساهم في بيان تلك الاهمية فلا ضير من تقديم إحداها على الأخرى عند بدء المعالجة.

ويسعى البحث في خطواته الراهنة إلى كشف مؤشرات العلاقة الجدلية بين الاسلوبية والنقد، تلك العلاقة التي بنى الباحث على افتراض وجودها كيان افكاره في العمل التحليلي لخطاب النقد الاسلوبي، فيعالج البحث هنا اشكالية منهجية تتعلق بالقاعدة الوصفية للنظرية الاسلوبية وفي عرضنا لتلك الاشكالية نحدد محاور البحث في عملنا الحالي، فهذه المدركات الثلاث تؤلف جزءاً من اطار العلاقة بين

النقد والاسلوبية اذا ما وصفت باها منطلقات في فرضية التأسيس النظري لكنها في الوقت ذاته تكون هيأة معايير للقيمة في النقد، ومن ضمنه الاسلوبية، في حال انعكاسها على الادب الذي هو موضوع النقد بجميع انواعه. وبشكل عام يمكننا ان نضع خطاً وهمياً فاصلاً بين حلقات تلك الثلاثية الافتراضية بوساطته نستطيع ان نفرق بينها فنجعلها في قسمين: تكون البنية والشكل في جانب اذ يمكن عدهما منطلقين في الاسلوبية فهما فرضيتان في النظرية، والموضوعية في جانب اخر فهي معيار في التقويم يسعى البحث الاسلوبي إلى التحلي به او اكتسابه اذ ان ضبط معيار القيمة في الحكم على الاسلوب يساعد في الكشف عن السبب الذي يجعل جمالية العمل الادبي (أو الاستيطيقا) المتأتية من الاستعمال الاسلوبي للغة ذات قيمة في المنظور العلمي للنقد[42].

2-1 الموضوعية:

2-1-1 إن الاسلوبية كما يراها (ويليك) نوع من الدراسة الوصفية، مثلها مثل البويطيقا (أي الجمال الفني الشعري)، تهدف إلى الملاحظة المنظمة والتصنيف وتحديد المميزات التي نجدها في الاسلوب او الوسائل اللغوية المستعملة في النص الادبي وهو مايحقق الموضوعية ويؤدي إلى تفادي إصدار الاحكام التقويمية[43].

ومن خلال ما سبق نفهم من رأي (ويليك) انه يضع مصطلح الموضوعية في مقابل المعيارية في الحكم النقدي ويجعل التصنيف وتحديد المميزات سبيلاً لادراكها. وفضلاً عن ذلك فانه يشير إلى انتماء الاسلوبية إلى حلقة الدرس اللساني وهو ما يساعد على تخليصها من المعيارية، ففي مقابل اصطلاحي (القيمة) و (الغرض الجمالي)، اللذين تميز بهما النقد في مراحله المتقدمة، يقع المنهج الاحصائي الكمي في الدراسة الاسلوبية، بوصفها منهجاً نقدياً حديثاً. وعلى الرغم من ذلك فان هناك من يعتقد بقصور المنهج الاحصائي منطلقاً من فكرة مفادها ان العلاقات الكمية لا تحدد المعنى الرئيس للعمل الادبي في كليته ولا تحدد موقعه من الأهمية في القراءة[44].

2-1-2 وفي متابعتنا لجهود النقاد العرب في الاسلوبية وجدنا ان (الموضوعية) مقولة منهجية في النظرية الاسلوبية واكثر ما ارتبطت عندهم بالمنهج الكمي الاحصائي في تحديد مفهوم الاسلوب، او تحديد الظاهرة الأسلوبية، وهي

مقابل اصطلاحي للمعيارية والذاتية، او الانطباعية، عند اغلب النقاد الاسلوبيين العرب.

كما يتبين من خلال المتابعة في النقاط الاتية:

2-1-2-1 تمثل صفة للدراسة الأسلوبية يمكن تحقيقها من خلال البعد الإحصائي.

إذ ان البعد الاحصائي في دراسة الاسلوب، كما يقول سعد مصلوح: "هو من المعايير الموضوعية الاساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الاساليب، وتمييز الفروق بينها ويكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته لان يستخدم في قياس الخصائص الاسلوبية كائناً ما كان التعريف الذي يتبناه الباحث للاسلوب...

وترجع اهمية الاحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات او الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص اسلوبية وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً"[45] وفي هذا الشأن علينا ان نتذكر ان الخاصية الأسلوبية، ومنها التكرار الذي يقوم الاحصاء بالكشف عن اهميته في تحقيق القيمة الفنية، لا يمكن تحقيق وجودها عند اغفال البنية الكلية في العمل الادبي، فالأسلوب او الخاصية الاسلوبية لا يصلح لان يكون معياراً للقيمة إلا في داخل العمل الفني وضمن بنيته الكلية[46].

2-1-2-2 إن دراسة الخواص المحددة لاسلوب النص الادبي، بحسب قول الدكتور صلاح فضل: "لا يمكن ان تتم- طبقاً لنظرية المعرفة- انطلاقاً من الشيء ذاته فحسب إذ لا يتأتى وصفه الا بالاعتماد على عمليات تجريبية مقارنة، وبالفعل تتم مقارنته، مثلاً، بثروة الدارس من التجارب التي تكونت على أساس النصوص المقروءة من قبل في نفس اللغة والعصر والجنس الادبي او تقارن بمجموعة من الافكار المسبقة عن كيفية تكوين الاسلوب الجيد لكن هذه المقارنات لا تتم عادة بطريقة واعية منتظمة في التحليل الاسلوبي ولا ينص عليها في تعريف علم الاسلوب بل تظل ماثلة فاعلة دون الاشارة اليها"[47].

فالموضوعية، في ضوء رأي الدكتور صلاح فضل توازي في المفهوم (العلمية) إذ ان مهمة العلم كما يقول: "هي صياغة مقولات وصفية صالحة ومناهج تحليل قابلة للتطبيق بشكل دقيق على عدد وفير من الموضوعات الخاصة"[48].

فمن الضروري، والحال هذه، أن تكون اجراءات التحليل الاسلوبي "خاضعة لمنهج علمي منظم قابل للاختبار والنقد وسبر مدى غوره في صدقه واصابته وضامن لأعلى نسبة من الموضوعية له"[49].

وفضلاً عن ذلك فاننا نجد الدكتور صلاح فضل كمن سبقه اذ يربط (الموضوعية) بالوصف ويقرنها بالقياس الكمي فيضع الوصف الموضوعي في مقابل الاجراء التقليدي الذي يعتمد على الذوق الشخصي في الوصف الاسلوبي. وبذلك يكون الوصف الموضوعي والقياس الكمي دليل الحداثة وعلامتها في الاجراء التحليلي الاسلوبي.

وذلك يتحقق في حالة فهمنا للأسلوب بوصفه محصلة معدلات التكرار جراء تطبيق منهج الاحصاء على وحدات النص اللغوية[50].

2-1-2-3 تكون الموضوعية صفة من صفات البحث الأسلوبي عندما يتوجه إلى إرساء أسس علم الاسلوب المعني بدراسة الادب.

ذلك لان منطلق الأسلوبية (الادبية) الأول هو دراسة شعرية النص، او ادبيته، بموجب مباحث التجذير الجدلي التي أعدت منذ بداية القرن العشرين عندما توجه الباحثون إلى بناء اصول المناهج النقدية من خلال مقارنتها، مثلها في ذلك مثل مناهج العلوم الانسانية جميعاً، بمناهج العلوم العامة وهكذا يقرر (ويليك) و (وايرن) في كتابهما نظرية الادب ان: "للدراسات الادبية مناهجها النوعية، وهي مناهج موفقة فان هي لم تطابق غالباً مناهج علوم الطبيعة فانها لا تقل عنها عقلانية"[51].

ومن الواضح للمطلع ان من منطلقات علم الاسلوب المبدئية ما يتصل بمصطلح الاسلوبية، ذاتها، فهي في البداية قد تعرف: "البحث عن الاسس الموضوعية لإرساء علم الاسلوب"[52]، تلك الأسس التي تؤدي إلى الضبط المعرفي في دراسة لغة النص الادبي، فلطالما حددت الاسلوبية في بعض معطياتها التعريفية بكونها البعد اللساني لظاهرة الاسلوب، ذلك لان جوهر الاثر الادبي لا يمكن النفاذ إليه الا عبر صياغاته الإبلاغية فعندما يتوجه البحث الاسلوبي نحو الدقة المعرفية فانه يسعى إلى التخصص بالبحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول

محتوى صياغته. وهو ما يعني قصر التفكير الاسلوبي على النص في حد ذاته فيندرج بذلك ضمن قائمة المناهج البنيوية التي تتوجه إلى الضبط المعرفي[53].

فعندما يتوجه البحث الاسلوبي إلى تحديد الاسلوب الفردي تكون الموضوعية مرحلة متقدمة في سلم الوصول إلى غايات الاسلوبية وسعيها إلى ابراز مقومات الاسلوب ومحاولة تحديد مفهومه، فهي تعني عقلنة المعطى الفني وذلك يعني، في ضوء رأي الدكتور (المسدي): تجاوز الانطباعية الذاتية في التحري عن اثر الاسلوب في المتلقي[54].

2-1-2-4 يعالج الدكتور (منذر عياشي) مسألة الموضوعية من جانب اخر، فيعرض اشكالية دراستها في البحث الاسلوبي بوجه عام اذ يكون السؤال المحوري في عمله النقدي هو: اين نبحث عن الموضوعية في الاجراء الاسلوبي؟، في النص أو في القارئ ؟ فهو عندما يعالج مسألة موقف الاسلوبية من الخطاب نجده يتخذ رأي (ميشال ريفاتير)، في قوله: "أن القارئ يجلي الاسلوب بفعل الاثر الذي يتركه فيه فتكون افضل مقاربة للاسلوب، في رأيه، هي المتأتية عن طريق القارئ"[55].

ثم يورد تعليق الدكتور (المسدي) على موقف (ريفاتير): فيتخذه مخرجاً له في هذه المسألة، ذلك حين يقول (المسدي): "ويفضي هذا التقدير بريفاتير إلى اعتبار ان البحث الموضوعي يقتضي الا ينطلق المحلل من النص مباشرة، وانما ينطلق من الاحكام التي يبديها القارئ حوله"[56].

2-1-2-5 يأتي مصطلح (الموضوعية) ومفهومها مرادفين لمصطلح (العلمية) عند الدكتور (جوزيف ميشال شريم)[57] على نحو من سبقوه وبحسب رأيه يجب على الباحث اختيار وجهة نظر ملائمة وعليه ان يوفر بعض المتطلبات المنهجية.

ووجهة النظر الملائمة، عنده، هي الاخذ بمقولة القارئ وردة الفعل الذاتية، اما المتطلبات المنهجية فتشمل الاتي: التحليل التركيبي النحوي للنص، والحسابات الاحصائية، والمقارنة، والتحلي بالفرادة في استخدام المصطلح، والطرافة او التجديد ومخالفة المألوف وغيرها[58].

ويقرن، كذلك، الموضوعية في الدرس الاسلوبي بمنهج الاحصاء الكمي ويتحدث عن فضل ذلك المنهج وخواصه وضعفه في تحقيق النتائج[59].

2-1-2-6 نجد ان من الباحثين من يجعل (الموضوعية) جزءاً من تعريف الأسلوبية بوصفها منهجاً يدرس الخطاب الادبي على وفق منظور علمي تخصصي. فالأسلوبية، كما يقول الدكتور فتح الله احمد سليمان: "علم وصفي يعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميز النص الادبي بطريقة التحليل الموضوعي للاثر الادبي الذي تتمحور حوله الدراسة الاسلوبية"[60].

فتكون (الموضوعية) في ضوء رايه، صفة في الاسلوبية وذلك عند مقابلة الاخيرة بالنقد بصورته الشمولية العامة. اذ ان الاسلوبية بحسب تصوره، تعنى أساساً بالكيان اللغوي للاثر الادبي ولا تتجاوزه إلى غيره. ولذلك فهي تبتعد عن الذاتية والانطباعية التي يمكن ان توصف بها مناهج النقد المتنوعة.

ويتعامل الاسلوبي مع اللغة بطريقة تجعله يبتعد عن الاثر النفسي والانحياز إلى جانب معين سوى لغة النص[61].

وهذا المفهوم للاسلوبية، بحسب ما نرى، يتحقق عندما يكون الباحث متوجهاً إلى دراسة أسلوبية اللغة (عموم اللغة) او ما يسمى بالأسلوبية التعبيرية ويكون قليل الاثر في حالة الاسلوبية الفردية (أو الادبية)، اذ ان هناك من يقترح ادخال الاثر الذي يتركه النص في المتلقي في محور عمل المحلل الأسلوبي في الحال الاخيرة.

2-1-2-7 في كتابه **اسلوبية الرواية** يقول الباحث حميد لحمداني عن الموضوعية التي يوفرها الاحصاء الاسلوبي: أن "الناقد المتمرس بامكانه ان يكتشف عن طريق الحدس اختيار المبدع الا ان عمل الناقد في هذه الحالة سوف يكون ذاتياً، ولن يتحول إلى تحليل موضوعي مقنع بالنسبة للقراء الا بمساعدة الاستقراء الاسلوبي الاحصائي الذي يجسد بالمعاينة نتائج التحليل"[62].

وهو ما نستشرف منه رأيه الذي نلخصه بمقارنته باراء الباحثين قبله اذ انه يقرن الموضوعية بالاحصاء الكمي.

2-1-3 وفي البحوث التطبيقية ذات الإجراءات التحليلية في الأسلوبية نجد الأمر غير بعيد عنه في سابقتها مما قام على التأسيس النظري في مسعاه.

فالموضوعية هدف يسعى الباحثون إلى تحقيقه والوصول إليه في الاجراءات التطبيقية على الادب.

2-1-3-1 في كتابه (**خصائص الأسلوب في الشوقيات**) يتخذ الدكتور صلاح فضل (الموضوعية) ضابطاً معرفياً في عمله التحليلي اذ يقرنها بأهداف بحثه الذي يتبع فيه منهجاً يعمل فيه على وفق منطلق علمي، اذ يقول: "لكننا بحثنا فلم نجد في الدراسات العربية ما يرمي إلى الاهداف التي إليها نرمي ويتوخى الموضوعية التي على أنفسنا نشترط..."[63].

وبوساطة تطبيق المنهج الاحصائي في البحث التحليلي يجعل (الطرابلسي) الدقة في تحقيق النتائج هدفاً يوصله إلى (الموضوعية) لذلك فهو يضع الإحصاءات والجداول لتكون نتائجها اداة لتفسير حقيقة امتياز اشعار (شوقي) بشعرية اللغة في أسلوبها، فضلاً عن سعيه إلى تأكيد القدرة على الضبط المعرفي في الاحكام التقويمية عن طريق المقارنة بين النتائج ومثال ذلك قوله: "ونرى نسبة استخدام المجرى المفتوح مع (شوقي) تقدمت كثيراً على ما كانت عليه في القديم، بينما تقهقرت نسبة استخدام المجرى المضموم كثيراً، إذ تتبع (شكري محمد عياد) القوافي المطلقة في كل من (اللزوميات) وديوان البحتري فوجد ان القوافي التي أجريت على الفتحة تقارب نصف التي اجريت على الضمة او الكسرة"[64]، فيشير إلى ان تلك النتائج تؤكد لنا صحة هذا الاتجاه في القديم[65].

2-1-3-2 يزاوج الدكتور محمد عبد المطلب في كتابه (**قراءات اسلوبية**) بين الموضوعية والاحصاء. إذ يتحدث عن أنواع القراءات التي يجريها على النصوص المحللة اسلوبياً في كتابه فيبدأ بالقراءات الجمالية التي يتكئ فيها على التعامل مع البنى التركيبية ليقيس مدى تخلصها من الطابع العام في الاستعمال اللغوي والارتقاء إلى مستوى الادبية.

فيقول ان المنهج الاحصائي يتدخل في هذه القراءة لضبط خطواتها لكن المهم الا يظل الاحصاء في اطاره الكمي، وهكذا يرمي إلى تسخير الإحصاء للعمل في

خدمة بحثه عن شعرية الصياغة وذلك بالتحرك داخل حدود الدلالة من ناحية وحقول الصياغة من ناحية اخرى، ومن دون اهتمام بمحيطها السياقي في المرة الاولى ثم من داخل السياق مرة اخرى[66].

ونشير إلى ان عمله يتوجه بالأساس إلى التحري عن شعرية النصوص الأدبية مما يضعه في حقل الأسلوبية الأدبية إذ يعمل ضمن منطلقاتها في دراسة الأدب.

2-1-3-3 بخصوص فائدة الإحصاء في دراسة الصور الشعرية يقول الدكتور صلاح فضل في كتابه (**أساليب الشعرية المعاصرة**) ان "شبكة العلاقات المجازية والرمزية المعقدة في الشعر تتركز وظائفها الجمالية في تعقيد نسيجها الدلالي المتميز، الأمر الذي يجعل الاحصاء المعجمي مهما تقدمت سبله واستخدمت فيه تكنولوجيا الحاسوب الآلية لا يعدو ان يكون مجرد مؤشر مساعد في تحليل بعض طبقات لغة الشعر دون ان يحجب علاقات الدوال بالمدلولات بمستوياتها المختلفة ونقد النتائج التي يسفر عنها التحليل"[67].

وملخص رأيه انه يشكك بسلامة موقف الدرس الأسلوبي في تحليل النص الأدبي إذ انه يراه يغفل المدلولات في مقابل الدوال[68].

2-1-4 ونخلص مما تقدم إلى أننا وجدنا ان الباحثين كثيراً ما أعطوا أهمية للإحصاء بوصفه جزءاً من عملية الضبط التي تؤدي إلى الوصف بالموضوعية في حين يقلل آخرون من شأنه، ويصفونه بضعف قدرته في تحقيقها.

وقد شخص الدكتور (شريم) نقطة ضعف المنهج الاحصائي المطبق على الادب في قوله: انها "تكمن في ان الباحث يحاول ان يبرهن بالحساب والقواعد الرياضية على ما نراه بالعين المجردة وبقليل من الدراية...، وعليه فاننا نصل بواسطة طريقة مكلفة إلى نتائج مشكوك فيها نوعاً ما ولا تنفعنا تماماً"[69].

لأن الإحصاء، بحسب رأيه، ليس دليلاً على الاسلوب في كل الاحوال وقد تضللنا النتائج التي يمدنا بها في حالة التحليل الأدبي إذا ما اعتمدنا على مدونة واحدة فحسب، ذلك لان التحليل الأسلوبي لابد له من ان يرتكز على النتاج الادبي بكامله ليحقق نتائجه[70].

فالإحصاء يبقى قاصراً في المنظور الشمولي للبحث الأسلوبي اذ انه يتناول الاسلوب، او الظاهرة الأسلوبية، في المستوى الجزئي من النص فيأخذ امثلته من العبارات وقد يترل إلى ما دون ذلك في مستوى الكلمات. فهو يركز على المظهر الكمي مقصراً عن تناول المظهر الكيفي في النص الادبي وخصوصاً في الرواية[71].

وإن فعالية الإحصاء فيما يخص قياس الانحراف الأسلوبي تكون مشلولة من ناحية الدلالة الجمالية أو البلاغية بالنسبة إلى لغة النص الروائي على وجه الخصوص[72]، فضلاً عن لغة النصوص الأدبية في الاجناس الاخرى.

ومهما اختلف في شأن المنهج الإحصائي فانه يبقى وسيلة لتحقيق الموضوعية في البحث الأدبي وهو ما يضعه في قائمة العلوم الحديثة ضمن المعارف الانسانية الملائمة لروح العصر.

2-2 الشكل والبنية:

2-2-1 إن إشارتنا إلى أهمية مقولتي الشكل والبنية في منطوق النظرية الاسلوبية بوصفهما منطلقين في كيالها الفكري تضعنا أمام تساؤل ذي ابعاد متفاوته ضمن اطار بحثنا التحليلي لخطاب الأسلوبية النقدي.

فما علاقة مفهوم البنية بالدرس الأسلوبي؟ وما مفهوم البنية في التوجه (النصي) للأسلوبية؟ وما أهميتها في هذا التوجه؟ وما مدى التزام الأسلوبية بهذا المفهوم في اجرائها التحليلي؟ وما دور مقولة (الشكل) في اقامة كيالها المفترض؟.

إن لمفهوم (البنية) اثراً تأكدت أهميته في الفكر الانساني الحديث بحيث لم يعد من الممكن التخلي عنه فقد اتكأت البحوث الحديثة في معظم مجالات حياة الانسان على (مصطلح) البنية فجعلت منه اداة تكشف بها التنظيم الداخلي للوحدات وطبيعة علاقاتها وتفاعلاتها.

وفي دراسة الادب اخذ مفهوم (البنية) دوره في تحقيق امرين مهمين أولهما تجاوز اطار الوحدات الجزئية في العمل وهو ما يؤدي إلى ان تكون المعرفة الادبية علمية، والآخر هو ما يؤديه الاخذ بمفهوم البنية من إبعاد لفكرة الإضافة الزخرفية في الانموذج التعبيري وهو، بحسب مقولات البنيوية، أنموذج ذو أصالة في انتاج

الدلالة الأدبية وهي الدلالة التي تنبثق من طبيعة التكوين الداخلي لوحدات النص[73]، ففي منظور النقد الذي يهتم بالنص اكثر من غيره يعد العمل الادبي نظاماً للأدلة، وهو نص قبل كل شيء أي نسيج من التشكيلات[74]. ولقد تطورت الدراسات النصية بفعل جهود ثلاثة من اللسانيين البنيويين وهم كل من (دي سوسي وياكبسون وأميل بنفنسيت)، ولقد توجهت البنيوية إلى الاهتمام بكل ما يتسم بطابع النظام[75]. وهكذا كان حالها مع العمل الادبي.

ولقد كانت جهود الشكلانيين الروس من الفاعلية في هذا الميدان بحيث لا يمكن تجاوز ذكرها، فلقد تحول النقد معهم إلى نوع جديد في النظرية والعمل[76]، فاقترحوا ان يكون للنسق الادبي استقلال بذاته وتوجهوا إلى التفكير بمسألة الادبية فكانت محاولة لابتداع علم أدبي مستقل "انطلاقاً من الصفات الذاتية للادوات الادبية"[77]، وإن موضوع هذا العلم هو "دراسة الخواص النوعية للموضوعات الادبية التي تميزها عن أي مادة اخرى"[78]. ولقد غدا (الشكل) لديهم شعاراً بلغ من شموليته انه اخذ يعني كل ما يكون العمل الفني. وكان هؤلاء (الشكليون) يتناولون الموضوع في سياق من التمرد ضد النقد الأيديولوجي السائد من حولهم وضد فكرة: "الشكل بوصفه اناءاً يصب فيه المحتوى الجاهز"[79]، وحاولو إثبات الوحدة بين الشكل والمضمون. غير انهم أدركوا انه لا يكفي جعل الشكل يستوعب المضمون، لذلك أحلّوا محل الثنائية القديمة، تلك، ثنائية جديدة قوامها المقابلة بين العناصر غير الاستيطيقية التي تقع خارج اطار الفن ومجموع الوسائل الفنية فيه، فغدت الوسيلة عندهم هي الموضوع الذي يصح عده مهماً في الدراسة الأدبية. ويبدو ان مفهومهم الخاص بالشكل جعله في تصورهم يعني مجموع العلاقات القائمة بين العناصر[80].

وكان للتوجه البنيوي في حلقة براغ (الشكلية) اثره ايضاً في هذه المسألة، إذ دعت حركتهم إلى الاعتداد بكلية العمل (الفني) دون ان تثقله الإيحاءات الخارجية كاصطلاح (الشكل)، فهو (أي الشكل) يصور لنا عالماً من المواضيع[81].

وأن انتماء الأسلوبية إلى حقل المناهج النصية يأتي من تأثرها بنتاج اللسانيات البنيوية المذكورة ونتاج الشكلية.

وإن الأسلوبية في دراستها للنص لا تبحث عن تقويم للأسلوب، وهو الامر الذي سخره مناوؤها للطعن بها[82]، إذ يقول بعضهم في مجال الأسلوبية "... يرى الشكلانيون ان الإحالة إلى القاعدة لا تسمح بتقويم أسلوب ما لان القاعدة ليست معروفة بصورة حقيقية... ولسبب مشابه تنظر الدراسات النصية إلى المنظور الاسلوبي بصورة هامشية فالأسلوبية تضع قاعدة، معياراً متحققاً بالقوة، في اللغة العادية وتقابلها مع الانحرافات في الأسلوب، ويتعارض هذا التصور مع فكرة مركزية النص"[83].

وإذا كان التوجه البنيوي يتمثل اللغة في دراسته بوصفها نظاماً من التركيب والاستبدال وغيره وهو ما يلغي فكرة وجود وحدات إضافية ليست منبثقة من داخل القول ذاته[84]. فأن الاسلوبية غير بعيدة عن هذا القول ذلك لأن "السمة المميزة للدراسة الأسلوبية انها تبدأ من العمل الأدبي نفسه، ومن الكلمات والطريقة التي ترتبط بها في القطعة الكتابية الخاصة"[85]، أي انها تدرس نظام اللغة في الاستخدام الأدبي لها. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ما قاله (بيير جيرو) عن نشأة الدراسة الأسلوبية في بداية القرن العشرين اذ صنفها في فرعين يمثلان نوعين من الدراسة، هما:

- **أسلوبية التعبير**: وتسهم بدراسة علاقات الشكل مع التفكير فتنحصر في إطار الحدث اللساني (اللغة) المعتبر لنفسه، وهي ذات منهج وصفي تنظر إلى البنى الأسلوبية ووظائفها داخل نظام اللغة عموماً.
- **أسلوبية الفرد** (أو نقد الاسلوب): وتدرس علاقات التعبير بين الفرد والمجتمع الذي أنشأها واستعملها فهي تكوينية تحدد الاسباب وتدرس الحدث اللساني ازاء المتكلمين وهذه الأخيرة أكثر شأناً في دراسة الأدب وبحسب (ريفاتير) يكون هم الأسلوبي موجهاً إلى ملاحظة الوقائع الكلامية عن طريق التحليل الشكلي اذ ان الوظيفة الاسلوبية، في رأيه، ترتبط بالشكل، وهو بدوره لا يمكن له ان يثير الانتباه من تلقاء نفسه إذا لم يكن ذا طابع خصوصي[86].

وإن للشكل أهميةً في التحليل الاسلوبي، كما يقول، لأن الرسالة ومحتواها سيفقدان خصوصيتهما المميزة والإجبارية إذا ما تغير عدد العناصر اللفظية ونظامها وبنيتها[87].

وإن من المسلّمات النظرية في الأسلوبية ما أورده (ويليك) بخصوص الشكل والتعبير وهو ما لخصناه بالاتي:

- "ان كل ما يصنع الكيف (لا- الـــ- لماذا) في العمل الأدبي هو الأسلوب"(88).
- ان ذلك لا ينحصر في التعبير اللغوي بل يشمل البنية كلها بما تشمله من شخصيات ومواقف وحتى الحبكة والأحداث.
- ان الأسلوب هو الشكل او انه العمل ذاته(89).

2-2-2 لقد عرضت هذه المقدمة التمهيدية في الكشف التكويني لموضوع البنية والشكل في النقد الغربي، قدر الإمكان، بعض إشكاليات محور العمل في إطار الأسلوبية وقدمت بعض أشكال المعالجة الموضوعية بخصوصها فكانت خطوة مناسبة للدخول في منتجنا العربي الاسلوبي، وهو بكل أشكاله سواء منها ما كان متبنياً لفكر الاخر (الغربي) بصورة مباشرة أم مولداً عن طريق الاستنتاج والافتراض المبني على فكرة تبني البديهيات في مشروع الأسلوبية في العالم، يتخذ موقفاً يمثل أحد اتجاهات الأسلوبية في تصورها الاكتمالي خلال مسيرة تطورها في الفكر الإنساني.

2-2-2-1 وكانت المتابعة التجزيئية في هذا المنتج قد أظهرت الاتي:

2-2-2-1-1 في كتاب (**الأسلوبية والأسلوب**) للمسدي نجد ان موقفه تجاه موضوع البنية في الأسلوبية يمثل توجها إلى دراسة النص الأدبي بوصفه منتجاً فردياً يمثل عملية اتصال متكاملة بين منشئ ومتلقي تحمل فيه الرسالة الكلامية أثراً جمالياً او انفعالياً أو غيره فضلاً عن قيامها بمهمة الإبلاغ. فتكون فاعلية النص الفنية جزءاً من تركيبته الكلية.

وذلك نستنتجه من قوله الذي يخلص فيه إلى ما معناه: أن التفكير الأسلوبي يقصر نفسه على النص في حد ذاته فيعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية او نفسية، ففي البداية كانت الأسلوبية تعرف أساساً بانها البعد اللساني لظاهرة الاسلوب، لأن جوهر الأثر الادبي، في تصورها، لا يمكن النفاذ إليه الا عبر صياغاته الابلاغية. وان هذا التعريف يكون اكثر تخصصاً عندما تتوجه الأسلوبية إلى البحث عن نوعية العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى صياغته(90).

ولا يخفى ما في هذا القول من توجه نحو البنيوية.

ويقول ايضاً فيما معناه: انه عندما تتجاوز الأسلوبية الإخبار في الخطاب الادبي إلى الكشف عن الوظيفة التأثيرية والجمالية فان ذلك يعني الوجهة العلمية لها التي تتأسس على مقام الفرضية الكلية في نظريتها اذ تعد الفصل بين لغة الأثر الأدبي ومضمونة امراً من شأنه ان يحول دون النفاذ إلى صميم نوعيته لذلك تفادت الاسلوبية في اغلب اتجاهاتها هذه الثنائية واقامت نوعية الاثر الادبي على محور الروابط بين الصياغة التعبيرية والخلفية الدلالية له[91]. بمعنى انها توجهت توجهاً بنيوياً عندما اهتمت بدراسة العلاقات بين مكونات النص.

فالمنطلقات المبدئية في التكفير الاسلوبي بحسب ما يقول: "قد حددت منحى الأسلوبية نحو علم تحليلي تجريدي يرمي إلى إدارك الموضوعية في حقل انساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية"[92].

وإن كلامه عن رفض الأسلوبية لثنائية الفصل بين لغة الاثر الأدبي ومضمونه قد جعل الأسلوبية، في تصوره، منهجاً يمكن القارئ (الناقد على وجه التحديد) من ادراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكاً نقدياً مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية[93].

2-2-2-1-2 في كتاب **(علم الاسلوب)** لصلاح فضل نجد محاولة لتقديم تصور للاسلوب طبقاً للاتجاهات البنيوية الحديثة ندرك من خلاله موقف الدكتور (صلاح فضل) من مقولتي الشكل والبنية بحسب الاتي:

أشار المؤلف إلى إمكانية تقديم تعريف دلالي للأسلوب وان عمله في هذه الفقرة من البحث لم يكن سوى تقديم لما عرضه (بيرد سلي) لهذا التعريف، كما يقول، وبحسب رأيه فان "التعريف المبدئي الأول ينص على ان اسلوب العمل الأدبي يتمثل في الخواص المرجعة في نسيجه الدال ويصبح من الضروري حينئذ ان نبدأ بمعرفة نسيج العمل الأدبي اما الدلالة فهي دلالة بعض الفقرات او العبارات او الجمل او الكلمات في مقابل البنية الدلالية المنبثقة من جملة العمل الادبي كله او من جزء كبير منه"[94].

ومن خلال تبنيه لهذا العرض يتضح لنا موقفه المنحاز للبنيوية ورفضه التفرقة بين الشكل والمضمون في مقابل إيمانه بوحدة البنية في النص موضوع التحليل اذا ما فرضت النظرية في واقع التطبيق. فالبنية الدلالية، بحسب ما يقول: "تتكون من معاني النسيج كله فلو لم تكن هناك علاقة واضحة بين الأجزاء والمجموع لما تكون هذا المجموع، ومناقشة معنى كلمة او جملة دون ربطها بسياقها في الفقرة أو القطعة او الفصل او القول كله تقود إلى اخطاء متتالية في الفهم والتفسير"[95]، ويقول: إن "ما يميز الدراسة الأسلوبية عن بقية انواع الشرح والتفسير انما هو تركيزها على الخواص العائدة المرجعة أي على الخواص المكررة والموظفة بانتظام في النص الادبي"[96]. وبذلك يكون شكل البناء اللفظي، بحسب رأيه، مهماً في تأليف دلالته ضمن وحدة النص.

ويتبين لنا موقفه الأسلوبي البنيوي الرافض لثنائية الشكل والمضمون من خلال تبنيه لتعريف (بيردسلي) للأسلوب عندما يقول إن الأسلوب هو التفصيل الدلالي وذلك باعتماد معيار الانحراف، فكل اختلاف في الشكل يعني اختلافاً في المعنى[97].

ويتبنى رأي (ريفاتير) عندما يرى ان الأسلوب يتصل بشكل الكتابة الأدبية في النص فيقول: "ويبدو انه من الأسهل لنا في تقدير (ريفاتير) أن نطلق كلمة أدب على كل كتابة ذات طابع اثري أي كل كتابة تجذب انتباهنا بصياغتها وشكلها"[98].

فنفهم من ذلك ان الصياغة والشكل في الكتاب الادبية هما اللذان يحققان وجود الأدب لانهما يتسببان في تشكيل المعنى الذي يؤدي إلى معرفة المضمون.

وإن البنية الأدبية، بحسب رأيه الذي استمده من (ريفاتير)، ما هي إلا بنية لغوية: فهو يرى: اننا نفهم من الأسلوب "كل ابراز وتاكيد سواء كان تعبيرياً ام عاطفياً ام جمالياً يضاف إلى المعلومات التي تنقلها البنية اللغوية دون تأثير على معناها"[99]، وبخصوص (الشكل) وعلاقته بالبنية بوصفه جزءاً من النظام في النص يقول، ناقلاً هذا الرأي عن (ريفاتير): "عندما يستخدم المؤلف عناصر اللغة الأدبية

لأحداث تأثير خاص تتحول إلى عناصراسلوبية، ومزيتها تكمن في هــــذا التنفيــذ الخاص لقيمتها لا في قيمتها المحتملة في نظام موحد"[100].

ويرى الدكتور (صلاح فضل) أن الأجراء الشكلي في الأسلوبية يتضح مــــن خلال المنهج التحليلي الذي طبقه (اوهمان) وغيره من الباحثين الأســـلوبيين ممــن اخذوا بمقولة منهج النحو التحويلي، وبموجب معطيات هذا المنهج يكون الأسلوب نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة[101].

ولا يقصر الدكتور (صلاح فضل) مقولة الشكل على جزء مـــــن عمليــة التواصل، أي لا يحصرها في النص، بل يجعل من الشكل تمثيلاً للأسلوب كله، بمعنى انه يشمل مجموع عملية التواصل فيقول: "إذا كان هدف الدراسات الأسلوبية هــو تحليل الشكل الأدبي فإن معظمها يتجه لتحقيق هذا الغرض من الدال إلى المدلــــول أي من الشكل الخارجي إلى الشكل الداخلي"[102] ويعكس هذه القضية فيقـــــول "وفي سبيل البحث عن المعرفة العلمية للمدلول فإننا نستبدل الصورة المســــتعصية للشكل الداخلي للقصيدة ونحل محلها مجموعة من الحالات السابقة للفنان"[103].

وهو بهذا يسعى إلى دراسة نفسية المؤلف وواقعه الاجتماعي وإن الاتجاهـات الاسلوبية الشكلية الإحصائية بحسب رأيه تغفل عن قصد عملية إنتاج النـــص أي الاعتداد بالمؤلف في اطار النظرية الاسلوبية[104].

2-2-2-1-3 في كتابه (**دليل الدراسات الأسلوبية**) ينطلـــق جوزيـــف ميشال شريم من مبدأ بنيوي يأخذ بمقولة (النص) بمفهومــــها الأولي (القريـــب) إذ يقتصر على البحث داخل بنية النص فيهتم بدراسة العلاقات الرابطة بين أجزائه غير آبه بما سواه.

وهو يجعل من الشكل عنصراً موازياً للمضمون في بنيـــة النـــص، فـــالدال والمدلول، بحسب رأيه يؤلفان معنى النص من خلال علاقتهما بــــالموضوع الــــذي يؤديه النص، لأن جذر العلاقة بين الدال والمدلول اللغوي يتسع ليشـــــمل النـــص بشكله العام وموضوعه الذي يحمل معناه في الدراسة النقديــــة الـــتي تتوجـــه إلى تحليله[105].

ويشير أيضاً بهذا الخصوص إلى ان نقطة البداية في الدرس الأسلوبي بخصوص هذه المسألة هي الاهتمام بالمضمون الذي يحمله البنيان التركيبي بين طياته.

ويقترح ان يحدد الباحث، عندما يتوجه بالدرس النقدي إلى النص، ما يفهمه من لفظة (مضمون)، فقد يرجع (المضمون) بحسب رأيه إلى (المدلول) او (المعنى) او الايديويوجيا او اللاوعي الجمعي أو الوعي الجمعي[106].

وعندما يصل إلى نهاية القول النظري في هذا الشأن نجده يشير إلى ما يراه مناسباً للتحليل او الاجراء التطبيقي فيخلص الى: اننا نحتاج إلى طريقة خاصة بكل اثر فني وان توجه تلك الطريقة ووسائلها يتبدلان على وفق مكانة الاسلوب الذي نحلله[107].

وفيما يخص البنية او كما يشير إليها بقوله (الوحدة النصية) فانه يرى ان افضل طريقة لتحليل الأسلوب هي تلك التي تتوفر لنا إذا أمكننا تطوير طريقة مثل التي جاء بها (كونرادبيو)، تلك التي تتوجه إلى تحليل الأسلوب تحليلاً موضوعياً من خلال المستوى اللغوي[108]، وذلك بدمجها في "عمل متكامل يعتبر النتاج الأدبي وكأنه (وحدة نصية) مكونة من اصغر وحدة لغوية ممكنة (أي الفونيم) صعوداً حتى أكبرها (أي النتاج ككل) ومروراً بـ(المونيم) والجملة"[109] وذلك بالنظر إلى النتاج الأدبي وكأنه خطاب من نوع معين ذو طابع وحدوي مميز يتألف غالباً من وحدات فرعية أوسع من الجملة، فيدرس المحلل الاسلوبي الصلات بين هذه الوحدات الفرعية وبينها وبين النتاج بكامله[110].

2-2-2-1-4 كتاب **(البلاغة والاسلوبية)** محمد عبد المطلب، عن طريق المتابعة التجذيرية لنشأة الأسلوبية عالج الدكتور محمد عبد المطلب مسألة البنية والشكل فلقد وجدناه يقول (مثلاً): ان الدراسة الأسلوبية عند (داماسو آلنسوا) الاسباني "تمثل دراسة كل شيء يبرز خصوصية العمل الأدبي مع الاهتمام بالناحية السطحية لخدمة المضمون الذي يتعلق بالمعنى وبالتأثير"[111]، ويقول أيضاً: "كانت الشكلية الروسية من أهم روافد الدرس اللغوي والأسلوبي"[112]، وكان مدار بحث الشكليين منذ البداية يتجه إلى فنية الشكل الأدبي اذ ان المنطلق (بحسب رأيه) يكون من فن اللغة بالدرجة الاولى[113]. ويربط محمد عبد المطلب النشأة الاولى للأسلوبية

بدور الدراسات اللغوية المطبقة على الادب. فيقول "وتأتي المدرسة الألمانية بعد الحرب العالمية الاولى لتؤدي دوراً خطيراً في تطبيق المفاهيم اللغوية على الادب"[114].

ولقد فرق (محمد عبد المطلب) بين أشكال الدراسة الأسلوبية فقال: "وفي مطلع هذا القرن (ويقصد العشرين) ولد تحت كلمة (الاسلوبية) مفهومان مختلفان هما:

أ- دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، وخاصة في ميدان الخطابة عند القدماء.

ب- الطريقة الفردية في الأسلوب او دراسة النقد الأسلوبي. وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية او الجماعية"[115].

وبحسب رأيه فإن الأسلوبية هي دراسة النص من خلال اللغة فيقول برفض ثنائية الشكل والمضمون ويقول بما معناه: منذ بلور (ياكبسون) نظريته في تعريف الأسلوب بانه إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع اصبح من المؤكد ان الأسلوبية تمثل بعداً لغوياً لدراسة النص الادبي. إذ لا يمكن الوصول إلى الأبعاد الحقيقية للنص الا عبر صياغاته اللغوية. وبذلك تكون الاسلوبية وسيلة للبحث عن الاسس الموضوعية لعلم الأسلوب او كل ما يؤدي إلى تحديد نوعية العلاقة الرابطة بين التعبير وما يحمله من مدلول. او بتعبير اخر بين الشكل والمضمون[116].

والاسلوبية بحسب ما يقول: "تتحرى دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفة ليؤثر ويقنع في آن واحد. مع ملاحظة ان التأثير والاقناع يأتيان من ترابط الشكل والمضمون في تلاحم تام. ومحاولة الفصل بين لغة الأثر الأدبي ومضمونه من شأنها ان تحول دون النفاذ إلى الخواص الحقيقية للنص الادبي. لذا تفادت الأسلوبية في معظم اتجاهاتها هذه الثنائية المصطنعة بين الصياغة والخلفية الدلالية"[117]. وهكذا يتأكد لنا رفضه لثنائية الشكل والمضمون ولكنه لم يشر إلى الاهتمام ببنية النص الكلية (او وحدته) مباشرة سوى إشارته في النص انف الذكر إلى الترابط بين الشكل والمضمون أي الاهتمام بالعلاقات الرابطة بين الدال والمدلول.

2-2-2-1-5 في كتاب (الأسلوب دراسة لغوية احصائية) سعد مصلوح

يمكننا ان نلخص رأيه في هذا الشأن بنقطتين مهمتين بحسب ما يأتي:

- إن التوجه نحو المذهب الشكلي في النقد يقربه إلى روح العلم، فالعمل النقدي يوصف بالموضوعية إذا درس شكل النص بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة في ذلك الدرس.
- ان المذهب الشكلي مستمد من الفلسفة الوضعية. ذلك ما نستنتجه من قوله: "حين يكون النص هو محور الاهتمام، وموضوع الدراسة، فإن حديثنا يصبح، اكثر التزاماً بموضوعية العلم واتباعاً لمواصفاته ومواضعاته المقررة. من ثم فإن المذهب الشكلي في النقد يكاد يكون في رأينا اقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم. ولقد استمد هذا المذهب فلسفته النظرية من (الوضعية) المنطقية"(118) فهو يمتدح المذهب الشكلي في النقد، ويرى ان مقولات الفلسفة الوضعية فيما يخص اللغة قد انعكست على هذا المذهب، لكنه يشير في هامش كتابه إلى انه لا يقبل كل مقولات هذه الفلسفة(119).

ويقول: "... ان المذهب الشكلي كان من أهم الاتجاهات التي نبهت إلى دراسة لغة النص، ومهدت بذلك لإثارة اهتمام علماء اللغة الخلّص بقضية الأسلوب واقامة الجسور ما بين علم اللغة ودراسة الادب)(120)، وهكذا يرى ان من الضرورة "العمل على إرساء منهج لغوي في نقد الأدب العربي يكون فيه النص او الخطاب، أولاً وقبل كل شيء، هو موضوع الدراسة ويكون منهج الدراسة فيه لغوياً بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح"(121).

وبذلك نعاين توجهه نحو الشكلية في مضمون عمله النقدي وهو يربط، كذلك، بين الشكلية والبنيوية. إذ يقول: "وقد نشأت الدراسات اللغوية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها تحت تأثير فكرة أساسية هي البنيوية... واستطاعت هذه الدراسات... ان تطوّر من ادواتها، وان تولي جانباً من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي باعتباره نمطاً متميزاً من أنماط الاستعمال اللغوي، وان تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل المحصور في إطار (نحو الجملة)، وهو النحو الذي يعتبر الجملة اكبر وحدة في التحليل اللغوي، إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل

اصطلح على تسميته (نحو النص) وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل "[122].

6-1-2-2-2 كتاب **(الاسلوبية مدخل نظري)** فتح الله احمد سليمان وقد عرض فيه علاقة الأسلوبية بالبلاغة وبحث ما امتازت به الأسلوبية من سابقتها فأورد رأياً مفاده ان الأسلوب وهي في رأيه لا تختلف عن البحث الأسلوبي في الاصطلاح تقوم على دراسة العمل الأدبي الموجود حقيقة لا افتراضاً، وهو ما نعني به النص، فيقترب بذلك من مفهوم (النصية) في الدرس النقدي الحديث[123].

وفيما يخص مفهوم (البنية) يقول: "وتختلف نظرة الأسلوبية عن مثيلتها، فالأسلوبية ترى ان النص كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته، ولا مجال للفصل بينهما، او البحث في أحد الجانبين دون الآخر، من حيث ان أولهما مفضٍ إلى الآخر"[124].

اما البلاغة فانها، بحسب رأيه، تفصل بين الشكل والمضمون او بين اللفظ والمعنى، عدا ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في رفضه مبدأ الفصل بين (الشكل) و(المضمون) في العمل الادبي[125].

وفي تعريفه للاسلوبية، نجده، يحصر اهتمامه بالنص اذ يقول: انها "علم وصفي يعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميز النص الأدبي بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية"[126] ويوجه ماهية عملها نحو البنية، فهي بحسب ما يقول: "تدرس الاثر الأدبي بمعزل عما يحيط به من ظروف ... فمجال عملها النص فحسب)[127] ويقول أيضاً "ان الأسلوبية تعنى أساساً بالكيان اللغوي للاثر الادبي، فعملها يبدأ من لغة النص وينتهي إليها"[128].

ذلك عندما يكون في معرض الحديث عن الفرق بين الأسلوبية والنقد الادبي.

ويرى ان البنية التي تبحثها الأسلوبية في الأدب تختلف عن البنية التي يستوعبها النقد (بصفة عامة) لان اقتصار الأسلوبية على اللغة يجعلها اكثر التزاماً بالموضوعية. في الوقت الذي يرى فيه ان النقد ينظر إلى العمل الادبي بوصفه وحدة

متكاملة وبذلك ينبغي دراسته بكل عناصره الفنية فتكون اللغة جزءاً منها مما يجعله عرضة للذاتية والانطباعية[129].

والأسلوبية بحسب رأيه "تعتمد البنية اللغوية للنص منطلقاً أساسياً في عملها"[130].

وبخصوص مقولة (الشكل) نجده يؤيد رأي (بالي) الذي أورده (بيير جيرو) في تعريفه للأسلوب بأنه الشكل المميز للنص. ويشمل هذا التعريف الاتجاه البنيوي في الأسلوبية أيضاً، وهي الأسلوبية البنيوية التي اختطها (ياكبسون)، ويقوم عملها على بحث الأسلوب من خلال وصف البنى الداخلية للرسالة[131].

وهو يرى ان البنية الواحدة للنص الأدبي، أو الأثر الأدبي، في الدراسة الأسلوبية تعني عدم الفصل بين الشكل والمحتوى فيخلص إلى القول باستحالة فصل دراسة الأسلوب عن محتوى العمل وإن "أية دراسة أسلوبية ينبغي ان تقوم على الرفض الحاسم للفصل بين المحتوى والشكل لأن العمل الادبي وحدة واحدة فلا انفصال للمعنى عن الاسلوب"[132].

وبخصوص التحليل الاسلوبي فان البحث يقوم على أساس تحليل البنى النحوية ووظيفتها الابلاغية[133]. "فعملية التحليل يجب ان تنبني على تفكيك العمل او النص إلى وحدات صغيرة قد تصل إلى اللفظ المفرد او الحرف الواحد ودراستها منفصلة عن العمل الأدبي ثم تجميعها مرة اخرى وبحثها في إطار الاثر الذي يحتويها"[134].

2-2-2-1-7 كتاب **(اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي)** شكري محمد عياد ينطلق فيه المؤلف من فكرة التفرد في إنتاج الأدب والتميز في استعمال اللغة، وذلك متأت من فكرة النحو التوليدي التي آمن بها في بحثه عما يميز النص الأدبي. ويورد بهذا الشأن ما أداه (تشومسكي) فيشير إلى: انه افترض نظرية في النحو تفيد في معرفة بنية النص وهي تقوم على فكرة وجود بنيتين في كيان النص هما: البنية العميقة: أي الوحدة الفكرية الأساسية في المعنى او ما يعبر عنه بالقواعد الأصلية في النحو، فهي تمثل الجانب الفكري. والبنية السطحية التي تمثل الجانب السلوكي. وهذا الجانب لا يفهم بدوره إلا من خلال الجانب الفكري.

ولقد كان لهذه الفكرة، بحسب رأيه، اثر مهم في بحث الاسلوب[135].

وأننا نهتدي إلى معرفة مفهومه للأسلوب على وفق ما تقدم من قولـــه: "ان تفرد النص الأدبي يرجع في أحد جوانبه إلى طريقة متميزة في استعمال اللغة. وهـذا هو ما نعنيه بالأسلوب عندما نتحدث عن نص أدبي"[136]، وقوله: "أننـا نـدرس الظاهرة الأسلوبية بهذا المعنى (أي التفرد والتميز) منسوبة إلى ظاهرة اعم منها وهي الكتابة الفنية"[137].

2-2-2-2 وإن إجراء المتابعة في حقل التطبيق من اجل بيان مـا احكـم باحثونا المتخصصون في حقل الأسلوبية من بناء لهذه الأفكـار في مواقـع تنفيـذ المقولات النظرية كشف لنا عن الاتي:

2-2-2-2-1 في كتاب (**خصائص الاسلوب في الشوقيات**) لمحمد الهادي الطرابلسي يتأكد لنا التزام هذا الباحث (المحلل) بمقولة (البنية) في دراسة التعابـير في الكلام بوصفها وحدات صغرى ترتبط بغيرها ضمن كيان النص الواحدة من خلال قوله: "فالتعبير عندنا هو الوحدة المعنوية الدنيا التي يحتضنها تركيب ما في الكـلام ولا تحدها بنية خاصة ونهتدي إليها بتقطيع الكلام بمراعاة تمام المعنى"[138].

وهكذا ينطلق من (الشكل) ليصل إلى المضمون دونما تفريق بينهما او فصـل بين جانبيهما فيقول: "ودور التعـابير في تعزيز هيكل الكلام الداخلـي كبـير، فهي بمثابة المحور الذي يلتحم فيه اللفـظ والمعـنى فينصـهر فيـه (الشـكل) و (المضمون)"[139].

2-2-2-2-2 كتاب (**البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديـث**) مصطفى السعدني يقول فيه: إن "موضوع هذه الدراسة هو الشكل اللغوي، واللغة بهذا المعنى مفهوم واسع يتضمن الأبنية اللفظية بدءاً بأنساقها الصوتية وانتهاء بهيأتهـا التركيبية"[140].

ويقول ايضاً: "تعتمد دراسة اللغة في هذا القسم معطيات علم اللغة ركـيزة مبدئية في تحديد نسق البنية الصوتية كخطوة أولية لاكتناهها وكشـف تجلياتهـا الشعرية في النص المعاصر"[141].

وهكذا استعمل مفهوم (البنية) من خلال سعيه إلى تتبع عناصر البناء الشعري ونجده يقول فيما معناه ان بنية الصوت هي أولى البنيات التركيبية في القصيدة[142].

وقد استعمل مصطلحي (البنية العميقة) و (البنية السطحية) المستمدين من فكرة النحو التحويلي التي أقامها (تشومسكي)[143]، وقال ما معناه: ان الكلمة المفردة في البناء الشعري تفقد طبيعتها القاموسية المحددة فتتحول إلى خلق جديد في مستوى العلاقات والإيحاء يعادل في ضرورته الوجود المادي الذي نعيشه ونعانيه بمعنى ان قيمتها تأتي من السياق الذي يحتويها[144].

ويشير الدكتور (السعدني) إلى ان تعامله في اطار البنية الشعرية يكون مع العناصر المتكررة صوتياً ودلالياً، ضمن موضع التكرار الحر في الدراسة الصوتية في بحثه[145]، ففي تحليله لمقطع من قصيدة لـ(أمل دنقل) يقول: "تطغى في بنية النص السابق أربعة أصوات، اثنان منهما مهموسان هما: الكاف والتاء. وتجيء الكاف ضميراً كما في... وتشير الكاف في حالة كونها ضميراً إلى أحد محوري النص (أبانا الذي في المباحث) وفي حالة كونها صوتاً في بنية الكلمة لا تخرج عن كونها تجسيداً لحالة تتصف بالرهبة... فالتاء ضمير يعين المحور الأساسي في النص وهو الذي عينته الكاف وهي في الوقت نفسه تحمل جرثومة المعنى المتصف بالطغيان والتجبر والاستبداد في الكلمات التي أسهمت في بنائها كما تحمل بالإضافة إلى ذلك معنى الصمت الرهيب الذي يُعدّ نتيجة لسيادة المعنى الأول"[146].

وفي معالجته لموضع التنكير والتعريف يقول: "تلعب هذه الخلافية على مستوى الأداء الشعري من خلال قيمتي الحضور والغياب قيمة دلالية ذات فعالية شعرية مسهمة مع غيرها من عناصر البنية كما في النص التالي..."[147]، وهو يرى ان فيه نمواً مضاداً في الاتجاه لكل عنصر من عناصره الموضوعية المكونة لبنيته: الإنسان الفلسطيني، والمنفذ للاعدام، والمشنقة، ثم يقول: "ومع هذا فانه يمكن توزيع الدلالة- من جديد- بإعادتها على محورين آخرين هما محور التعريف والتنكير.

ويأتي التعريف مشتملاً على العنصرين- الإنسان الفلسطيني وحبل المشنقة وفي المقابل يتضمن التنكير العنصر الثاني في المحورين الأولين (الشانق) أو (الشاهد)

ولان الشاعر يريد ان يلح على تكرار هذا العنصر بغياب هويته أولاً ولإبـــراز دوره في صنع المأساة الفلسطينية ثانياً، يأتي التنكير ملازماً لهذا التكرار (عشرون بيتـــاً) و (قبلة) هذا في مقابل التعريف الملازم للمشنقة باعتبارها آلة التنفيذ الماثلة والشـــاهد الحسي عليه..."[148].

هوامش الفصل الثالث

(1) مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي/20.
(2) المصدر السابق/31.
(3) المصدر السابق/30. وما بعدها.
(4) علم الأسلوب، صلاح فضل/ 9.
(5) المصدر السابق/71 وما بعدها.
(6) البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب/121.
(7) المصدر السابق/28. وما بعدها.
(8) الاسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح/13.
(9) المصدر السابق/13.
(10) المصدر السابق/15.
(11) في النص الادبي، سعد مصلوح/19.
(12) المصدر السابق/21-22.
(13) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي /18، 19، 20، 64. وما بعدها.
(14) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 42/1987.
(15) نظرية الادب رينيه ويليك أوستن وايرن، ترجمة محي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرابيشي، دمشق، ط3، 1972/30-31.
(16) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور/10.
(17) مقدمة في النظرية الادبية، تيري ايغلتن، ترجمة ابراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992/16، والافصح في قوله يقود إلى اعتباره كينونة، ان يكون: يقود إلى عَدّه كينونة.
(18) المصدر السابق/16.
(19) المصدر السابق/17.
(20) المصدر السابق/20.
(21) المصدر السابق/25، 54.
(22) المصدر السابق/101.
(23) المصدر السابق/104.
(24) المصدر السابق/108.
(25) مدخل إلى مناهج النقد الادبي، مجموعة كتاب، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الكويت/ 117.
(*) اقام دراسته حول وظائف اللغة.
(26) المصدر السابق/210 -211.
(27) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور/60-62.
(28) النقد والحداثة، عبد السلام المسدي/15.
(29) المصدر السابق/17.

(30) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/28؛ نظرية الادب، رينيه ويليك وأوستن وايرن، ترجمـة محـي الدين صبحي/48.
(31) الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي/34.
(32) المصدر السابق/34.
(33) المصدر السابق/35- 36.
(34) المصدر السابق/36-37.
(35) أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل/30.
(36) المصدر السابق/11.
(37) المصدر السابق/24.
(38) المصدر السابق/32.
(39) المصدر السابق/33.
(40) المصدر السابق/42.
(41) المصدر السابق/41-42.
(42) مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور/440.
(43) المصدر السابق/439-440.
(44) المصدر السابق/440.
(45) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح/37.
(46) مفاهيم نقدية، رينية ويليك، ترجمة محمد عصفور/ 442.
(47) علم الاسلوب، صلاح فضل/104.
(48) المصدر السابق/246.
(49) المصدر السابق/246.
(50) المصدر السابق/194.
(51) نظرية الادب، اوستن وايرن ورينيه ويليك، ترجمة، محي الدين صبحي/19.
(52) الاسلوبية والاسلوب، المسدي/34.
(53) المصدر السابق/34-35.
(54) المصدر السابق/61.
(55) دراسات في الاسلوبية البنيوية، ريفاتير/31، نقلاً عن: مقالات في الاسلوبية، منذر عياشي/158.
(56) الاسلوبية والأسلوب، المسدي/70.
(57) دليل الدراسات الاسلوبية، جوزيف ميشال شريم/52.
(58) المصدر السابق/56.
(59) المصدر السابق/44.
(60) الأسلوبية مدخل نظري، فتح الله احمد/30.
(61) المصدر السابق/31.
(62) أسلوبية الرواية، حميد لحمداني/31.
(63) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي/9.
(64) المصدر السابق/40. وهو يشير إلى كتاب شكري محمد عياد (موسيقى الشعر العربي)/112.
(65) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي/40.

(66) قراءات أسلوبية، محمد عبد المطلب/14-015
(67) اساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل/45-46.
(68) المصدر السابق/47.
(69) دليل الدراسات الاسلوبية، شريم/56.
(70) المصدر السابق/44.
(71) اسلوبية الرواية، حميد لحمداني/31.
(72) المصدر السابق/31.
(73) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/133-134.
(74) النقد النصي، جيزيل فالانسي، ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النقد الادبي، ترجمة رضوان ظاظا/209.
(75) المصدر السابق/210.
(76) مفاهيم نقدية، ويليك، ترجمة محمد عصفور/60.
(77) النقد النصي، جيزيل فلانسي، ترجمة رضوان ظاظا/211.
(78) المصدر السابق/215.
(79) المصدر السابق/215.
(80) مفاهيم نقدية، ويليك، ترجمة محمد عصفور/61.
(81) المصدر السابق/62.
(82) البلاغة والاسلوبية، هنرش بليت، ترجمة محمد العمري/36-37.
(83) النقد النصي، جيزيل فلانسي، ترجمة رضوان ظاظا/216.
(84) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/135.
(85) الأسلوب والأسلوبية، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين/49.
(86) الاسلوب والاسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي/38-39.
(87) معايير تحليل الاسلوب، ريفاتير، ترجمة حميد لحمداني/70-71.
(88) مفاهيم نقدية، ويليك، ترجمة محمد عصفور/438.
(89) المصدر السابق/439.
(90) الاسلوبية والاسلوب، المسدي/35.
(91) المصدر السابق/36.
(92) المصدر السابق/37.
(93) المصدر السابق/36.
(94) علم الاسلوب، صلاح فضل/81.
(95) المصدر السابق/81.
(96) المصدر السابق/81.
(97) المصدر السابق/81.
(98) المصدر السابق/84.
(99) المصدر السابق/85.
(100) المصدر السابق/87.
(101) المصدر السابق/86- 87.
(102) المصدر السابق/108.

(103) المصدر السابق/108.
(104) المصدر السابق/151.
(105) دليل الدراسات الاسلوبية، جوزيف ميشال شريم/45.
(106) المصدر السابق/45.
(107) المصدر السابق/57.
(108) المصدر السابق/38.
(109) المصدر السابق/57.
(110) المصدر السابق/57.
(111) البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب/122.
(112) المصدر السابق/122.
(113) المصدر السابق/123.
(114) المصدر السابق/124.
(115) المصدر السابق/128. وقد نقل ذلك عن قاموس اللغة الفرنسية.
(116) البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب/128.
(117) المصدر السابق/136.
(118) الأسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح/13.
(119) المصدر السابق/13.
(120) المصدر السابق/14.
(121) المصدر السابق/14.
(122) المصدر السابق/14-15.
(123) الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله احمد سليمان/27.
(124) المصدر السابق/28.
(125) المصدر السابق/28.
(126) المصدر السابق/30.
(127) المصدر السابق/30.
(128) المصدر السابق/31.
(129) المصدر السابق/31.
(130) المصدر السابق/36.
(131) المصدر السابق/34.
(132) المصدر السابق/37.
(133) المصدر السابق/52.
(134) المصدر السابق/53.
(135) اللغة والابداع، شكري محمد عياد/51- 52.
(136) المصدر السابق/60.
(137) المصدر السابق/61.
(138) خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي/318.
(139) المصدر السابق/318.

[140] البنيات الاسلوبية، السعدني/9.

[141] المصدر السابق/13.

[142] المصدر السابق/18.

[143] المصدر السابق/69.

[144] المصدر السابق/69.

[145] المصدر السابق/33.

[146] المصدر السابق/35.

[147] المصدر السابق/215.

[148] المصدر السابق/216 –217. من الأفصح ان يكون تعداد الفقرات بالشكل الآتي: أولاً، أخيراً أو بعد ذلـك ويقال بوصفها بدل باعتبارها.

الخاتمة

الحمد لله إذ أتممنا بحثنا هذا وقد حملت صفحاته دراسة للخطاب النقدي العربي الحديث ممثلاً بالأسلوبية، بوصفها منهجاً من مناهجه لها ما يميزها من المنطلقات المبدئية والاحكام الاجرائية والأفكار التي يسعى أصحابها إلى تطبيقها بما امتلكوا من الاليات اللغوية والتقنيات المنهجية، وكان من الضروري تحديد جملة من المفاهيم ومعالجة بعض المصطلحات وبيان بعض أشكال العلاقات في مناهج النقد الحديث، وهو ما احتواه الفصل الأول الذي جعلناه قاعدة للانطلاق والتأسيس في الفصلين اللاحقين من بحثنا الساعي إلى تحليل خطاب الأسلوبية.

1- ولقد أسفر البحث عن جملة من النتائج منها:

1-1 إن البحث الأسلوبي اصبح ينظر إلى النص نظرة نقدية شاملة إذ اتسع مصطلح (الأسلوب) الذي يمثل نقطة انطلاق الباحثين في سعيهم لتأسيس علم الاساليب، ليشمل البناء العام للنص بجميع مكوناته وأجزائه.

1-2 تقع الأسلوبية المتأثرة باللسانيات في نشأتها ضمن مسرد المناهج المهتمة بالنص بيد أنها لا تخضع لسلطته المطلقة فهي لا تلتزم مقولة (البنية) بوصفها حتمية ومقيّدة للباحث.

فالاسلوبية في الاساس نتاج تلاقح النظريات المختلفة والمناهج المتنوعة، وقد استطاعت بفضل ذلك أن تتخذ لها منهجاً في التحليل والاستقراء متنّوع بحسب الجهة التي تتبناها.

1-3 صنّف الكتاب جهود الاسلوبيين، عموماً في اتجاهين كبيرين رئيسين أولهما: يضم مناهج تقتصر على جانب واحد من مفردات عملية التواصل بموجب مخطط الوظائف الذي رسمه (ياكبسون).

والآخر: يشمل مناهج تقوم على دراسة بنية النص ضمن عملية التواصل كاملة.

1–4 لما كانت نظرية الخطاب (اللغوية) هي الأكثر ملاءمة في عصرنا الحديث لدراسة الوظائف والابنية المحددة فقد انحسر علم البلاغة بعد أن كان العلم الأثير في تحليل الخطاب سابقاً، واصبحت هناك ضرورة لايجاد علم جديد للخطاب يأخذ على عاتقه مهمة تحليل الخطابات وتفسير الملفوظات على وفق معطيات تلك الخطابات.

فكانت الأسلوبية أحد فروع هذا العلم (أي تحليل الخطاب) وهي تقع في مستواه الأفقي بحسبما بيَّنَ البحث، فقد أصبحت مبحثاً مؤهلاً لمعالجة انماط التعبير والتواصل، وان بحوثها تقوم على أجزاء ثلاثة رئيسة:

- جزء لغوي.
- جزء علمي.
- جزء جمالي.

وهي لا تفقد علاقتها بما جاورها من الدراسات البلاغيّة التي ورثت عنها صيغ المعالجة، و لم تفقد كذلك علاقتها بما يقابلها من المستوى العمودي (أي الشعرية).

1–5 استنتج المؤلف ان مصطلح (البلاغة الجديدة) يمثل فكرة حديثة عن البلاغة، فكرة نشأت في الغرب ضمن ظروف معينة جعلت منها مشروعاً لدراسة الخطاب بكل أشكاله إذ تقوم على تجاوز الصور البلاغية، فهي محاولة لخلق فلسفة تمثل العصر الحديث مُتبنية ما أنتج في جميع أنواع الدراسات التداولية وهي بهذا المفهوم تختلف كل الاختلاف عن الاسلوبية فلا مسوّغ للخلط بين المصطلحين.

1–6 تبيَّن لنا أن (الخطاب) أوسع مفهوماً وتصوراً من (النص) وأن النصّ جزءٌ من الخطاب ضمن السياق المعرفي الذي يحتويه والخاص بموضوع معين مثل النقد الادبي.

فالخطاب هو مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي، ويكون عالمه أوسع من عالم النص.

وإن الخطاب النقدي هو خطاب علمي يستقي مادته من الواقع الفني ويهيمن فيه الجانب المعرفي اكثر من غيره. وهو جملة النصوص المتعلقة بموضوع

أدبية الأدب التي يحاول الناقد المبدع مطابقتها في عالمه الفكري ويوجهها في سياق معرفي واحد يمثل فيه شمولية الثقافة الأدبية باعثاً جملة الأحداث التي تؤلف موضوع النصوص المشترك بينها في أذهان الجماعة الثقافية التي يتصدى (أي الناقد) لمحاورتها.

1–7 وخطاب الأسلوبية في مجال النقد الأدبي يقوم على دراسة النص دراسة وصفية تتخذ المفاهيم الالسنية منطلقاً لها إذ تعد الأدب نتاجاً لغوياً بالدرجة الأولى وتمثل خطاباً نقدياً فهي خطاب حول خطاب ولها مناهجها وغاياتها المعرفية.

1–8 إن مصطلح (تحليل الخطاب) يمكن اطلاقه على التجارب النقدية التي تتخذ من أية وحدة لغوية أكبر من الجملة موضوعاً لها في الوصف فالتحليل يمكن أن يتخذ شكلاً معيناً نفسياً كان أم بلاغياً أم غير ذلك.

2– أظهرت نتائج البحث التحليلي الذي اجري على المقدمات التنظيرية في المؤلفات الأسلوبية التي عدها البحث مشاريع مهمة تمثل الوجهة العلمية لباحثينا العرب المتخصصين بالدراسة الأسلوبية ما يأتي:

2–1 أن تلك المؤلفات تتخذ لنفسها خطوطاً ثلاثة في مسيرتها التحقيقية سواء في المستوى النظري، وهو الأكثر وضوحاً أم في المستوى التطبيقي الذي وجدنا فيه من التداخل بين المفاهيم ما يميزه من سابقه، فهناك ثلاثة نماذج في المستوى الاول (أي مستوى التنظير في الدراسة الأسلوبية) وهي:

2–1–1 توجه سلفي بلاغي خالص وهو الذي يحاول رواده تجديد البلاغة واحياءها.

2–1–2 توجه يميل الى التوسط بين التراث والحداثة، في موقفه العام من منهج البحث، ويحاول رواده تأصيل وجود الاسلوبية ومفاهيمها في عمق الثقافة العربية والموروث البلاغي.

2–1–3 توجه حداثي مجدد، يتبنى مشروع الاسلوبية ويحاول نشره بصورته المنقولة عن الغرب في الثقافة العربية المعاصرة وقد يحاول بعض رواده تطويره بحسب مقدرتهم وامكانياتهم الذاتية.

و لم يكن الوضع مختلفاً عن ذلك في ميدان التطبيق إذ وجدنا فيه ثلاثة نماذج أيضاً هي:

2-1-4 التوجه نحو التأسيس وتبني الاسلوبية بوصفها منهجاً حداثياً في ثقافتنا النقدية المعاصرة.

2-1-5 منهج يعتمد على البحث التاريخي في التجذير والتأصيل للمسائل المعروضة خلال معالجاته للنصوص الادبية. وهو سلفي تراثي.

2-1-6 التوجه نحو تطبيق الأسلوبية على وفق الامكانيات الثقافية المحدودة التي يمتلكها الباحث العربي في مجال الحداثة المأخوذة عن الغرب فيتصف عمله بالتلفيق.

ولقد كان التوجه الذي مثل منهج التأسيس وتبني مشروع الاسلوبية في الخطاب النقدي العربي هو الاكثر أهمية ولاسيما في مجال التطبيق.

2-2 استنتجنا من خلال البحث، حكماً يمثل خلاصة متابعتنا الميدانية الحالية وهو ان الأسلوبية غير مستقرة، في عالمنا العربي، فهي لم تستطع التمييز بين حدود المناهج الحديثة في النقد الادبي باستثناء ما مثلته بعض التجارب التي هي محاولات تطوير في واقع الثقافة العربية في مجال الأسلوبية تحديداً كما يظهر واضحاً في محاولات: (سعد مصلوح) وقبله (عبد السلام المسدي) و (صلاح فضل) وغيرهم ممن عرضنا له في البحث.

2-3 اما عن المنطلقات الفكرية في خطاب الأسلوبية العربية فقد كشفت لنا هذه المقدمات عن أنموذج نقدي يسعى أصحابه إلى إضفاء صفة الضبط المعرفي والدقة العلمية عليه بحسب ما أعلنوا في مقدماتهم هذه، التي كانت موضوع الدرس، سواء في مجال التأسيس النظري أم في التطبيق.

3- وعن بنية (**المعرفة الاسلوبية**) في الجهد العربي تبين لنا:

3-1 أنها تراكمية النشأة وتفتقد الى وجود خط تكويني يسم بنيتها بالثبات او التطور المنهجي المبني على افادة اللاحق من السابق فكل يعرف الأسلوبية وكأنها شيء جديد او يحاول تطبيق منهج مبتكر فيها لم يسبقه إليه احد.

وقد اكد النقاد مسألة النشأة الأولى للأسلوبية في موطنها الغربي، وهو ما اصاب خطاب الاسلوبية عندنا بالتكرار غير المنظم. لكن على الرغم من ذلك فان هذه الصفة افادت النقد العربي الحديث فكانت عامل صحة في جسده اذ قدمت الاسلوبية الى القارئ بطرق متنوعة في المعالجة العلمية وذلك يمكنه من تجاوز بعض الهنات التي يقع بها هذا الباحث او ذاك.

3-2 ولقد بينا في البحث حقيقة حداثة المنهج الاسلوبي في معالجته النقدية للأدب، فالأسلوبية تنطلق من النص وتأخذ بمقولات الانموذج التواصلي (أو التداولي) في تحليل الرسالة الادبية.

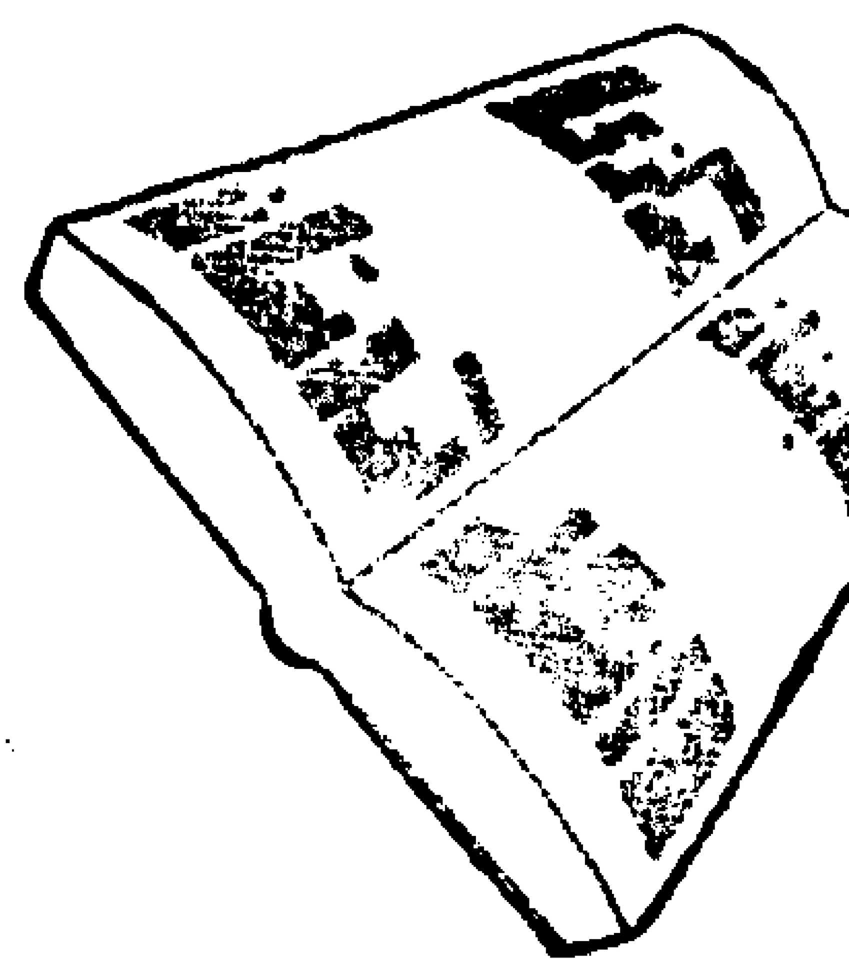
وعن دخولنا في خطاب الحداثة النقدية فقد تبين لنا من خلال دراستنا للعلاقة الجدلية بين الأسلوبية والنقد الادبي: ان (الموضوعية) كانت منطلقاً للاسلوبية فضلاً عن أثرها في بيان دقة المعايير الحيوية في بنية النقد الأسلوبي فهي مقولة منهجية في هيكل الجهد النظري لها عند باحثينا المتخصصين، كما جاء في البحث، وقد وجدنا انها اكثر ما ارتبطت بالمنهج الإحصائي او القياس الكمي في تحديد مفهوم الأسلوبية، وهي تقع في مقابل الذاتية والانطباعية في النقد، وتوازي مفهوم العلمية بصورة مطلقة.

3-3 أما مقولتا (الشكل والبنية) فهما بحسب ما توصلنا إليه في البحث منطلقان مهمان في منطوق النظرية الأسلوبية ولهما أثر كبير في تأليف كيانها الفكري. ولقد وجدنا ان مقولة (البنية) تشغل حيزاً واسعاً في واقع المعرفة الأسلوبية سواء في خطابها التنظيري أو التطبيقي.

فاغلب الأسلوبيين العرب يتوجهون إلى دراسة النص الادبي بوصفه منتجاً فردياً ابداعياً، يمثل عملية اتصال بين مؤلف ومتلقٍ يحمل أثراً جمالياً أو انفعالياً أو غير ذلك، ويرفضون في تناوله فكرة الفصل بين لغة الاثر الادبي ومضمونه إذ يعدّون فاعلية النص الفنية جزءاً من تركيبتهِ الكلّية.

هذا ونحمد الله على ما مكننا من معرفته اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا

(وفوق كل ذي علم عليم)



مصادر البحث ومراجعه

1- أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، دار الاداب، بيروت، ط1، 1995.

2- الاسلوب دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الادبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1966.

3- الأسلوب دراسة لغوية احصائية، سعد مصلوح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1984.

4- الاسلوب والاسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء القومي، بيروت، د.ت.

5- الاسلوب والاسلوبية، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985.

6- اسلوبية البناء الشعري دراسة اسلوبية لشعر سامي مهدي، ارشد علي محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999.

7- اسلوبية الرواية مدخل نظري، حميد لحمداني، دار النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط1، 1989.

8- الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله احمد سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.

9- الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط2، 1982.

10- بحوث الحلقة الدارسية لمهرجان المربد الثالث عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999.

11- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ت.

12- البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات ادبية، 1984.

13- البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنرش بليث، ترجمة وتقديم محمد العمري، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، دراسات سال، ط1، 1989.

14- البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني، الاسكندرية، ط1، 1987.
15- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، سلسلة المعرفة الادبية، المغرب، ط1، 1986.
16- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989.
17- حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة سالم يفوت، الدار البيضاء، ط2، 1987.
18- خصائص الاسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطابع الرسمية، تونس، ط1، 1981.
19- الخطاب الديني رؤية نقدية، نحو وعي علمي بدلالة النصوص الدينية نصر حامد ابو زيد، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1992.
20- الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، 2، د.ت.
21- الخطاب النقدي عند طه حسين، محمد بو حسن، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985.
22- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية قراءة في نموذج انساني معاصر، عبد الله الغذامي، النادي الادبي الثقافي، السعودية، ط1، 1985.
23- خمسة مداخل الى النقد الادبي (مقالات معاصرة في النقد)، ولبر سكوت، ترجمة عناد غزوان وجعفر صادق الخليلي، دار الرشيد، بغداد، 1981.
24- دليل الدراسات الاسلوبية، جوزيف ميشال شريم المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.
25- شعرية تودوروف، عثماني الميلود، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط1، 1990.
26- الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي للنص، محمد الماكري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
27- صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الاسلوب في كتاب البخلاء، احمد بن محمد بن امبيريك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
28- الضرورة الشعرية، السيد ابراهيم محمد، دار الاندلس، بيروت، ط3، 1983.
29- عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو، اديث كرزويل، ترجمة جابر عصفور، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985.
30- علم الاسلوب مبادئه واجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1985.

31- علم اللغة والدراسات الادبية، برند شبلنر، ترجمة محمد جاد الرب، الدار الفنية، الريــاض، ط1، 1987.

32- في آليات النقد الادبي، عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1994.

33- في اصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مقالات، ترجمة أحمد المديـــي، دار الشـــؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999.

34- في الميتالغوي والنص والقراءة، مصطفى كيلاني، دار امية، تونس، 1994.

35- في النص الادبي دراسة اسلوبية احصائية، سعد مصلوح، النـــادي الادبي، جـــدة، ط1، 1993.

36- قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب، القاهرة، 1995.

37- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بـيروت، ط1، 1991.

38- اللغة الثانية، فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

39- اللغة والابداع مبادئ علم الاسلوب العربي، شكري محمد عياد، دار الكتـــاب العـــربي، بيروت، ط1، 1988.

40- اللغة والخطاب الادبي (مقالات لغوية في الادب)، اختيار وترجمة سعيد الغانمي، المركـــز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

41- مدخل الى علم الاسلوب، شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ط2، 1982.

42- مدخل الى مناهج النقد الأدبي ، مجموعة كتاب ، ترجمة رضوان ظاظا ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1997 .

43- معايير تحليل الاسلوب، ميكائيل ريفايتر، ترجمة حميد لحمـــداني، دراســـات ســـال، دار النجاح الجديد، الدار البيضاء، 1993.

44- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بـــيروت، ط1، 1985.

45- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنـــان، بيروت، 1979.

46- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1987.

47- مفهومات في بنية النص (مجموعة مقالات مترجمة من كتاب: مقدمة للدراسات الادبيــة)، مجموعة كتاب، ترجمة وائل بركات، دار معد، دمشق، ط1، 1996.
48- مقالات في الاسلوبية منذر عياشي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990.
49- مقدمة في النظرية الادبية، تيري ايغلتن، ترجمة ابراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافيــة العامة، بغداد، 1992.
50- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، 1979.
51- موسوعة الادب والنقد (الجزء الاول: الادب والنقد)، مجموعة كتاب، ترجمة عبد الحميــد شيحه، المجلس الاعلى للثقافة، الكويت، ط1، 1999.
52- ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة تكنولوجيا السيطرة على الجســـد، محمد علي الكبسي، دار سرايس للنشر، تونس، 1993.
53- النص والخطاب والاجراء، بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتـــب، القـــاهرة، ط1، 1998.
54- (النص، السلطة، الحقيقة)، نصر حامد ابو زيد المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995.
55- نظام الخطاب، ميشال فوكو، ترجمة محمد سبيلا دار التنوير، بيروت، د.ت.
56- نظرية الادب، رينيه ويليك و أوستن وايرن، ترجمة محي الدين صبحــي، مطبعــة خــالد الطاربيشي، دمشق، ط3، 1972.
57- النظرية الادبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراســات والنشر، بيروت، ط2، 1996.
58- نظرية البنائية في النقد الادبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.
59- نظرية التلقي اصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغــداد، 1999.
60- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الفت كمال الروبي، دار التنويــر، بــيروت، ط1، 1983.
61- النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، محمـــد ســويرتي، افريقيــا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1994.
62- النقد والاسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العــرب، دمشق، 1989.
63- النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.

البحوث المخطوطة والرسائل الجامعية

1- تحليل الخطاب في الدراسات الاعلامية، صفاء صنكور حبارة، بحث مخطوط، جامعة بغداد، مكتبة كلية الاداب، 1996، رسالة ماجستير.

2- سيمياء الخطاب الدعائي، رجاء احمد آل بهيش، بحث مخطوط، جامعة بغداد، مكتبة كلية الاداب، 1997، اطروحة دكتوراه.

الدوريـــــــــات

1- الاسلوب السردي ونحو الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر، آن بانفيلد، ترجمة بشير القمري، مجلة آفاق (المغربية)، الدار البيضاء، عدد (8- 9)، عام 1988.

2- الأسلوبية، عدنان بن ذريل، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت، عدد (25)، سنة 1982.

3- إشكالية المنهج في النقد العربي الحديث، محمود طرشونة، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، عدد (4)، سنة 34، عام 1999.

4- البلاغة بوصفها نظرية للخطاب، محمد بو عزة، مجلة راية مؤتة، جامعة مؤتة، الاردن، عدد (1)، عام 1994.

5- البلاغة المقيدة، جيرار جينيت، ترجمة الصديق أبو علام، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد (7)، عام 1989.

6- طيبولوجيا الخطابات البشرية، هاشم صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد (44)، سنة 1987.

7- فوكو والسلطة، جيل دلوز، ترجمة سالم يفوت، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد (44)، سنة 1987.

8- في السلطة، ميشال فوكو، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد (33)، سنة 1984.

9- اللغة المعيارية واللغة الشعرية، يان ميكاروفسكي، ترجمة الفت الروبي، مجلة فصول، القاهرة، عدد(1)، سنة 1984.

10- محاولات في الاسلوبية الهيكلية، ميكائيل ريفاتير، ترجمة دولاس، تقـديم عبـد السـلام المسدي، حوليات الجامعة التونسية، المطابع الرسمية، تونس، عدد (10)، سنة 1993.
11- مدخل في مفهوم الخطاب الدعائي، حميدة سميسم، مجلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافيـة العامة، بغداد، عدد (5)، السنة 19، عام 1994،
12- مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركـز الإنماء القومي، بيروت، عدد (33)، سنة 1984.
13- مفهوم الأدب، تزفيطان تودوروف، ترجمة منذر عياشي، مجلة العرب والفكـر العـالمي، مركز الانماء القومي، بيروت، عدد (3)، عام 1988.
14- مقولات السرد الادبي، تودوروف، ترجمة الحسين سحبان، مجلة افاق، المغربيـة، الـدار البيضاء، عدد (8- 9)، عام 1988.
15- من الأسلوبية الى الشعرية، حان ماري كلينكنبيرغ، ترجمة فريدة الكتاني، مجلة علامـات في النقد، النادي الثقافي، السعودية، عدد (33)، مجلد (9)، عام 1999.
16- نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركـز الانماء القومي، بيروت، عدد (3)، عام 1988.
17- الوظيفة الهرمنيوطيقية للابتعاد، بول ريكور، ترجمة فاطمة الذهبي، مجلة الموقف الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، عدد (22)، السنة الرابعة، عام 1999.

المؤلف

- الدكتور فرحان بدري كاظم الحربي
- تولد 1970 العراق بابل.
- حاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد عام 1993.
- حاصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية/ أدب من جامعة بغداد عام 1997.
- حاصل على شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية/ أدب من جامعة بغداد عام 2001.
- يعمل مدرساً محاضراً في جامعة بغداد.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

الفهرس

2004/1/700